كتاب

التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية

تأليف

ابراهيم بك حليم

مفتش أوقاف دمنهور

(حقوق الطبع والترجمة محفوظة للمؤلف)

الطبعة الاولى

بمطبعة ديوان عموم الاوقاف

سنة ١٣٢٣ هـ

١٩٠٥ م

tp. ms 8p

al-Halim, Corrian

al-Tuhfah al-Halimiyah

فهـــــــرست

كتاب

التحفـــة الحليميـــة في تاريخ

الدولة العليـــة

Digitized by Google

(RECAP)

2271
.2607
.391

صحيفة	(مطالب)
٣	معذرة المؤلف
٥	ثمرة علم التاريخ
٦	السياسة فى عرف أوربا
٧	مبحث عن أحوال الدولة العلية على وجه الاجمال
٢٢	وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكتابيين
٢٥	الحكومة المطلقة
٣٤	السلطان عثمان الاول
٣٦	أسماء معاصرى السلطان عثمان من الملوك والامراء وجهاتهم
٣٨	السلطان أورخان الاول
٣٨	فتح مدينة أزمبيق
٣٩	أول اتفاق من ملوك المسيحيين ضد العثمانيين
٣٩	ثانى اتفاق
٣٩	أسماء معاصرى السلطان أورخان وجهاتهم
٤٠	السلطان مراد الاول
٤١	اتفاق الدول المسيحيين على اخراج العثمانيين من أوربا بالتماس البابا
٤٣	واقعة غريبة
٤٤	الاتفاق الرابع ضد العثمانيين
٤٤	الاتفاق الخامس ضد العثمانيين
٤٥	الاتفاق السادس ضد العثمانيين
٤٦	أسماء معاصرى السلطان مراد من الامراء والملوك والحكام وجهاتهم
٤٧	السلطان بايزيد خان
٤٨	الاتفاق السابع ضد العثمانيين

Digitized by Google

صحيفة	(مطالب)
٤٩	الاستيلاء على مقدونيا وموراوأتينا وقلعة طرخان
٤٩	استفحال أمر تيمورلنك
٥٠	محاربة تيمورلنك للعثمانيين وأسر السلطان بايزيد
٥٠	وقائع الاثنى عشر سنة الفاصلة بغير سلطان
٥١	السلطان محمد چلبى الاول
٥٣	محاربة مجر وافلاق
٥٤	أسماء معاصرى السلطان محمد چلبى
٥٥	السلطان مراد الثانى
٥٦	القبض على مصطفى دوزمه الذى ادّعى انه مصطفى چلبى بن السلطان مراد
٥٨	الاتفاق الثامن ضد العثمانيين
٦٠	اجلاس محمد الفاتح ابن السلطان مراد
٦١	الاتفاق التاسع ضد العثمانيين
٦٢	أسماء معاصرى السلطان مراد
٦٣	السلطان محمد الفاتح
٦٤	فتح القسطنطينية
٦٥	اتحاد هونباد ملك المجر مع حكومات المسيحيين المجاورين له ضد الدولة
٦٦	الاتفاق (١٢) من المجر وحكومات أوربا باعلان الحرب ضد الدولة
٦٧	معاصرو السلطان محمد الفاتح
٦٨	السلطان بايزيد الثانى
٦٩	وقائع جم أخى السلطان بايزيد
٧٢	حادثة غريبة وهى نزول صاعقة فى معمل البارود بالاستانة
٧٤	اتحاد جمهورية الونديك واسبانيا وفرنسا على حرب الدولة برا وبحرا باتحاد البابا

Digitized by Google

صحيفة	(مطالب)
٧٦	معاصرو السلطان بايزيد الثاني
٧٨	السلطان سليم الاول (الملقب بياوز)
٧٩	محاربة الفرس الشهيرة والاستيلاء على حكومات مستقلة تحت حماية العجم
٨١	محاربة السلطان الغوري بمصر وقتله ودخول العساكر بمصر وتعيين خيربك والي حلب واليا عليها
٨٤	معاصرو السلطان سليم
٨٥	السلطان سليمان القانوني الاول
٨٧	اتحاد العجم مع المجر ضد الدولة (١٧)
٩٢	اتحاد النمسا وبلونيا ضد الدولة (١٨)
٩٣	اعتداء اسبانيا وايطاليا ضد الدولة (١٩)
٩٤	اتحاد حكومات أوربا على محو الدولة العثمانية وحصول واقعة مهولة
٩٥	معاصرو السلطان سليمان
٩٦	السلطان سليم الثاني
٩٦	عصيان أعراب بغداد وبصره واختلال اليمن
٩٨	فتح قبرص
٩٨	اتحاد البابا والبنديك واسبانيا وايطاليا ومالطه وغيرهم ضد الدولة والموقعة البحرية الهائلة
١٠١	معاصرو السلطان سليم الثاني
١٠١	السلطان مراد الثالث
١٠٤	أول قرض اقترضته الدولة العلية
١٠٥	معاصرو السلطان مراد الثالث
١٠٦	السلطان محمد خان الثالث ابن السلطان مراد الثالث

Digitized by Google

صحيفة	(مطالب)
١٠٦	واقعة محزنة لقتل السلطان محمد الخونه التسعة عشر عند جلوسه
١٠٧	اتحاد ألمانيا و بلونيا وغيرهم ضد الدولة (٣٤)
١٠٨	اتحاد آخر ضد الدولة
١١٠	معاصرو السلطان محمد الثالث
١١١	السلطان أحمد خان الاول
١١٥	معاصرو السلطان أحمد
١١٦	السلطان مصطفى الاول وخلعه
١١٦	السلطان عثمان الثانى
١١٨	واقعة فظيعة محزنة وقتل السلطان عثمان
١٢٠	اعادة السلطان مصطفى واستمرار الخلل والفساد
١٢٢	السلطان مراد الرابع فاتح بغداد
١٣١	أسماء الملوك المعاصرين له
١٣٢	السلطان ابراهيم خان ابن السلطان أحمد وأخو السلطان مراد
١٣٤	فتح جزيرة كريد
١٣٦	أسماء معاصرى السلطان ابراهيم وجهاتهم
١٣٧	السلطان محمد خان الرابع ابن السلطان ابراهيم
١٤٠	اتحاد فرنسا مع الونديك ضد الدولة (٣٥)
١٤٠	اتمام فتح جزيرة كريد
١٤١	اتحاد الونديك وبلونيا على محاربة الدولة
١٤٢	معاصرو السلطان محمد وجهاتهم
١٤٣	السلطان سليم خان الثانى ابن السلطان ابراهيم
١٤٤	معاصرو السلطان سليمان وجهاتهم

Digitized by Google

صحيفة	(مطالب)
١٤٥	السلطان أحمد خان الثانى
١٤٧	السلطان مصطفى خان الثانى ابن السلطان محمد الرابع
١٤٨	اتحاد بطرس الكبير مع ألمانيا وأوستريا على دوام الحرب مع الدولة
١٤٩	حصول الصلح مع الروسيا بعد الحرب وشروطه
١٥٠	معاصرو السلطان مصطفى الثانى
١٥١	السلطان أحمد خان الثالث
١٥٣	اتحاد ألمانيا وأوستريا مع الونديك
١٥٥	تحريض ألمانيا أوستريا على حرب الدولة
١٥٥	محالفة كترينا امبراطورة الروسيا مع ألمانيا وأوستريا على محاربة الدولة بعد موت بطرس الكبير
١٥٦	هجوم الايرانيين على حدود الدولة
١٥٧	حصول فتنة بالاستانة وتنازل السلطان أحمد عن السلطنة لابن أخيه السلطان محمود
١٥٧	معاصرو السلطان أحمد
١٥٨	السلطان محمود خان الاول
١٥٩	اتحاد الروسيا مع العجم على محاربة الدولة
١٦٠	صلح الدولة مع ايران والتنازل لها عن الجهات التى استولت عليها الدولة
١٦٤	معاصرو السلطان محمود الاول
١٦٥	السلطان عثمان خان الثالث ابن السلطان مصطفى الثانى
١٦٦	معاصرو السلطان عثمان الثالث
١٦٧	السلطان مصطفى خان الثالث

Digitized by Google

صحيفة	(مطالب)
١٦٨	اتحاد كترينا مع أوربا لمحاربة الدولة وأخذ الاستانة
١٦٩	عصيان الجبل الاسود بدسائس روسيا
١٧١	تقسيم بلونيا بين أوستريا وألمانيا وروسيا
١٧٢	معاصرو السلطان مصطفى
١٧٢	السلطان عبد الحميد خان الاول
١٧٣	استقلال قريم
١٧٥	اتحاد كترينا مع امبراطور ألمانيا على تغيير الحدود ببلاد الدولة
١٧٦	معاصرو السلطان عبد الحميد الاول
١٧٧	السلطان سليم خان الثالث
١٨٠	حصول الشقاق بين ممالك مصر وذهاب بونابارت اليها
١٨١	اتحاد الروسيا مع حكام افلاق وبغدان واحتلال الروسيا لهاتين المملكتين
١٨٢	اتحاد الروسيا وانجلترا ضد الدولة وادخال انجلترا مراكبها فى بوغاز الاستانة (الدردنيل)
١٨٣	اتحاد انجلترا والروسيا على احراق دونانمة الدولة التى فى أوران
١٨٤	اجتماع الاشقياء لعزل السلطان سليم واجلاس السلطان مصطفى ومعارضة حزب السلطان سليم فى ارجاعه وقتله أخيرا
١٩٥	السلطان مصطفى الرابع
١٩٥	معاصرو السلطان سليم والسلطان مصطفى
١٩٦	السلطان محمود عدلى الثانى
١٩٩	عصيان المماليك بمصر والوهابيين بالحجاز وقتل المماليك بالقلعة
١٩٩	ثورة اليونان وطلب الاستقلال

Digitized by Google

صحيفة	(مطالب)
٢٠٠	معاصرو السلطان محمود الثاني
٢٠٠	عصيان محمد علي باشا والي مصر وطلبه الاستقلال وارساله عساكر لحرب الدولة بقيادة ابراهيم باشا ابنه
٢٠٢	السلطان عبد المجيد الاول
٢٠٥	احتلال [redacted]يا لبيروت
٢٠٦	معاصرو السلطان عبد المجيد
٢٠٧	السلطان عبد العزيز
٢٠٩	فتح قنال السويس والاحتفال به
٢١٠	عزل السلطان عبد العزيز وجلوس السلطان مراد
٢١١	جلوس السلطان (عبد الحميد خان الثاني)
٢١١	معاصرو السلطان مراد
٢١٢	واقعة تونس وأحوالها اجمالا
٢٣٩	وصية بطرس الكبير
٢٤٣	حوادث مبادى الحروب الروسية العثمانية الاخيرة

﴿تمت الفهرست﴾

Digitized by Google

كتاب

التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية

تأليف

ابراهيم بك حليم
مفتش أوقاف دمنهور

(حقوق الطبع والترجمة محفوظة للمؤلف)

(الطبعة الاولى)
بمطبعة ديوان عموم الاوقاف
سنة ١٣٢٣ هـ / ١٩٠٥ م

Digitized by Google

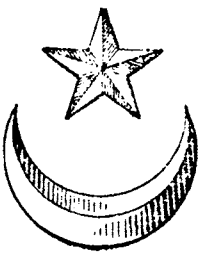

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى جعل الانسان فى الارض خليفه والصلاة والسلام على صاحب الشريعة الحنيفية المنيفه وعلى آله وأصحابه ذوى السير المرضيه والفتوحات العليه وبعد فانى لما رأيت حوادث ربع القرن الماضى وما فيه من الامور العظام ودوام التعصبات الحاصلة من الدول ضد الاسلام عموما والدولة العلية خصوصا وما عليه اخواننا المسلمون من تضارب الافكار وما يبثه الاجانب فى مشارق الارض ومغاربها فيهم من الدسائس فى صفة الارشاد خصوصا فى مدارسهم ويقصدون بذلك قطع آمالهم من حسن مستقبلهم ووصفهم الدولة العلية فى الماضى والحاضر بما لاينطبق على الحقيقة خوفا من احتمال التأثير على أفكار من لم يعلم وقائع الدولة العلية وأدوارها الماضية أردت خدمة للأمة أن أؤلف كتابا صغير الحجم سهل المطالعة حاويا نتائج الوقائع السالفة اجمالا دون التعرض لمفرداتها خوفا من التطويل من ابتداء السلطان عثمان الاول الى جلوس مولانا السلطان المعظم والخاقان المفخم السلطان الغازى ﴿عبدالحميد خان الثانى﴾ خلد الله ملكه لان الماضى مرآة المستقبل عقلا وللعقل اصابة بالظن ومعرفة ماسيكون بما كان وزدت واقعة تونس الحاصلة فى سنة ١٢٩٨ ذكرتها موعظة للأمة الاسلامية ليتبع رجالها طرق الرشاد وانما يتذكر أولو الالباب ثم أردفت ذلك بذكر وصية بطرس الكبير وبعض من أعمال الدول فى مبادى الحرب الاخيرة والله الموفق للصواب واليه المرجع والمآب

Digitized by Google

﴿ معـــذرة المؤلف ﴾

انى أعتذر مقدما لحضرات قراء هـذا الكتاب فيما يرونه من التقصير حيث انى لست من حضرات العلماء الافاضل ولا من الكتاب الاماثل ولا من متخرجى المدارس وغاية الامر هو انه قد وفقنى الله تعالى بمنه وكرمه لقراءة القرآن الشريف فى مكاتب بلادنا القوقاسية قبل مهاجرتنا منها ودخلت المكتب بالغا من العمر ثمان سنوات بغير توسط أهلى فى أول الامر ولم يمض على ذلك سوى سنة واحدة وبعض أشهر حتى قامت الحرب الاخيرة بين الروسيا والجراكسة فهاجر والدى رحمه الله تعالى بعائلته من وطنه الاصلى الى جهة ومنها الى جهة أخرى ومنها الى جهة ثالثة وهى ساحل البحر الاسود وقد استمرت الحرب ثلاث سنين ثم استولت الروسيا على بلادنا فهاجر ثلاثة ارباع الجراكسة بل أكثر الى بلاد الدولة العلية وكنت ممن هاجر مع والدى وهـم بضع مائة ألف بيت أو عائلة كما ذكرت ذلك تواريخ الاتراك ولا تسل عما قاسى الاهالى من المشاق والمتاعب وما أصابهم من تلف الاموال بعد قتل عشرات الآلاف من الرجال فى هذه الحرب الطويلة ولم يكن عند الجراكسة مدافع قط وبعد انتهاء الحرب وحضورهم الى سواحل البحر الاسود لم يحضر أحد منهم من متاعه الا قليلا بل أغلبهم لم يحضر معه شيأ قط حتى من ازدحامهم فى السفن لم يقبل الملاحون شيأ من المتاع بل كانوا يلقونه فى البحر وأما المواشى فقد تركها أصحابها بالجبال والبعض تمكن من بيعها لمن لم يهاجر بابخس ثمن ولقد رأيت من باع الثور البقر بريبل واحد وهو الريال المسكوفى الذى يساوى فرنكين ونصفا تقريبا وكان الثور يساوى فى زمن الأمن قبل المهاجرة من عشرين ريالا لغاية خمسة وعشرين ورأيت النعجة الجيدة تباع بعملة يقال لها أباس وهى تساوى قرشا صاغا ونصفا بالعملة المصرية وقس على ذلك ولما هاجروا الى بلاد الدولة أيدها الله ساعدتهم مساعدة عظيمة وأمدتهم حتى صاروا فى سعة وهـذا من مصداق قوله سبحانه وتعالى (وَمَنْ يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِى الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً) وكان من ضمن النوائب العظمى احراق عساكر الروسيا

البيوت بمن فيها من الارواح و الاشباح و الاثاثات وذلك أنه عند زحف الجيش الروسى على الاماكن الموجود فيها الشيوخ و النساء و الولدان لتغيب الرجال فى الحرب كانوا يهربون خفافا بارواحهم و يتركون من لم يكن له قدرة على المشى مثل المرضى و الطاعنين فى السن الاقصى و العميان لظنهم أن العساكر لاتأخذهم أسراء ثم بعد حرق البيوت ورجوع العساكر عنها يعود الهاربون ليأخذوا من تركوهم فى البيوت محمولين على الاعناق أو الدواب فيجدونهم محرقين مع البيوت ولقد رأيت بعينى وأنا مع والدى العظام محروقة فحسبنا الله ونعم الوكيل ثم إنى لم أجد فرصة لتحصيل العلوم مع أنى كنت مغرما بها وما عندى من البضاعة القليلة اكتسابى بطرق الاجتهاد الطبيعية فى أثناء المساعى المعيشية من التجارة فى مبادى الامور ومن الخدامات الزراعية وعلاوة على ذلك فان لغتى الفطرية غير العربية الشريفة ولكثرة أشغالى المفروض أداؤها علىّ فى أوقاتها جعلت ساعتين بين العصر و المغرب من الايام التى لم أكن متغيبا فيها فى المرور لجمع وتسويد وتبييض هـذا الكتاب آخذا من التواريخ التركية ملتزما الراجح من الروايات لعدم التطويل فبذا لم أدع من أشغالى المفروضة علىّ شيأ ولم أقصد من هذا التأليف فخرا ولاسمعة بل الخير أردت كما وأنى جعلت ثمن هذا الكتاب اعانة للسكة الحديدية الحجازية ثم أذكر من يتذكر بان التواريخ الافرنكية لها صبغة خصوصية فيما ينسب للاسلام و للدولة العلية حتى الآن فمن يجد فيها مايخالف المدون بهذا الكتاب من الوقائع فليعتبره من هذا القبيل حيث إن أصحاب التواريخ التركية على اختلاف أوقاتهم لم يقصدوا خلاف ضبط الوقائع الرسمية وهم أدرى بما فى بيوتهم

Digitized by Google

﴿ ثمرة عـــــلم التاريخ ﴾

التواريخ والاشتغال بها بقصد نفع الامة والدين أمر مهم لاتقل أهميته عن غيره بل يعتبر انه من متممات الخدامات الدينية حيث كانت النية خالصة للحديث الشريف (انما الاعمال بالنيات) وذلك أن من ضمن قوام الدين حفظ بلاد الاسلام من الاعداء ولا يتيسر ذلك الا بمعرفة ما يلزم وهى أمور كثيرة منها معرفة مبادى ونتائج ما مضى لتكون دروسا للاجراآت اللازمة للحاضر والمستقبل ومنها معرفة أقاليم و بلاد الممالك ومنها معرفتـــه القوى البرية والبحرية فى العالم والحاصل أن معرفة التواريخ واجبة من هذا القبيل ولقد ثبت يقينا اضمحلال بعض الممالك والجيوش بسبب جهـــل وغلطات القوّاد أو الحكام مع كثرة جيوشهم على جيوش أعدائهم وكذلك لسبب مهارة القوّاد وحسن تدبيرهـم وعدلهم وانصافهم انتصروا على أعدائهم مع قلة جيوشهم وقد قال جل وعلا (كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ) وبالاختصار فان معرفة الحوادث الماضية أعظم درس للانسان ليتبع الاحسن ومما يثبت ذلك وجود القصص العديدة فى القرآن الكريم لمعرفة ما كان من قبل والاتعاظ به وان كان بعضها أنزل تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم والبعض ردا على المتعنتين واجابة للسائلين لكن القرآن الشريف على العموم هو للنبى صلى الله عليه وسلم ولامته الى يوم القيامة للاتعاظ بما فيه من الاوامر والنواهى والقصص

Digitized by Google

﴿ السـياسه ﴾

السياسة فى هذا العصر هى عبارة عن تفكر الامم فى معرفة الوسائط الموجبة لامتلاك بلاد الغير خصوصا الضعفاء والجهلاء وطرقها لا نهاية لها فهى تزيد فى أمم بوجود الرجال الماهرين فى هذا الفن وقوة دولتهم وتنقص وتضمحل فى الامم المتصفة بضد ذلك والمهارة لدى السياسيين هى اخفاء الغرض واظهار غيره فى أحاديثهم وتهديداتهم ونصائحهم الغير صحيحه حيث ان غرضهم الوحيـد هو اغتصاب بلاد الغـير واذلال الامم الضعفاء واضعاف الاقوياء بتسليط بعضهم على بعض وهذه الامور هى ضد الشرف على خط مسـتقيم والاعجب أن من يكون بهذه الصفة من الرجال يكون له القدر الجليل لدى العالم وأما الدولة العلية أيدها الله فـلم تتخذ هـذا المسلك القظيـع فى وقت من الاوقات وطرق الاغتصاب متعددة لا نهاية لها ولنذكر بعض أمثالها ذلك أنهم يدّعون أن روح التمدن الحقيقى وجميـع مكارم الاخلاق حلت فيهـم دون غيرهم حتى صاروا كانهـــم المنزهون عن كل عيب فيغتر بذلك البسطاء ويستسلمون لهم وبهذا الادعاء وذلك الاستسلام يغتصبون البلاد

ومبادى الاغتصاب أنهـــمْ يبعثون رجال السـياسة الموصوفين بما ذكر آنفا جواسيس ويسمون أنفسهم سواحين الى البـــلاد والاقطار ويساعـدونهم بكل مايلزمهم من مال ورجال وسلاح وغير ذلك فهؤلاء ينظرون البلاد بعين الناقد البصير ويحررون مذكرات بما يرونه من الاحوال وعوائد البلاد وطباع أهاليها وما يلزم اجراؤه من وجوه الاحتيال بما يناسب لكل قطر وبلد وبعد عودتهـم الى بلادهم يعرضون هذه المذكرات ويزيدون عليها باحاديثهم الشفاهيه وبعد ذلك يجهزون وفدا بريا أو اسطولا مركبا من أحسن السفن الموجودة عندهم ويزينون رجاله باحسن الملابس والاسلحة بقيادة أمهر الرجال فى فن الخداع والسـياسة الموصوفة آنفا ببعض هدايا وبرسائل من الملوك مزينـة بزخارف الكلام الذى يوهم محبة المرسل اليه المنوى نهب بلاده فبوصول هذا المندوب الى عاصمة الملك

أو الامير المرسل اليه يطلب مقابلته لتسليمه الهدايا والتحف التى أحضرها من لدن سيده وليست فى الحقيقة هـدايا بل رزايا جلبها اليه وحينما يؤذن له بالمثول بين يديه لا تسل عما يظهره من الاجلال والخضوع عند مقابلته لذلك الامير المخدوع ثم يذكر له ماعليه سيده من الشفقة ومحاسن الاخلاق والمروءة والشهامة والغنى والقوة ويعزز ذلك بأمثلة وهمية مصداقا لما يقول ثم يرجو الامير فى زيارة السفن يقصـد بذلك رهبته بعظمة المراكب والاسلحه وملبوسات الرجال وغـير ذلك وليدهش الامير ورجاله فيجاب الى طلبـه وفى وقت الزيارة يذكر رجال الوفد لحاشـية الامير والاعيان من تلك الدروس ما ذكره رئيسهم للامير ثم يعودون وربما تكرر مثل ذلك ثم يذهب وفد آخر سواء كان برئاسة الاول أو غيره بالصفة المذكورة أو أعظم وبعد ذلك يلتمسون تعيين قنصل لتوثيق عرى المحبة وتبادل التجارة فينالون ذلك ثم يرسلون بعض التجار الى تلك الجهـة للتجارة فى الظاهر وخلق المشاكل فى الباطن ويطلبون التصريح بعمل شركة ما ويشترون قطعـة أرض للدرجه المناسبة بشروط مشتملة على ألفاظ مبهمة قابلة للتأويل بجملة معان مختلفة ثم يطلبون الترخيص بفتح المدارس بحجة تعليم أولادهم ومن يرغب من غيرهم بمصاريف على طرفهم وعند ما يجابون الى طلبهم يملؤنها بطوائف المبعوثين الدينيين بحجة أن وجودهـم بالمدارس أمر ضرورى ثم تتبع الامتيازات شـيأ فشيأ وكل هؤلاء يظهرون فى المبادى من الادب واللطف ومحاسن الاخلاق مايبهر العقول ثم يأتى دور الشكل التصنعى بمعنى أنهم يخـترعون المشاكل بايديهـم ويدّعون أن الحق معهـم ويساعدهم على ذلك وجود الالفاظ المبهمة ذات المعانى المختلفة بالشروطات الموضوعة لهـذا الغرض ليرى منها ظاهرا ان الحق معهـم وأما الشعوب المظلومة فانهم لايرون من حقائق الامور شيأ لغفلتهم فيتمسكون بما لهم من الحقوق الظاهرة ثم يأتى دور التهـديد والوعيد وطلب التعويض الغـير معقول ثم التداخل الفعلى ثم الطامة الكبرى هذا هو العدل والتمدّن والشفقة والشهامة عندهم وتوجد أساليب أخرى يستعملونها لهذه المآرب منها

Digitized by Google

القاء الدسائس بين التابع والمتبوع باشكال يطول شرحها ومنها القاء الدسائس بين دولتين ويعتقدون ان كل هذه الافعال وأمثالها ضروب من حسن السياسة والتمدن ولا يظن أحد فيما ذكر بهذه الكلمات الوجيزة انه قد انحصرت وسائل الاغتصاب لابل تلزم لها مجلدات لاستيفائها وانما اختصرنا كما هي خطتنا في هذا الكتاب لان ماذكرناه يكفي لمعرفة مالم يذكر من هذا القبيل ثم أننا لم نقصد بما ذكر حكومة ولا دولة معينة كما يتضح من سياق الكلام

Digitized by Google

﴿ مبحث عن أحوال الدولة العلية على وجه الاجمال ﴾

نظرا لموقع بلاد الدولة جغرافيا حيث ان عاصمتها وجزءا عظيما بأوروبا البعض تحت سيادتها والبعض من أملاكها قديما وحديثا مجاور لاكثر الدول خصوصا فى هـذا العصر حيث ان البحر الابيض المتوسط حرجميع أساطيـل الدول كالمعاهدات فلم تبتل دولة اسلامية بمعشار ما ابتليت به هذه الدولة من كثرة محاربتها لاعتداء الدول عليها كما يتضح مما يأتى وقد قال الله تعالى (لَتُبْلَوُنَّ فى أَمْوالِكم وَأَنفُسِكم ولَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِن قَبلِكم وَمِنَ الذين أشركوا أذًى كثيرا وَإِنْ تَصْبِرُوا وتتَّقوا فانَّ ذلكَ مِنْ عزْمِ الأُمورِ) نعم ان دولة الامويين بالأندلس انقرضت بأسباب اعتداء الافرنج عليها وبالاخص دولة اسبانيا التى استولت عليها بعد أن نهبت الاموال وهتكت الاعراض وقتلت من لم يتنصر الا من هرب كما هو مسطر فى كتب التواريخ بأفظع ما يكون لكن الدولة العلية خلدها الله تعالى الى يوم القيامة حروبها مستمرة ستة قرون وربع مع كثيرى العدد والعدد من الاعـداء برا وبحـرا أفرادا وأزواجا وجموعا من الدول وعلى الاخص دولتا الروسـيا وأوستريا (النمسا) معا وهما كانتا أعظم الدول قوة واستمر حربهما مع الدولة متقطعا أكثر من قرن ونصف وهما متفقتان على ذلك وأحيانا تكون دولة الفرس وحكومات البلقان معهما كما سترى ولقد مرت على الدولة العلية خطرات عظيمة وضعف عام ومشاكل متنوعـة ومتفرّقة بمقاصد عجيبة بسبب اختـلاف مشارب الدول واظهارهن غير مافى ضمائرهن فى المخابرات والمداولات والمعاهدات فبعضهن يحرّض الدولة على الحرب مع احداهن والبعض الآخر ينهاها عنه هذا وهذا فى قالب نصح لها والبعض يطلب طلبات لمصالحه خارجا عن الموضوع عند ما يرى ان موقف الدولة فى غاية الحرج وهلم جرا بما يماثل ذلك مما يحير العقول والله تعالى حفظها من هذه المكائد ونسأله أن يديم حفظها الى يوم القيامة وقد ينطبق عليها الحديث الشريف الوارد فى الصحيحين عن معاوية بن أبى سفيان عن

Digitized by Google

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (لاتزالُ أمَّةٌ من أمَّتي قائمةً بأمرِ الله لايَضُرُّهم مَن خَذَلَهم ولا مَن خالفَهم حتى يأتيَ أمرُ الله) ولا خلاف فى أنّ فى هـذا العصر لاتوجد أمة مسلمة ينطبق عليها هذا الحديث الشريف الا الدولة العلية التى هى خادمة الاسلام فى نفس الامر فليست دولة متسلطة على العباد كتسلط تيمورلنك وأمثاله وهذا لايعلم الا لمن يتأمل جيدا أعنى لقوم يعقلون و يقدرون الامور حق قدرها أمّا الذين فى قلوبهـم مرض فلا يعلمون ولا يعتبـرون وهـذه بلاد اليمن والحجاز وطرابلس الغرب التى هى من عنصر الاسلام مدينة للدولة العلية بالحقوق كحق الوالد على ولده حيث إنها تصرف مبالغ جسيمة سنويا على حفظ هذه البلاد مع أن ايراداتها ربما لا تبلغ ربع المصاريف وأهلها معافون من الخـدمة العسكرية ومتروكون لحفظ بلادهم عدا أهالى طرابلس الغرب فان مولانا السلطان حفظه الله علمهم فن الحرب بكل عناية وذلك للمساعدة على حفظ بلادهم من اعتداء الاعداء الخارجية عليها لبعدها عن سائر بلاد الدولة ولقربها من بلاد دول الغرب وقد عصوا الدولة عند طلبها تعليمهم فنون الحرب فى أوّل الامر فأهل هذه البلاد يكثرون العصيان للدولة و يسمعون و يصدّقون دسائس الاجانب و ينبذون نصائح الدولة وراءظهورهم و ينافقونها و يعصـونها من حين الى حين ولا يرجعون عن غيهم الا بزاجر القوة وأكثرهم يبغضون الدولة أكثر مما يبغضون أعداءهم الاجانب الساعين لابتلاع بلادهم وما هذا الا من ضعف إيمانهم والجهل المحض أوالتجاهل وعـدم التبصر فى عواقب الامور وغفلتهم عن دسائس الاجانب أو لم ينظروا حال المسلمين الذين وقعوا تحت سلطة الاجانب وماوصلوا اليه من الذل والهوان فلا يقدر أحد يتـكلم ولاهمسا ضد حكومته الاجنبية ولافى حق أحدمّا من رجالها المسيطرين عليهم ومع ذلك لايتعظون كانهم صم بكم عمى لايعقلون وتراهم وهذه حالهم يخرجون على الدولة العلية الشفوقة بهم الساهرة على رفعة شأنهم ان هذا لهو البلاء المبين هذا من جهة الامم على وجه الاجمال

وأما من جهة الافراد فان مرض النفاق وفساد الاخلاق وحب الشهوات والمجاهرة

بالمحرّمات قد انتشرت فيهم وتمكنت من نفوسهم فجلبوا الويل على أنفسهم بما كسبت أيديهم (ظَهَر الفسادُ فى البرّ والبحْرِ بمَا كسبَتْ أيْدى النّاس) وهؤلاء الفاسدوا الاخلاق شقوا عصا طاعة الدولة العلية وخرجوا عليها يسلقونها بألسنة حداد نعم ان الأمة الاسلامية لم تسلم من الخوارج من عهد الخلفاء الراشدين الى الآن لكن ضررهم فى هذا العصر أشد لكثرة عناصر المسلمين واختلاط الاعداء فى البلاد ودخول بعض بلاد الاسلام تحت نفوذ الدول الاجانب ثم ان فريقا من المسلمين البسطاء يظنون ان وجود هؤلاء الخوارج ماهو الا من ظلم الدولة وليس الامر كذلك لان الخوارج قديما وحديثا عبارة عن أناس غلبت عليهم الشقاوة من حيث لا يشعرون فأن خوارج سيدنا علىّ بن أبى طالب كرّم الله وجهه كانوا يسبونه وينسبون له الكفر بقولهم بقول الله تعالى (إن الحُكْمُ إلّا لله) وعلىّ بن أبى طالب يريد الحكم لنفسه وأمثال ذلك مع أن درجة هذا الامام رضى الله تعالى عنه لا يجهلها أحد من أهل السنة والجماعة وهناك فريق آخر يطلب الحرية ولا يفقه معناها لان الحرية الشرعية هى مساواة الافراد فى الحقوق الشخصية ليتسنى لكل فرد من الافراد ان يجتمع مباشرة مع كبراء الامة وأمرائهم ويتكلم معهم بما يريد بغير تحقير ولا ازعاج والقضاة يحكمون بالشريعة السماوية على الحقير والوزير وعلى أنفسهم وبالاختصار فالحرية هى اقامة أحكام الشرع الشريف بأسرها ولم يتم ذلك الا فى زمن الخلفاء الراشدين وقد توهم المارقون والمنافقون ان الحرية هى اطلاق ألسنة السفهاء على أعراض الاصفياء بلا قيد واستباحة المحرّمات فى محلات الموبقات بغير رقيب ولا مانع أو مايتشدّق به المتشدّقون فى لغو أحاديثهم من الكلام الضار بالامة كما يشاؤن مع أن من هذا الكلام ما يوجب التشويش على الدوام واطلاع الاعداء على دواخل الامور والعورات وينبنى على ذلك فساد كبير كيف لا وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (مَن آمن بالله واليوم الآخر فَلْيَتَكَلّمْ بخير أو لِيَصْمُتْ) ولقد حدثت حروب بسبب ذلك والخاصل ان الحرية الغير الشرعية لاحدّ

Digitized by Google

لهـا وهى مذهب الاشـــتراكيين فى أوروبا وفكر بعض الخوارج من الأمـة الاسلامية وغرضهم انه لايكون حاكم ولا محكوم ولا ملك ولا امبراطور ويكون العالم كلهم فى درجة واحدة الخ وهذا مستحيل وبعض هذا الفريق يزعم ان الحرية المشابهة للحرية الشرعيـة موجودة فى أوربا وهذا لاأصل له نعم ان فى أوروبا شـــبه حرية لاصفياء الفرنساويين مثلا فى المساواة ولكن أين هذه المساواة فى الجاوا والجزاير والمدغسكر وأمثالها رغما عما تظهـر الحكومات من وضع القوانين بصفة ظاهرها يخالف باطنها الاول العدل والثانى ضدّه يقصـدون بذلك اظهار العـدل للعالم فتبين مما ذكر ان جميع مازعمـه الاعداء فى حق الدولة العلية باطل نعم أصاب الدولة العلية وسلاطينها وعظماءها بعض ما أصاب دول العالم من فتنة وقتل ومصائب لكن من الممكن ان نقول انها أقل من غيرها فى هذا الباب حيث ان أغلب ملوك أوربا فى القرون الماضية كانوا فى نهاية الظلم وان أممهم كانوا فى غاية الهمجية تباع وتشرى مع الاراضى كالانعام ولم يجدوا لانفسهم رائحة الحرية بل لم يكن لهـم شعور بأن ملوكهم من ذرية آدم مثلهم الا بعـد قرون طويلة وظلم شـديد بعد مااختلطوا بالاسلام فى الحروب الصليبية وبالدولة الاموية من قبلها فى الاندلس فسرت فيهـم روح الانسانية شيأ فشيأ حتى قويت فيهم ونمت وبعد حروب أهليه تحصلوا على نوع من الحرية حتى صارت الآن ملوكهم مقيدة بقيود القوانين الوضعية هـذا بعض أحوالهم ولو تركناهم لاختلافهم عنا فى الشرائع والاديان والعادات ونظرنا أحوال أمم وملوك الاسلام فى القرون الماضية لوجدنا ان مصائبهم فى هذا الصدد أعظم من مصائب الدولة ورجالها والامم التى تحت يدها حالة كون الاولين كانوا قريبين لعصر الخلفاء والصحابة وصـدر الاسلام ولم يكن المسلمون من عناصر كثيرة مثل مسلمى الدولة العلية فضلا عن المسيحيين المختلفى العناصر والمذاهب ومع هذا فان آراء الافراد والشعوب كانت متباينـة بما لايوصف لدرجـة أن العلماء فى نفس بغـداد كانوا يقاتلون بعضهم بعضا مرارا فى السنة الواحدة وما

كان لهم من عـذر خلاف اختـلاف المذاهب والتحزب ولو نظرنا ماوقع بين سيدنا علىّ بن أبى طالب ومعاوية والصحابة رضى الله تعالى عنهـم أجمعين ونظرنا واقعة سيدنا عثمان رضى الله تعالى عنه فى تعصب فريق من الامة عليه وقتله ظلما لوجب علينا ان نعذر السلاطين وأمثالهم فيما يقع منهم ثم على المسلم أن لايتسرع بمؤاخذة هـذا الملك وذاك السلطان أو هـذا الامير أو ذاك الوزير فى أغلب ما يسمع فى شأن أحدهم بما لايرتاح اليه ضميره لاهمية مراكزهم وغيرتهم عليها أكثر مما يغار المرء على أهله وماله ولربما تخالف الحقائق مايسمع عنهم وأما أحكام السلاطين فى الازمنة السالفة بالقتـل والنـفى ونحو ذلك فهى مبنية على أشياء منها ماهو ظاهر وما هو خاف حيث انهم لايقتلون أحدا من الطريق المسلوك بل لابد من وشاية اليهـم فالواشى لا يقول أنه واش بل يجعـل قوله من باب النصيحة على حسب ذمته والخلفاء والسلاطين كانوا يعتبرون المخبرين شهودا فى أحكامهم لاوشاة بقصد السوء نعم لابد من أنه أحيانا يكون المحكوم عليه مظلوما لـكن هـذه الحالة موجودة فى كل مكان وزمان وفى كل المحاكم وتبعـة المظلوم لا تـكون على القضاة والحـكام مالم يتعمدوا بل على الشهود ومن يقوم مقامهـم وكذلك حكم الخلفاء والسلاطين والملوك والامراء ومن هذا القبيل نقول أن أبا جعفر المنصور ثانى الخلفاء العباسيين قتل بغير سبب معـلوم أبا مسلم الخرسانى مع أن أبا مسلم المذكور هو الذى أسس الدولة العباسية وله عليه فضل كبير وكان المنصور يضارع الامام مالـكا فى العلم والورع قبـل توليته الخـلافة وكذلك قتل الخليفة هـارون الرشيد جعفرا البرمكى واقتتال كل من الامين والمأمون ابنى هارون الرشيد ثم قتل الاول وكذلك قتل محمد المنتصر العباسى أباه الخليفة المتوكل على الله وكون المقتدر بالله الخليفة العباسى خلع مرتين أو ثلاثا قهرا عنه وغير ذلك من هـذا القبيل مما يطول ذكره وما كان فيهـم عناصر مختلفة الاجناس والاديان من مسلمين وغير مسلمين معشار مافى الدولة العلية من العناصر المختلفة المذكورة ثم ان عذر الدولة العلية أكثر من كافة دول الاسلام الماضية

Digitized by Google

والحاضرة لعدم امكانها استجلاب محبة جميع هذه العناصر خصوصا فى الامور المدسوسة عليها ومن أعذارها أيضا اتساع البلاد واضطرارها فى سالف الزمن الى اعطاء التفويضات للولاة فى الادارة وغيرها لصعوبة المواصلات وعدم وجود تلغرافات وسكك حديدية وسفن بخاريه وكانت تلك التفويضات مضرة فى حقيقة الامر غالبا حيث انه اذا ظلم أحد الولاة الرعية وطغى وشعرت الدولة بذلك عزلته وولت غيره فالمعزول اذا كان من ذوى القوة ربما يعصى وتضطر الدولة لاعطاء قوة حربية للوالى الجديد لتأييد سلطته ولاخراج سلفه حتى جاء زمن السلطان محمود البطل الهمام فأبطل هذه العادة المضرة من ضمن مآثره الحميدة فى ايجاد الحياة الجديدة للدولة ولحد الآن تعذر الدولة فيما يحصل أحيانا فى أطراف المملكة من التشويشات بين العناصر المختلفة حيث لم يكن أحد فى الدول أوسع مملكة من الدولة العلية خلاف الروسيا ولا أقصد من ذلك مستعمرات انكلترا الكثيرة حيث انها تخالف شكلا بلاد الدولة العلية التى تبلغ تقريبا أكثر من عشرة آلاف كيلومترات طولا وكذلك عرضا برا وبحرا مع عدم وجود كثرة السكك الحديدية وصعوبة انشائها وغير ذلك فبذا لا يلتفت الى أقوال المتشدقين فى شأن الدولة وبما ذا يؤوّل هؤلاء والذين يعصون الدولة أحيانا مثل أمراء اليمن ومن على شاكلتهم ما ورد فى القرآن الشريف من قوله تعالى (يا أيُّها الذين آمنُوا أطيعُوا اللهَ وأطيعوا الرسولَ وَأُولى الأمرِ منْكم) هل فى هذا العصر موجود خليفة أحق من السلطان المعظم بالطاعة له وتحريم مخالفته أو لم يكن للآية الشريفة حكم فى هذا العصر تالله انهم لفى ضلال مبين ولم يكن لهم جواب عن ذلك ولا أوهن من بيت العنكبوت وأين هم من الحديث الشريف الوارد فى الصحيحين عن ابن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (على المرء المسلم السمعُ والطاعةُ فيما أحبَّ أو كرِهَ إلا أن يُؤمَرَ بمعصية الله فلا سمْعَ ولا طاعَةَ) فهل يأمر الخليفة بمعصية الله وقد كثرت المجالس والمدارس فى عصره ومنعت الموبقات فهو حفظه الله تعالى يحكم

Digitized by Google

بواسطة تلك المجالس نعم ان جلالته مهاب من الله تعالى وكل من فى قلبه مرض يهرب من عدل سطوته و لجلالته من المزايا والفضائل مالا يدخـل تحت حصر وهو الذى جيش الجيش العظيم وفيه من رباط الخيل الآلاف المؤلفة المسوّمة عملا بقوله تعالى (وأعدّوا لهم ما استطعتم مِنْ قُوّةٍ ومن رِبَاطِ الخيلِ تُرهِبُون به عَدُوَّ اللهِ وعدُوَّكم الخ الآية) وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صـلى الله عليه وسـلم قال (مَن احْتبسَ فرَساً فى سبيلِ الله إيماناً واحتساباً وتصديقاً بوعده فانَّ شِبَعَهُ وَرِيَّهُ وَرَوْثَهُ وبَوْلَهُ فى ميزانه يومَ القيامة) فـابال من احتبس أكثر من مائة ألف مثلا أو لم يسمع الذين يصدقون الدسائس قول الله تعالى (ياأيّها الذين آمنوا إن تُطيعوا فَريقاً من الذين أوتوا الكتابَ يَرُدّوكم بعد ايمانكم كافرين) وجـلالته قائم بشعائر الدين يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى منع الخمر والفسوق وشدّد النكير عليهما اتباعا لقول الله تعالى (ولْتَكُنْ منكم أمّةٌ يَدْعونَ الى الخـير ويأمرونَ بالمعروف وينْهَوْنَ عَن المنكرِ الآية) واتباعا لما ورد فى صحيح مسلم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (من رأى منكم مُنكَراً فلْيُغَيّرْهُ بيده فان لم يستَطِعْ فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعفُ الأيمان) فهل أحد قائم بهذا الامر مثـل جلالته كلا فلما ذا لايقتدى أفراد الأمة بجلالتـه ألم يسمعوا هذا الحديث وقد فرض الله على الامة القيام بطاعة أوامره ونواهيـه وبمحبته لما ورد فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (مَن أطاعنى فقد أطاعَ اللهَ ومَن عصانى فقدْ عصَى الله ومن يُطع الأميرَ فقد أطاعنى ومن يَعص الأميرَ فقد عصانى) فتأملوا رحمكم الله فى معنى هذا الحديث الشريف حيث جعل صلى الله عليه وسلم طاعة الامير طاعة له ومعصية الامير معصيته له فالخليفة حفظه الله هو أمير الامراء العمومى المحامى عن الدين والدنيا المحافظ على دماء المسلمين فاذا حكم واجتهد فأخطأ فله أجر واذا حكم

Digitized by Google

واجتهد فأصاب فله أجران وقد ورد فى الصحيحين عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اذا حَكَمَ الحاكمُ فاجْتَهدَ فَاصابَ فلهُ أجران واذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجْرٌ) هـــذا ويقال أن بعض المتشدّقين الجهـلة يقولون أخذا من الدسائس أن عساكر الدولة أقل درجة فى التنعم من عساكر الدول ولم يعلموا أن الدولة العليـة تضاهى الدول العظمى فى القوة وغـيرها مع أن وارداتها لاتبلغ السدس من ايرادات الدول التى تضاهيها فى القوة والمنعة وما ذلك الا من الاقتصادات التى يعجز عنها غيرها ثم ان المسلمين لم يوجـدوا فى الدنيا للتباهى بالغنى والملبوسات الفاخرة والمسابقة مع غيرهم من أهل الدنيا فى التنعم بل وجدوا لاعلاء كلمة الله تعالى فكانت الصحابة رضوان الله عليهم حفاة عراة جياعا عطاشى بخلاف أعدائهم المتزينين والمتنعمين بالغنى والثروة وهم أساس المسلمين وأئمتهم ونحن مقتدون بهم وقد ورد فى الصحيحين عن عمر رضى الله عنه قال (دَخَلْتُ على رسول الله صلى اللهُ عليه وسلَّمَ فاذا هو مُتَّكِئٌ على رمال حَصيرٍ قد أثَّرَ فى جنبـه فقلتُ أسْتَأنسُ يارسولَ الله قالَ نعم فجلَستُ فرفعتُ رأسى فى البيت فوالله مارأيتُ فيه شَيأ يردُّ البصَرَ إلا أُهْبَةً ثلاثةً فقلتُ أدْعُ اللهَ أن يُوَسّعَ على أمَّتـكَ فقـد وسَّعَ على فارسَ والروم ولا يعبـدونَ اللهَ فاستوى جالساً ثم قال أفى شَكٍّ أنتَ يابنَ الخطاب أولئكَ قومٌ عُجِّلَتْ لهم طيباتُهم فى الحياة الدنيا فَقلتُ استغفرْ لى يارسولَ الله) ويعلم من الحديث الشريف انّ تخشن المسلم لايشينه بل يرفعه ثم ان الدولة العلية دولة حربية بالرغم عنها ذات نفقات دائمية كثيرة من كثرة الاعـداء والمتحزبين فلا لوم عليها اذا لم تكن دولة تجارية صناعية من الدرجة الاولى نظرا لما ذكر ولان التجارة والصناعة من شأن الامة فلو كانت الامة نشيطة ولا أقصـد من ذلك الاتراكَ وحـدهم لان أغلبهم جنود لكانت التجارة والصناعة والزراعة متوفرات فاذاً اللوم على الامة لاعلى الدولة ومع ذلك فعندها الفابريقات اللازمة لهـا والحاصل ان التخشن أو عدم تزين

العساكر ونحوهما لا يشين الدولة فى نظر المؤمنين المتنورين والعقلاء فتذكر يامن ملئ دماغه وفؤاده بالدسائس ماورد فى الصحيحين عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت (ماشبع آل محمد من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم) وفيهما عنها قالت (كان يأتى علينا الشهر مانوقد فيه نارا انما هو الأسودان التمر والماء الا أن نؤتى باللحم) وفيهما عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لاتسبوا أصحابى فوالذى نفسى بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه) فاذا كانوا وهم أفضل الامة بلا خلاف وغزاة الله وأحزابه لاينقص قدرهم عريهم ولا جوعهم بل عد ذلك من كمالاتهم ومن أسباب فضلهم وشرفهم فلا عار على عساكر الدولة لو جاعوا أحيانا أو تمزقت ملابسهم فبدلا عما يتشدق المتشدقون بمثل هذه الاقوال الفارغة وهم فى سكرة تنعمهم فى ظل الدولة عليهم أن يوقظوا ويعظوا الامة المتنعمة بنعمة الله تعالى فى عز هذه الدولة بمساعدتهم اخوانهم العساكر الذين هم تحت السلاح فى الحر القايظ والبرد القارص لحفظهم من المخالب ببعض دراهم أو ملبوسات اقتداء بما فعل جلالة الخليفة حفظه الله تعالى واتباعا لما ورد فى الصحيحين عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (المسلم أخو المسلم لايظلمه ولا يشتمه ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله بها عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله تعالى يوم القيامة) وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال ان النبى صلى الله عليه وسلم قال (لايستر عبد عبدا فى الدنيا الا ستره الله يوم القيامة) ثم ومن أهم مايجب على المسلم أن لايغتاب أحدا ممن يرى أفعاله لايرتاح اليها ضميره وبالاخص خليفة المسلمين وقد قال الله تعالى (ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا

Digitized by Google

فَكرهتموه الآية الخ) حتى ولو كان فى المغتاب ما يقال عنه فلا يجوز ذكره فقد ورد فى صحيح مسلم عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (أتدرون ما الغيبة قلت الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكره قلت وان كان فى أخى ما أقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته) ولا يغتر بما يراه من الفتن فقد ورد فى صحيح مسلم عن سعد بن أبى وقاص انه أقبل مع النبى صلى الله عليه وسلم ذات يوم من العالية حتى اذا مر بمسجد بنى معاوية دخل فركع فيه ركعتين وصلينا معه ودعا ربه طويلا ثم انصرف الينا فقال سألت ربى ثلاثا فأعطانى اثنتين ومنعنى واحدة سألت ربى أن لا يهلك أمتى بالسنة (١) فاعطانيها وسألت ربى أن لا يهلك أمتى بالغرق فأعطانيها وسألت ربى أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها وعن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشى والماشى فيها خير من الساعى من تشرف لها تستشرفه ومن وجد ملجأ أو معاذا فليعذ به) وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (اياكم والظن لأن الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تنافسوا (٢) ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا (٣) وكونوا عباد الله اخوانا كما أمركم المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى هاهنا التقوى ههنا ويشير الى صدره بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله ان الله لا ينظر الى

(١) أى القحط والجدب
(٢) أى لا ترغبوا فيما رغبه الغير من أسباب الدنيا وحظوظها
(٣) أى لا تقاطعوا

Digitized by Google

أجسادِكم ولا إلى صُوَرِكم وأعمالِكم ولكن ينظرُ الى قلوبِكم) وفيهما عنه (سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أىُّ الناسِ أكرمُ قال أكرمُهم عند الله أتقاهُمْ) وقد يختلج فى الافكار ويتراءى للانسان وقائع ظاهرها فى غير محلها ويعترض عليها فلا ينبغى ان يتسرع بالاعتراض والاغتياب ولذا أبرئ نفسى ممن يقدح او يغتاب أحداعند مطالعته هذا الكتاب وقد يمكن أخذموعظة عظيمة فى ذلك من الحديث الشريف الوارد فى الصحيحين عن بن عمر قال (حرّق رسول الله صلى الله عليه وسلم نخلَ بنى النّضيرِ وقطَع وهى البُوَيْرَةِ (١) فنزل (ماقَطَعْتُمْ من لِينَةٍ أو تَرَكتمُوهَا قائمةً على أُصولِهَا فبأذنِ الله وَلِيُخْزِىَ الفاسقينَ) وذلك ان المسلمين وجدوا فى أنفسهم شيأ من قول بنى النضير اذ قالوا ان هذا فعل الفساد والانبياء كيف يأمرون بفعل الفساد فأنزل الله تعالى الآية بان ذلك باذنه فذهبت وساوس الشيطان من قلوب الذين وجدوا فى أنفسهم شيأ ثم لايخلو الزمن من حدوث الخيانة أو شبه الخيانة فانظر ماحدث فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا القبيل كما ورد فى الصحيحين عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه أنه قال بعثنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أنا والزبيرُ والمِقدادُ فقال انطلقوا حتى تأتُوا رَوضَةَ خَاخ (٢) فَانَّ بهاظعينةً معها كتابٌ فخذوه منها قال فانطلقنا تتعادَى بنا خَيْلُنا حتى أتينا الروضةَ فاذا نحنُ بالظعينةِ فقلنا أخرجى الكتاب فقالت ما معى من كتاب فقلنا لتُخرجى الكتابَ أو لتُلْقِينَ الثيابَ فأخرجتْهُ من عِقَاصِها فأتينا به النبىَّ صلى الله عليه وسلم فاذا فيه من حاطِبِ بْنِ أبى بَلْتَعَةَ الى أناسٍ من المشركين من أهل مكة يُخبرُهم ببعضِ أمرِ النبى صلى الله عليه وسلم فقال عليه الصلاة والسلام ياحاطبُ مَاهذا فقال يارسول الله لاتَعْجلْ علىَّ انى كنتُ

(١) موضع لبنى النضير بها نخيل وغيرها (٢) موضع بقرب حمراء الاسد من المدينة

Digitized by Google

امرءاً مُلصَقاً فى قريش ولم أكنْ من أنفسهم وكان من معك من المهاجرين لهم قَرَابات يَحْمُون بها أهلَهُم وأموالَهم بمكةَ فاحببتُ اذ فاتنى ذلك من النَّسَبِ فيهم أن أتَّخذَ منْهم يَداً يحمُون بها قرابتى وما فعلْتُه كفرا ولا ارْتداداً عن دينى ولا أرْضَى بالكفرِ بعد الاسلامِ فقالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد صَدَقكم فقال عمر رضى الله عنه دعنى يارسول الله أضربْ عُنُقَ هذا المنافق فقال عليه السلام انه قد شَهد بدْراً وما يُدريك لعلَّ اللهَ أطْلَعَهُ على أهل بدرٍ فقال اعملوا ماشئتم فانى قد غفرتُ لكم) ثم من ضمن غلط بعض من لم يعرف حقائق الامور التسرع الى ذم من يظهر التوادد والميل من أمراء المسلمين أو عظماء رجال الدولة لاحدى الدول أو أحد عظمائها لامر مجهول نعم انه يجوز ان ينتج من ذلك اما شر او خير وقد سبق حصول منافع فى الاسلام من بعضهم وهذا التوادد جائز اذا كان على قصد نفع الامة وقد ورد فى الصحيحين عن أسماء بنت أبى بكر الصدّيق رضى الله عنهما قالت قَدِمَتْ علىَّ أمى وهى مشركة فى عهد قريش اذْ عاهدوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ومُدَّتهم فاستَفْتَيْتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقلتُ يارسول الله ان أمى قَدِمَتْ علىَّ راغبةً أفأصلُها قال نعم صِلِيها فأنزل الله تعالى (لايَنْهَاكم اللهُ عَنِ الذين لم يُقاتلوكم فى الدّين ولم يُخْرِجُوكم من دِيارِكُمْ أن تَبَرُّوهُمْ وتُقْسطُوا اليهم إنّ اللهَ يُحِبّ الْمُقْسطين) والخاصل انه يجب على كل مسلم أن يحفظ لسانه عن الغيبة ويمنع نفسه من سوء الظن فى المسلمين وبالاخص أمراؤهم فقد ورد فى صحيح مسلم عن نواس بن سمعان قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والاثم فقال البِرُّ حُسْنُ الخُلُقِ والاثْمُ ماحاكَ فى صدرك وكرِهْتَ أن يَطَّلِعَ عليه النّاسُ) ومن المعلوم ان الغيبة من الكبائر وحدُّها ذِكْرُكَ أخاكَ بما يَكْرَهُ ثم أوصى اخواننا المسلمين الذين وقعوا فى مخالب الاجانب بتقوى الله والصبر عملا بالحديث الشريف الوارد فى صحيح البخارى عن خباب بن الادث

Digitized by Google

قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا ألا تستنصرُ لنا ألا تدعُو لنا فقال قد كان مَنْ قبلكم يؤخذُ الرَّجل فيُحفَرُ له فى الارض فيُجعلُ فيها ثم يُؤتى بمنشار فيُوضع على رأسه فيُجعَلُ نصفين ويُمشَطُ بأمشاط الحديد مادُونَ لحمه وعظمه مايصدُّه ذلكَ عن دينـه والله لَيُتِمَّنَّ اللهُ هذا الأمرَ حتى يَسيرَ الراكبُ من صَنْعاءَ الى حضرَمَوْتَ لايخافُ الا اللهَ والذئبَ على غَنَمه ولكنكم تستعجلُونَ) وأوصيهم أيضا بالمحافظة التامة على اقامة شعائر دينهم وعدم قبول مساسها مطلقا حتى لا يكونوا من الذين خسروا أنفسهم فى الدنيا والآخرة من أجل حطام الدنيا الفانية فاذا استضعف الناس ولم يحافظوا على كرامة دينهم خشية الاذى فقد حقت عليهم الذلة ولا عذر لهم لدى الخالق جل وعلا يوم القيامة فقد قال الله تعالى (إنَّ الذين توفَّاهُمُ الملائكةُ ظالمى أنفُسهم قالوا فيمَ كنتم قالوا كنَّا مُستضعفين فى الارض قالوا ألم تكنْ أرضُ اللهِ واسعةً فتُهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنَّمُ وساءت مصيراً الا المُستضعفين من الرجال والنساء والولْدان لا يَستطيعونَ حيلةً ولا يَهتدُونَ سبيلاً فأولئك عسَى اللهُ أنْ يَعفُوَ عنهم وكان اللهُ عفُوّاً غفُوراً ومنْ يُهاجِرْ فى سبيل الله يَجدْ فى الارض مُراغَماً كثيراً وسَعةً ومَن يَخرُجْ من بيْته مُهاجِرًا الى الله ورسوله ثم يُدرِكْهُ الموتُ فقد وقَعَ أجرُهُ على الله وكان الله غفوراً رحيما) وفى الحديث (من فَرَّ بدينه من أرض الى أرض وان كان شِبْراً من الارض استَوْجبتْ له الجنةُ وكان رفيقَ ابراهيمَ ونبيِّه محمد صلى الله عليه وسلم) وبالاختصار انه لايجوز للمسلم ان يقيم فى بلد لا يستطيع أن يحفظ دينه فيها وبمعنى أوضح ان من لم يتمكن من اقامة دينه فى بلد كما يجب وعلم أنه يتمكن من اقامته فى غيره حقت ووجبت عليه المهاجرة حيث لله الحمد بابها مفتوح فى كل وقت الى الاراضى الواسعة فى بلاد الدولة العليـة ولما كان أهم شئ فى هذه الدنيا للمسلم حفظ دينه فقد فرض الله عليه الجهاد والقتال لاجل ذلك ولكنه لا يجوز

Digitized by Google

للمسلم ان يقاتل المسلمين من غير أهل ملته و بالاخص عساكر الخليفـة أيده الله تعالى بنصره ومصـداق ذلك انه خرج من مكة أناس ممن أسلموا ولم يهاجروا الى غزوة بدر مع المشركين فقتلوا فانزل الله تعالى فيهم وفى أمثالهـم (ان الذين توفاهم الملائكة الآية الماضية) ثم أوصى من يزعم من المسلمين بجواز ايصال الاذى الى غير أهل ملته الغير المحارب بان هذا الزعم باطل ومن يفعل شيأ من ذلك فقـد خالف الله ورسوله والشريعة الاسلاميـة وأن الواجب هو معاملتهم بالمعروف ومكارم الاخلاق وناهيك بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك الواردة فى كتاب منشآت السلاطين ونصها (بسم الله الرحمن الرحيم هـذا كتابٌ كتبَهُ محمدُ بنُ عبـد الله الى كافة الناس أجمعين رسولُه بشيراً ونذيراً ومُؤتمناً على وديعة الله فى خلقه لئلا يكونَ للناس على الله حُجَّةٌ بعدَ الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً كتبه لأهل ملَّة النصارى ولمن تَنَحَّل دينَ النَّصرانية من مشارق الارض ومغاربها قريبها وبعيدها فصيحها وعجمها معروفها ومجهولها جُعل لهُم عهداً فمَنْ نكثَ العَهْدَ الذى فيه وخالفَهُ الى غيره وتعدّى ما آمرُهُ كان لعهـد الله ناكثاً ولميثاقه ناقضاً وبدينه مُستهزئاً وللّعنة مُستوجباً سُلطاناً كان أمْ غيرَهُ من المسلمينَ وان احتمى راهبٌ أو سائحٌ فى جبلٍ أو وادٍ أو مغارة أو عُمْرانٍ أو سَهْلٍ أو رَملٍ أو بِيَعـةٍ فانا أكونُ من ورائهم اذُبُّ عنهم من كلِّ غَـيْرَةٍ لهم بنفسى وأعوانى وأهلى وملّتى وأتباعى لانهم رعيَّتى وأهلِ ذمَّتى وأنا أعْزِلُ عنهم الاذَى فى المؤَن التى يَحملُ أهلُ العهد من القيام بالخراج الا ما طابت له نفوسُهم وليسَ عليهـم جبرٌ ولا اكراهٌ على شيءٍ من ذلك ولا يُغَيَّرُ أسقُفٌ من أسْقُفيَّتـه ولا راهبٌ من رُهبانيَّته ولا حَبيسٌ من صَوْمعته ولا سائحٌ من سياحَته ولا يُهدمُ بيتٌ من بُيوت كنائسهم وبِيَعهم ولا يَدخل شيءٌ من مالِ كنائسهم فى بناء مساجد المسلمين ولا فى بناء

منازلهم فمن فعل شيأً من ذلك فقد نكث عهدَ الله وعهدَ رسوله ولا يُحمل على الرُّهبان والاساقفة ولا مَن يتعبَّدُ جزيةً ولا غرامةً وأنا أحفظُ ذمتهم أينما كانوا من برّ أو بحرٍ فى المشرق والمغرب والجنوب والشمال وهم فى ذمتى وميثاقى وأمانى من كلّ مكروه وكذلك مَن يتفردُ بالعبادة فى الجبال والمواضع المباركة لايلزمهم مما يزرعونه لاخراجٌ ولا عُشرٌ ولا يُشاطرونه لكونه برسْم أفواههم ولا يعاونون عندإدراك العلة ولايُلزمون بخروج فى حرب وقيام بجبْريّة ولا من أصحاب الخراج وذوى الاموال والعقارات والتجارات مما هو أكثرُ من اثنى عشر درهما بالجملة فى كل عام ولا يُكلَّفُ أحدٌ منهم شططاً ولا يجادلونَ إلا بالتى هىَ أحسنُ ويحفظونهم تحتَ جناحِ الرَّحمة يَكُفُّ عنهم أذيَّةَ المكروه حَيثُما كانوا خيثما حَلُّوا وان صارت النَّصرانيَّةُ عند المسلمين فعليها برضاها ويُمكّنها من الصلاة فى بيَعها ولا يُحَال بينها وبينَ هوَى دينها ومَن خانَ عهدَ الله واعتمدَ بالضدّ من ذلك فقد عصَى ميثاقَه ورسولَه ويُعاونوا على مرمّة بيَعهم ومواضعهم وتكونُ ذلك مقبولةً لهم على دينهم وفعالهم بالعهد ولا يُلزمُ أحدٌ منهم بنقل سلاح بل المسلمون يَدّموا عنهم ولا يُخالفوا هذا العهدَ منه أبداً الى حين تَقومُ الساعةُ وتنقضى الدُّنيا انتهى

ولا حاجة الى زيادة ايضاح فى هذا القبيل بعد ايراد هذه الوصية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أوصى عقلاء المسيحين الذين هم من رعايا حكومات الاسلام وعلى الاخص الدولة العليـة التى لها كثير منهـم بل معظمهم بأن يتـدبروا فى الامور ومعاملاتهم مع حكوماتهـم وخلطائهم المسلمين لانهم خـير لهـم من الاجانب الذين يظهرون لهم بياض أسنانهم والشفقة عليهم ويخدعونهم بانواع الاوهام بالاستقلال وما شاكله وفى الحقيقة هم يخـدمون مصالحهـم ومصالح دولهم ليس الا ولقد انخدعت الامة البولونية وغيرها وكان عاقبتها ماهو معلوم من تمزيقها واذلالها

Digitized by Google

حتى أنهم منعوا أن يتكلموا بلغتهم الاصلية وغير ذلك من أنواع الاذلال على يد من خدعهم من أهل ملته ولا عبرة بمن نال الاستقلال المؤقت اذ ان الظروف قضت بذلك رغما عن الجميع الى انتهاز الفرص وأما الدولة العلية أيدها الله بنصره فانها منحت المسيحيين وغيرهم الحرية التامة فى دينهم ومعابدهم ولغاتهم ومدارسهم مع احترام رؤساء دياناتهم ومعافاتهم من العسكرية وغير ذلك من تلقاء نفسها قديما وحديثا مما لايتحصلون على معشاره من غيرها وليعلموا انهم اذا صاروا تحت يد دولة أجنبية لاقدر الله يكونون غرباء فى بلادهم وأذلاء يساقون فى الجيش الى الامام فى المواقع الحربية لان ضباطهم الاجانب يفضلون بقاء أبناء جنسهم عنهم ويجعلونهم شبه خدمة لهم كسياس ونحوهم بخلاف ماذا عرفوا حق حسن العشرة مع الدول الاسلامية فيكونون أعزاء وتحفظ نعمهم وراحاتهم مع عزهم عند الاجانب أيضا ولعلهم لايشعرون بالنعم التى هم فيها الآن لان الانسان لايشعر بقيمة النعم غالبا الا بعد زوالها كما ولا يشبع من الطمع الوهمى فالعاقل من يعلم الاشياء من قبل التجارب قياسا على ما مضى وما هو معروف والحاصل ان طلباتهم الوهمية هى كطلبات بنى اسرائيل اذ قالوا لَنْ نصبرَ على طعام واحد فادعُ لنا ربَّك يُخرِجْ لَنا مما تُنبتُ الارضُ من بَقلِها وقثّائها وفُومها وعَدَسِها وبَصلِها فردّ الله عليهم بقوله (أتَستبدِلون الذى هو أدنى بالذى هو خيرٌ) أو كانسان سئمت نفسه من المأكولات الفاخرة فمالت الى غيرها ولو أدنى منها فالعاقل هو الذى يتأمل ويتفكر فى الامور ليختار أحسنها وأسلمها عاقبة والله الموفق للصواب ولاأعنى بذلك الاالذين تنطبق عليهم هذه الحالة خاصة

﴿ الحكومة المطلقة ﴾

يدس أعداء الدولة العلية بين المسلمين من وقت الى أخر الدسائس لايجاد الفتن ويصفون الدولة باسوء الاوصاف ويقولون انها والاسلام على وشك السقوط والزوال (لا قدر الله ذلك) . يريدون بذلك شراً لها على الخصوص والاسلام على العموم لما رب في النفوس وكراهة في الصدور. نعم أن المسلمين الآن فى تأخر زائد وكثيراً منهم وقعوا فى مخالب الاجانب لانحرافهم عن الشرع الشريف وانشقاقهم وتفرقهم ولقد كانوا فى قوة هائلة وحضارة زاهرة لحد القرن السادس ثم باستمرار تفرقهم وانشقاقهم وقتال بعضهم بعضاً سلط الله عليهم الامة التترية من الشرق والافرنجية من الغرب فالاولى استولت على ثلثاى ممالك الاسلام تقريباً والثانية استولت على معظم الشام وهددت مصر مراراً فكانت وطأة الاولى هائلة وفظيعة فوق ما يتصور ولكن الله من على الامة الاسلامية بعد تأديبها باسلام التتر فعادت القوة لها كما كانت بل واكثر. واما الثانية فبعد الحروب العديدة المتقطعة بينها وبين المسلمين المعروفة بالحروب الصليبية نحو قرن ذهبت مغلوبة من حيث أتت وبعد انقراض الدولة العباسية فى منتصف القرن السابع قطعت أمال المسلمين من رجوع القوة الاسلامية ولو باقل مما كانت عليه قبلا ولم يمض على ذلك قرن حتى من الله تعالى برجوع القوة وزيادة كما ذكر فظهرت الدولة العثمانية خلدها الله تعالى الى يوم القيامة بقوة عظيمة وبهجة عجيبة كالبدر فى أفق السماء بما ابهر العقول وبعد ثلاثة قرون وثلث تقريبا اصابها ما اصاب دول الارض من الفتن الداخلية والمشاغب الخارجية واستمرت الحروب معها بالرغم منها لان جسم الدولة مركب من عناصر كثيرة مختلفة الاجناس والاديان

Digitized by Google

والمذاهب متباينة المشارب والاغراض يناضون ويقاتلون بعضهم بعضا كما هو المشاهد عيانا لحد الآن فاذا كانت الامة تريد راحة بالها ورجوع القوة الى اصلها وازيد فما على أفرادها الا أن يحبوا بعضهم بعضاً بتأليف القلوب بينهم والمعاملة بالعدل والانصاف والاستقامة سواء كانوا اهالى او حكاما وعدم خروجهم عن احكام الشرائع السماوية ومع ذلك فتمسك جميع هذه العناصر بمحبة الدولة اوشخص جلالة السلطان من المحال والدليل على ذلك أن أعداء الانبياء صلوات الله عليهم كانوا يقولون فيهم اشنع مما يقول اعداء الدولة فيها مع انهم معصومون وموصوفون بجميع الكمالات البشرية منزهون عن النقائص ولا يفعلون الا بوحى سماوى فلذا يرى أن أقوال الاعداء التى من هذا القبيل لا تشين الدولة التي أقل اوصافها هى محاسن الاخلاق والشهامة والمروءة والشفقة واغاثة الملهوف ونصرة المظلوم وقبول من يلتجىء اليها مستغيثاً من غير تحيز لجنسه ولا دينه ولا مذهبه وحمايته مما يخاف ولو من عدو جبار كما تثبت ذلك التواريخ ولقد أغاثت فرنسا من اسبانيا وملك أسوج من بطرس الكبير وغيرهما فأى شيء من هذه الخصال الحميدة فى دولة غيرها؟ على أننا نرى الآن القوى اذا افترس بضعيف مظلوم يملأ هذا الآفاق بصراخه ولا يجد من يغيثه مع ان سكان الجبال الهمجية اذا تعدى أحد منهم على آخر اجتمع كبراؤهم ومنعوا الظالم عن المظلوم منهم فالدول الزاعمة بالتمدن المتناهي اذا كانت صادقة فى زعمها هذا فلتتفق منهن على الاقل ثلاث لاغاثة المحكومات الضعيفة بغير تعصب ولا ميل لاملة كانت أو جنس كان والا فلا تمدن ولا شهامة ولا مروءة! فلذلك ترى المؤمنين والعقلاء يقدسون ويعظمون سلاطين آل عثمان حيث أيد الله بهم الاسلام ستة قرون وربع وهي تقرب من نصف حياة الاسلام ونسأل الله تعالى أن يؤبد الاسلام بهم الى يوم القيامة. ثم نذكر

فريقا من الامة الاسلامية وهم المخلصون المحبون للدين والدولة والوطن المتسلط على أفكارهم القنوط واليأس من رجوع العز والعظمة للاسلام بان هذا غير جائز لا شرعا ولا عقلا ولا عادة فقد قال الله تعالى (لا تقنطوا من رحمة الله) ورحمته تعالى ليست مقيدة بالآخرة بل كل شيء يصيب الانسان من نعمة الله من جلب نفع أو دفع ضر فهو من رحمة الله (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) فارسال سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام في الدنيا متعلق بما ذكر من دنيوى وأخروى وقال تعالى (ولا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون) وقال تعالى (ويخلق مالا تعلمون) وغير ذلك مما فى القرآن والاحاديث وأما عقلا فليعلم مثل هؤلاء ان الاسلام بدأ بشخص واحد وهو رسول الله صلى عليه وسلم ثم خديجة ثم أبو بكر رضى الله تعالى عنهما ثم أفراد وأزواج وهم محاطون بالالوف من طغاة وعتاة وصناديد كفار قريش ويعذبون من قدر عليه ذلك منهم بأنواع العذاب حتى أعز الله الاسلام شيأ فشيأ وما كان يصدق فرد واحد من البشر بان سكان جزيرة العرب يملكون بلاد فارس والروم في ذاك الوقت في ظرف ربع قرن كما حصل بل ولا الى يوم القيامة فضلا عن ذلك فان بعد انتقال الرسول عليه السلام ارتد أكثر أهل اليمن فقاتلهم أبو بكر والصحابة رضى الله عنهم حتى أعز الله الاسلام بما لا يتصور واذا قال قائل ان ذلك كان لاجل النبي واظهار دينه واخلاص الصحابة فى الدين فنقول ان الرسول عليه السلام أرسل الينا جميعا بشيرا ونذيرا لاعلاء كلمة الله ولم يكن لرسالته ميعاد تنتهي اليه وما يمنعنا نحن من الاخلاص فى الدين مثل الصحابة حتى تكون لنا النصرة كما كانت لهم ولما كانت خطتنا الاختصار فى هذا الكتاب فتكفى هذه الامثال لهؤلاء الرجال لرجوعهم عن هذه الاوهام ولا يجعلون ثقتهم بالله قليلة ونسأل الله التوفيق. ثم ان فريقا آخر عليهم واجبات هم مقصرون فيها وهم

Digitized by Google

الاغنياء والرؤساء والحكام فالاولون لعدم مساعدتهم لحكوماتهم بما يعينهم على مشروعاتهم الخيرية لحفظ بلادهم فان بعضهم اذا قام ببعض مساعدات بعد تكرار التردد والوساوس ولم يحصل عقب ذلك ما كان يؤمله من أمور الدنيا ندم على هذه المساعدة وعزم وجزم على أن لا يساعد مرة أخرى فليعلم هؤلاء الاغنياء أن النصرة لا تأتي بهذه الاحوال وانما الاعمال بالنيات ولله خزائن السموات والارض فالصحابة رضي الله تعالى عنهم كانوا ينفقون مما ملكت ايديهم في سبيل الله فاغناهم الله تعالى بعد الشدائد الهائلة لسلامة نياتهم وصبرهم وقد ورد في الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (ما من يوم يصبح فيه العباد الا وملكان ينزلان يقول أحدهما اللهم اعط منفقا خلفاً ويقول الآخر اللهم اعط ممسكا تلفا) وفيهما عنه أن رسول الله قال (قال الله تعالى أنفق ينفق عليك) وفيهما عن اسماء بنت أبي بكر الصديق قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أنفق ولا تحصي فيحصي عليك ولا توعي فيوعي عليك) أي لا تشحي فيشح الله عليك ويجازيك بالتقتير في رزقك ولا يخلف عليك. ألم يعلم هؤلاء الاغنياء ان الاعداء اذا سادوا على بلادهم لا قدر الله ذلك لا تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم التي هم حريصون عليها شيئاً فضلا عن ذهاب مجدهم وعزهم وربما يذهب منهم دينهم أو دين أولادهم وذرياتهم على تمادي الايام. ألم يعلم هؤلاء ان الانسان يأمن على وديعته عادة عند الاغنياء أمثالهم فكيف لا يأمنون على وديعتهم عند مالك الممالك سبحانه وتعالى مالك الدنيا والآخرة بانفاق بعض من أموالهم في سبيله وقد قال الله تعالى (من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له وله أجر كريم) وقال تعالى (وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين) الى غير ذلك مما يطول شرحه وقد وعد الله الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله بمضاعفة الجزاء من عشرة الى سبعمائة الى ما لا نهاية كما

Digitized by Google

قال الله تعالى (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) وقال سبحانه وتعالى (مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم) وقال جل وعلا (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) وفي النسائى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (شر ما فى الرجل شح هالع وجبن خالع (١) وفيه (لا يجتمع غبار فى سبيل الله ودخان جهنم فى جوف عبد أبداً ولا يجتمع الشح والايمان في قلب عبد أبداً) والحاصل ان المؤمن يجب عليه أن يتذكر ان شدة الحرص على الاموال ربما أوجبت اتلافها بمصائب غيبية كأصحاب الجنة الذين ذكرهم الله تعالى فى سورة ن بقوله تعالى (انا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة اذ أقسمو ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون فأصبحت كالصريم) الآية . ومعنى ماورد عنهم انهم كانوا اخوة من أهل الصلاة وكانت هذه الجنة لابيهم بقرب صنعاء اليمن وكان يأخذ منها قوت سنة ويتصدق بالباقى على المساكين فلما مات قالوا ان فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الامر فعزموا وحلفوا على أن يصرموها خفية عن المساكين فاحرقها الله تعالى جزاء على شح أنفسهم بمنع المساكين. والحاصل ان من يعتقد ان ماينفقه فى سبيل الله من ماله الحلال ينقص أمواله ويترتب عليه فقره فهو قليل الثقة بالله وربما يحرم من ماله بهذا السبب فنعوذ بالله من ضعف الدين وشح النفس. انما يتذكر أولو الالباب وأما واجبات الرؤساء والحكام فهي اتحادهم وانضمامهم الى بعضهم لايجاد القوة المترتب عليها حفظ بلادهم واتحاد الجميع مع أكبرهم شأنا وأقواهم عملا وهو الخليفة الاعظم سلطان الدولة العلية لان كلا منهم يعتبر نفسه بأنه أعظم وأشرف

(١) الهلع شدة الجزع والخلع شدة الخوف الذى يكاد ينخلع منه الفؤاد

Digitized by Google

من الآخر وهذا هو الضلال المبين والبلاء الجسيم ورأس كل المصائب وهو عين التفرق الممنوع شرعا والمنهى عنه بل ان هـذا التنافس الفاسد والوهم العقيم هو السبب الوحيد في خراب البلاد وضياعها وتشويه وجه أهل الاسلام عموما ألم يأن لهم أن يتداركوا هذه العلة القاتلة للاسلام بمحوها ويتخذاو بدلها طرق الرشاد وهي الاتحاد والتعاون والتعاضد والتحابب فى الله تعالى كما أمر بقوله تعالى (انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم) واتباعا لما ورد في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يقول الله تبارك وتعالى يوم القيامة اين المتحابون بجلالى اليوم أظلهم فى ظلى يوم لا ظل الا ظلى) ولا يترتب على ذلك حرمان أحد من حكومته أو مملكته بل انما يترتب عليه حفظ البلاد من الاغتيال ولا يغرنهم الدسائس المقصود بها دوام التفرق بين المسلمين لسهولة الاغتيال ولقد مر علينا من أمثال ذلك مايكفى لايقاظنا ولعل حضرات علماء الاسلام من جميع العناصر فى مشارق الارض ومغاربها يتوسطون في أحياء الاتحاد العام والتحابب بواسطة تزاورهم واتحادهم بالاخلاص التام فيما يعظون به الامم الاسلامية وحكامها اذ هم أولى بذلك فاذا قاموا بهذه المهمة التى هي أكبر خدمة للاسلام حيث ينقذونه من الخطر العظيم المحدق به فقد قاموا بوظائفهم الحقيقية المفروضة عليهم حيث انهم ورثة الانبياء وهم محترمون لدى العالم والحمد لله قد صار المسلمون الآن اكثر من كافة الاعصار الماضية وهم ثلثمائة مليون تقريبا اكثر من ثلثى المسيحيين ويقرب عددهم من نصف سائر الامم وعلى الاغنياء والحكام اعانة هؤلاء الافاضل بما يمكنهم من قيامهم بهذه المهمة من مال وغيره حيث قضاء الحاجات لا يكون الا بالدراهم والا فلا تعود عادة عظمة الاسلام كما كانت ثم ان السبب الوحيد لانحطاط قدر المسلمين

هو شيء واحد وان كان له فروع وذلك هو الانحراف عن الشرع الشريف الحاصل من الامم وقد قال الله (ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك) وليست نفس الاصابة من الانسان وانما أسبابها أعمال الانسان كما قال تعالى (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) وقال تعالي (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب) فلو نظرنا بعين البصيرة لوجدنا الحالة في الشعوب أصعب مما يتصورها الانسان وانما الشعوب لاهية الا القليل وهكذا اذا فشت فى أمة أو بلدة عادة قبيحة فاهلها لا يشعرون بها مثل الامة المستقيمة فيا أيها العلماء والعظماء ان اعوجاج الامم عن الشرع الشريف قد بلغ الى أسوأ حال أفلا تسعون فى اعتداله ولو بازالة جزء منه بقدر ما فى الامكان فكل راع مسؤل عن رعيته وقد كثر الفساد وزادت البدع مع ما هو جار من العوائد القبيحة المخالفة للشرع التى كانت في الامم قبل اسلامهم مثل الندب والوشم وأمثالهما ولكن فى الاعصار الماضية كان العلماء والامراء يأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر ويقيمون عليهم الحدود فكان الله حافظهم فى بلادهم من تسلط غيرهم عليهم لان الله لا يحب الجهر بالسوء وربما يستغرب البعض من ضربنا الامثال بالندب والوشم وهما من عادات العامة التى يظنون انها جائزه مع أنه ورد فى الصحيحين عن عبدالله بن مسعود (لعن الواشمات والمتوشمات) (١) فهو منهى عنه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية)فلو استقامت الامم ما أصابتها هذه المصائب وما جاءت الا من ارتكاب المحرمات انتقاما

(١) الوشم هو الدق المعروف والواشمات فاعلان الوشم، لمتوشمات طالبات الوشم لانفسهن

Digitized by Google

من الله ومن البديهي انه لا يمكن وجود حكومة رؤفة شفوقة لينة العريكة مع شعوب عاصية عاتية قد كثر فيها الكذب والفسوق والعصيان بالقتل والسرقة وشهادة الزور والغيبة والنميمة وأكل الحرام منهمكة فى ارتكاب المحرمات سرا وجهرا وكذلك لاتوجد حكومة جائرة ظالمة في أمة مستقيمة الاحوال مطيعة لله ورسوله وأولى الامر منهم بل كما يكونون يولي عليهم فقد قال الله تعالى (وكذلك نولى بعض الظالمين بعضاً) وبالاختصار انه اذا استقامت الامة فلا تقدر حكومتها على ظلمها وهذا لا ينافي وجود بعض حكام أو ولاة دأبهم الطمع والظلم وهم غافلون عن أنهم مسؤلون عما يعملون فانهم رعاة وكل راع مسؤل عن رعيته كما جاء فى الحديث الشريف فليعلم هؤلاء الولاة أنهم ان ظلموا أوجاروا فمسؤليتهم لدى الخالق سبحانه وتعالى لاتشبه مسؤلية الافراد لان الفرد يقدر أن يظلم فردا مثله فقط وأمامهم فيمكنهم أن يظلموا بكلمة واحدة آلافا أو ملايين من النفوس فاذا وضع الله هذه الذنوب فى كفة موازينهم فكيف يكون الحال (ومن خفت موازينه فأمه هاوية وما أدراك ماهية نار حامية) فليتقوا الله وليتذكروا فقد ورد في الحديث الشريف عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أحب الناس الى الله يوم القيامة وأدناهم عنده مجلسا امام عادل وأبغض الناس الى الله وأبعدهم منه مجلساً امام جائر) (الترمذى) وفى صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما ولوا) ومن المعلوم ان الله سبحانه وتعالى منزه عن الجوارح والمكان وأن ماورد في الحديثين الشريفين وأمثالهما من قرب وبعد ونحو ذلك فالتأويل راجع الى تفضل الرب على العبد

Digitized by Google

بما يسره وأما الوصف كاليد ونحوها فقد ورد على صيغة يفهمها البشر ولها تأويل يليق بجلال الله سبحانه وتعالى وان كان هذا أمرٌ معروف فى كتب الاسلام لكن أوضحناه هنا مختصرا حتى اذا اطلع من لم يعلم ذلك على هذين الحديثين وأمثالهما أراح نفسه من الاعتراض المشين أو الارتباك والحاصل ان مثل عدل الحاكم الكبير كمثل غيث يعجب الزراع فيحيي به الله قوت آلاف أوملايين من النفوس وكذلك ظلم الحاكم الكبير كمثل رجل أشعل فتيلة ألغام هائلة فانفجرت فأهلك بها الالوف من الناس أو كزلزلة عظيمة هلك بها ألوف أو ملايين فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا ولذا نقول ان الدول والامم تشبه الافراد من حيث تعرض لها الامراض فالاختلالات الداخلية فى الممالك تشبه الامراض الباطنية وأسبابها الحكام الجهلاء الظالمون ودواؤها الحكام العادلون مع الحزم والعلم والمشاكل الخارجية كالقروح الظاهرة فى الاجسام ودواؤها القوة واليقظة ولقد أصيبت الدولة العلية من هذه الامراض بما لو كان فى غيرها لكانت القاضية والحمد لله قد تجددت لها حياة جديدة قوية فهى فى النمو المستمر نسأل الله تعالى دوام نموها وتزايد قوتها الى ماشاء الله انه على كل شئ قدير وبالاجابة جدير وأطال الله عمر مولانا السلطان الاعظم عبد الحميد خان الثانى وأنجاله الكرام وخديوينا المعظم عباس الثانى وأنجاله الكرام آمين

Digitized by Google

١ السلطان عثمـان الاول

السلطان الاول هو السلطان عثمان خان الغازى بن ساوجى بك بن أرطغرل بك ابن سليمان شاه بك بن فياألب رئيس قبيلة قابى باسيا الوسطى والى هذا ينتهى النسب الصحيح وما بعده مختلف فيه وكانت ألقابهم (قابى خان) ومعناه خان قابى وكان من أمرهم انه لما ظهر التتر من أقصى آسيا واستولوا على البلاد الاسلامية وأفسدوا فيها بالقتل والسلب والنهب هاجر سليمان شاه من وطنه مدينة ماهان بقبيلته العظيمة البالغ عدد محاربيها ألفا فارس الى الاناضول فى القرن السابع من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى السلام فاقام بمدينة اخلاط فلما انتشر التتر وقربوا من تلك المدينة هاجر منها الى أذربيجان وبعد مدة أراد الرجوع الى وطنه الاصلى فسار مع قبيلته الى أمام قلعة جعبر من أعمال ولاية أورفه وعند عبورهم نهر الفرات وقع فيه سليمان شاه ومات غريقا ودفن تحت القلعة المذكورة وكان له أربعة أولاد وهم سنقور تكين وكون طوغدى (١) وهذان عادا الى وطنهما ولم يعلم لهما أحوال وأرطغرل بك (٢) ودندان وهذان سارا بالقبيلة الى أرضروم بالاناضول ووضعوا خيامهم بمحل يسمى (صرملوچقور صحراسى) — (٣) وصار أرطغرل بك رئيسا على القبيلة وأرسل ابنه ساوجى بك الى السلطان علاء الدين السلجوقى يلتمس منه مسكنا له ولقبيلته ومرعى لمواشيهم وكان سلطانا على جزء عظيم بالاناضول فاجابه الطلب وتوفى ساوجى بك وهو عائد الى أبيه ثم تصادف ان فرقة من التركمان تحارب عساكر السلطان علاء الدين واذا بأرطغرل بك مار عليهم فهجم بقبيلته على التتر فانهزموا شر هزيمة فكافأه السلطان علاء الدين بطومانيج واسكى شهر (٤) بواديهما ثم انه مات فى سنة ٦٨٠ هجرية بالغا من العمر فوق ٩٠ سنة فصار حفيده

(١) أى ابن النهار أو طلعة الشمس (٢) أى رجل عقاب (٣) أى صحراء نقرة القصب (٤) أى المدينة القديمة وهى مدينة مشهورة

Digitized by Google

عثمان كوندز ألب (١) رئيسا على القبيلة وهو المؤسس للدولة العثمانية خلدها الله الى يوم الدين ولنذكر بعض وقائعه المهمة قبل توليته السلطنة وذلك ان والى الولايات التابعة لامبراطورية القسطنطينية أعنى دولة برنتيس التى كان مقرها وقتئذ الاستانة كان يسمى تكفور فالتكفوريون المجاورون لعثمان وقبيلته كانوا يعتدون على قبيلته فيضطر للمقاومة وفى أغلب الوقائع يكون النصر له حتى استولى على جملة قلاع وجهات كثيرة وصار يضم مايكتسبه الى ممالك السلطنة السلجوقية حتى انه استولى فى سنة ٦٨٥ هجرية على (قره جه حصارى) - (٢) فلقبوه بالغازى ودعوا له فى الخطبة ولما استشهد أخوه فى هذه الواقعة خاف تكفور بله چك من استفحال العداوة فاراد الغدر بقتل عثمان وتفضيله ان تكفور المذكور تزوج بابنة تكفور (يارصار) فى سنة ٦٨٩ ودعا عثمان للوليمة فى صحراء چاقر بيكار وأعدّ رجالا للفتك به وكان رسول الدعوة يسمى كوسه ميخال حاكم حَرْمَنْ قبا وكان وفيا لعثمان وصديقا له باطنا بسبب محاسن أخلاقه وشجاعته ومروءته فاخبره سرا بما هو منوى فشكره عثمان على ذلك وأجاب الدعوة وقال له انى سأحضر وبعون الله لايحصل لى ضرر ثم انه جمع فرقة من شجعان الفرسان وجعل بعضهم كمينا وأرسل ٤٠ شجاعا فى زى مساكين الى قلعة بله چك وأمرهم بضبط القلعة حال اشارته اليهم

أما هو فانه ذهب الى الوليمة وجلس متيقظا واذا برسول أتاه بضبط القلعة بمن أرسلهم فقام وأظهر شبه الفرار واذا برجال الغدر ظهروا وراءه وعند وصولهم الكمين ظهر عليهم واقتتلوا معهم فانهزم رجال الغدر فغنم عثمان العروس وما معها وأرسل فى الحال محافظا للقلعة وفتح أيضا قلعة إِنَّه كُول وسميت العروس نِيلُوفَر وزوجها لابنه أورخان فولدت منه سليمان باشا والسلطان مراد الاول وهى التى بنت كبرى نهر بروسه المشهور ولحد الآن يسمى نهر وادى بروسه

(١) أى قهرمان النهار وهو ابن ساوجى بك السابق ذكر وفاته

(٢) محل مشهور بالاناضول

Digitized by Google

نيلوفار على اسمها وهى مدفونة بمدفن أورخان بعلها ببروسه وفى سنة ٦٩٩ هجرية الموافق ١٢٩٩ ميلادية انقرضت السلطنة السلجوقيـة بموت السلطان عـلاء الدين السلجوقى فى قونيـة بلا ذرية فاجتمع الوزراء والاعيان وقرروا أنه لايليق للسلطنة سوى عثمان الغازى فعرضوا عليـه هذا الامر فأجاب طلبهـم وصار سلطانا من هذا التاريخ وجعل مقر سلطنته يكى شهر (١) ثم ان التكفوريين الاربـع وهم حكمدار بروسه وحكمدار اطره نوس وحكمدار كستل وحكمدار كتّه اتفقوا على معاداة السلطان عثمان وهجموا على مدينـة يكى شهر محل السلطنة فقابلهم السلطان بجوار قيون حصار وبعد قتال انهزم المتفقون وقتل تكفور كستل وهرب تكفور كتّه الى ارنوس وفى سـنة ٧١٧ أنشأ السلطان قلعـة على مسافة ربـع ساعه من بروسه بالقرب من المياه المعدنية الموجودة الآن وعين عليها ابن أخيه الاصغر آق تيمور وأنشأ قلعة أخرى وعين لها مملوكه بلبان چق سردارا فحاصر بروسه وقد أسلم كوسه ميخال المعهود فعينـه السلطان رئيسا على فرقة من الجيش فاستولى هو وأورخان بن السلطان على قره حصار ولغـكة وجادر لق ويكيجه بغـير قتال وعلى آق حصار (٢) وتكفور بيكار بالحرب وعلى قلعة قره جيش بعد أسر محافظها وكذا استولى أورخان على بروسه صلحا وعقب ذلك مرض السلطان عثمان فى سنة ٧٢٦ وأوصى ابنه أورخان بمـالزم ثم توفى رحمة الله عليه وكان مولده فى سنة ٦٥٦ ومن المصادفات الغريبة ان مولد هذا السلطان كان قبل انقراض الخلفاء العباسـيين فى بغداد بسنة واحدة ولله فى خلقه شؤن

﴿ أسماء معاصرى السلطان عثمان من الملوك وجهاتهم ﴾

أوروبا

الاستانة ..... برنتيس أى امبراطورية الاستانة

الاستانة ..... ميخال بالولوغوس

(١) أى المدينة الجديدة (٢) أى الحصار الابيض

Digitized by Google

الاستانه ..... اندريقو بالولوغوس ثم ابنه ميخال اندريقوس الثالث

الاندلس ..... عمر المرتضى ..... حاكم

فرنسا ..... فيلب الرابع ثم ابنه لؤى العاشر ثم جان الاول ثم فيلب الخامس ثم شارلى الرابع ..... ملوك

انكلترا ..... ادوارد الثانى ثم وارغون الثالث ..... ملوك

قاستيل ..... فردنيند الرابع ثم ابنه الفونس الحادى عشر ثم ملك قنبورادوار ثم ولارس الرابع

بوهميا ولهتسان (بولونيه) . وان سلاس الرابع ثم جان ..... ملوك

المجر ..... شارلى روبرت ..... ملك

المانيا ..... فردريك الثانى ثم قوزاد الرابع ثم ريشاردوس ثم رودولف الاول ثم هنرى ..... ملوك

ساردنيا ..... فيلب الاول ..... امبراطور

نابولى ..... شارلى ..... امبراطور

آســـيا

بغداد ..... بايروخان ثم كمن جاتوخان ..... حاكم

الروم ..... السلطان ركن الدين ثم ابنه غياث الدين كى خسرو الثالث

خرسان ..... أرغون خان ..... حاكم

آسيا ..... محمود غازان خان ثم محمد خدا بنده ثم أبو سعيد بهادر خان

عراق العجم ..... الامير مظفر ..... حاكم

الصين ..... قابله قانه منقوخان ثم ابنه وبعد خلعه تايتو

لاهور ..... السلطان جلال الدين ثم ابنه أبو سعيد عثمان

أفريقيـــا

تونس ..... المستقر بالله ..... حاكم

Digitized by Google

مصر ..... الحاكم بأمر الله العباسى ثم المستكفى بالله ثم السلطان الملك الناصر ..... خلفاء

فاس ..... يعقوب بن عبد الخالق ثم ابنه أبو سعيد عثمان .... حكام

٢ السلطان أورخان الاول

السلطان الثانى هو السلطان أورخان وقد ولد فى سنة ٦٨٠ وتولى السلطنة فى ١٧ رمضان سنة ٧٢٦ بالغا من العمر ٤٦ سنه فدّة سلطنته ٣٥ سنه وكانت عاصمته أولا يكى شهر ثم بروسه واتخذ أخاه علاء الدين وزيرا له وفوض له الامور الادارية وهو أول وزير فى الدولة العثمانية وفى سنة ٧٢٧ أرسل امبراطور قسطنطينية امدادا عظيما الى تكفور أزميد لمحاربة أورخان وانبنى على ذلك استيلاء عبد الرحمن الغازى وقوركور ألب على حصار قندرة ومحاصرتهما قلعة ايدوس فأرسلت ابنة محافظها مكتوبا الى عبد الرحمن الغازى ترشده عن الطرق المسهلة لفتح القلعة ففتحت بسببها وأرسل الغازى المشار اليه الغنائم مع البنت المذكورة الى السلطان فأكرمها غاية الاكرام وزوجها بعبد الرحمن الغازى المذكور وفى سنة ٧٢٨ فتح السلطان بنفسه أزميد وقيون حصارى وغيرهما وفى سنة ٧٢٩ سنّ الوزير علاء الدين قانونا للادارة وفتح ضرب خانه فضرب نقودا كثيرة باسم أورخان وأنشأ جيشا منتظما من المسلمين باسم يكى جرى (١) وخير غير المسلمين فى الدخول فى الجيش فدخل البعض وفى سنة ٧٣١ حصلت مناوشات بين الاروام والمسلمين نتج منها فتح مدينة ازمبيق وعين فيها سليمان باشا ابن السلطان محافظا وقدسلم الاروام الساكنون فى ضواحيها أنفسهم للمحافظ المذكور وفى هذا العام توفى الوزير علاء الدين وعين بدله سليمان باشا المذكور وفى أثناء ذلك طلب امبراطور القسطنطينية الصلح فقبله منه السلطان ومن سنة ٧٣٢ لغاية سنة ٧٤٥ لم تحصل حروب بل اشتغل السلطان

(١) أى العسكر الجديد

Digitized by Google

بنظام الداخلية وفى سنة ٧٤٦ جدد السلطان الصلح مع الامبراطور وذهب بعائلته الى اسكودار وهى مدينة باسيا أمام الاستانه فاستقبله الامبراطور ثم عاد وبعد ذلك اتفق الامبراطور مع حكومة الونديك على مضادة السلطان وهذا أول اتفاق بين ملوك المسيحيين على مضادة العثمانيين فعين السلطان ابنه سليمان باشا الوزير سردارا فى عموم روملى ومعه كوسه ميخال والحاج ايلى وغيرهما من الامراء وفى سنة ٧٥٦ عبروا البحر الابيض واستولوا على كليبولى وفى أثناء ذلك حصلت فتنة فى عائلة امبراطور الاستانة وطلب من سليمان باشا الاعانة فأرسل اليه رجالا واذا بالاروام وحكومات المجر والصرب والبلغار والافلاق اتحدوا على محاربة العثمانيين وطردهم من أوروبا وهذا الاتفاق الثانى منهم فاضطر سليمان باشا الى سرعة مقابلتهم وبعد قتال عنيف انتصر عليهم وأعقب ذلك زلزلة عظيمة فهدمت أغلب القلاع والمدن ولم تشغل سليمان باشا عن الحرب بل فتح تكفور طاغى وما حولها فطلب الاروام استرداد ذلك بدفع نقود تعويضا ولمصادفة فتح جهات أخرى بمعرفة الحاج ايلى لم يتم الاسترداد وعقب ذلك تصادم فرسه بشجرة عظيمة وهو راكب أثناء صيده فمات بذلك سنة ٧٦١ وبوصول هذا الخبر المحزن لابيه السلطان توفى أيضا بالغا من العمر ثمانين سنة وكان أولاده ثلاثا مراد وسليمان وقاسم فالاخير مات صغيرا

الاتفاق الاول

الاتفاق الثانى

﴿ أسماء معاصرى السلطان أورخان ﴾

اوروبا

قاستل ..... الفونس الحادى عشر ثم ابنه بترو ..... ملوك

البرتغال ..... دانيزى ..... ملك

انكلترا ..... أدوارد الثالث ثم ريشاريد الثانى ..... ملوك

رومه ..... أدرين السادس ..... بابا

موسقو ..... ولادمير ..... دوق

Digitized by Google

بزانتيس ..... يوانى بلالؤغوس ..... امبراطور
فرانسا ..... فيلب السادس ..... ملك
الدانمرك ..... اديس الثامن ثم أخوه قلاسطوف ثم ألوف
نروج ..... ألوف بن قرسطوف ملك الدنمرك ..... ملك
غرناطه ..... يوسف أبو الحجاج ثم ابنه محمد الرابع ..... حكام
جبل طارق .... عيسى بن محمد ..... حاكم
المجر و بلونيه ... الوى ثم شارلى الرابع ابن امبراطور ألمانيا ثم ابنه ناسلانى . ملوك

آســـيا

صادوخان .... السلطان ارتياه
درابزون ..... مانوأل ثم بازيل ثم ميخال ..... ملوك
قبرص ..... أوكست الرابع ..... ملك
بغداد ..... مرزا يلخانى ثم ابنه أويس ..... أمراء
شمال الهند ... السلطان علاء الدين ثم صفرخان
مصر ..... الملك الناصر ثم ابنه الملك المنصور بعد خلعه الملك الاشرف علاء الدين ثم بعد نزعه الملك ناصر شهاب الدين ثم بعد خلعه وقتله الملك صالح عماد الدين ثم الملك الكامل شعبان ثم الملك المظفر ثم السلطان حسن
فاس ومراكش . أبو سعيد بن عثمان ثم ابنه أبو الحسن ثم بعد خلعه عمه يوسف ثم أبو سالم ثم أبو ثابت سليمان ملك بالاســـتقلال من بنى مرسين ..... ملوك

٣ السلطان مراد الاول

السلطان الثالث هو السلطان مراد الاول وقد ولد فى سنة ٧٢٦ وجلس سنة ٧٦١ بالغا من العمر ٣٥ سـنة مدة سلطنتـه ٣١ سـنة وبينما هو مجتهد فى نظام

Digitized by Google

الداخلية واذا باولاد قرمان (١) قد اتحدوا مع بقية حكام المسيحيين المجاورين وهجموا على بروسة وازنيق فقاتلهم السلطان وهزمهم واستولى على قلعة انقره فى سنة ٧٦٢ وفى سنة ٧٦٣ عين شاهين بك لاله (٢) سر عسكر وعين خليل جاندرلو قاضى بروسة بوظيفة (قاضى عسكر) لينظر فى قضايا عساكر الجيش وهو أول من تقلد بهذه الوظيفة المحدثة وبعدها تولى الصدارة العظمى ودعى بخير الدين باشا وهذه الوظيفة فى عصرنا هذا من الرتب العلمية ثم حصلت مناوشات حدودية فأرسل الحاج أيلى اورنوس بك ففتح قلاع بيطورجو رلى ومسللى وبرغوس وبرغاز وديمتوقه وكشان ثم فى شهر القعدة من سنة ٧٦٣ فتحت مدينة أدرنة العظيمة الشهيرة الى الآن وعين لها شاهين باشا محافظا وفى سنة ٧٦٤ عين أورنوس بك على سواحل روملى الجنوبية لفتح كوملجنة وتوابعها ففتحها وعاد السلطان الى بروسة وفى سنة ٧٦٥ فتح شاهين باشا مدينة فيلبه فى شمال روملى اذ ذاك وما حولها وفتح أورنوس بك جهات سيروز ومناستر وبهشتنة وموشنه وما حولهن وصارت أعمال هذه الجهات الاربع وتوابعها ولاية واحدة وعين فيها أورنوس بك واليا عليها بعد ان أنعم عليه برتبة أمير الامراء وفى سنة ٧٦٦ اتفقت الدول المسيحية لاخراج العثمانيين من قطعة أرض أوربا بالتماس البابا فاجاب كل من ملك المجر وملك بوسنه وملك الصرب وحكام افلاق وبعد ان جمعوا عساكرهم وهجموا على البلاد على حين غفلة قابلهم شاهين باشا والحاج أيلى بك ليلا فاندهشوا وتشتتوا بعد قتال شديد وكان عساكر الاعداء المتفقين ٦٠ ألفا وفى رواية ٣٠ ألفا وعساكر العثمانيين ١٠ آلاف ولولا اختلال نظام الاعداء وحسن نظام العساكر العثمانيين وشجاعتهم وتدبيرات ضباطهم وعناية الله بهم لما انتصروا عليهم وخذلوهم وفى سنة ٧٦٧ فتح السلطان بنفسه قلعة بيغا

الاتفاق الثالث

(١) هم أمراء شبه ملوك الطوائف بالاناضول
(٢) أى مربى وهو مربى السلطان فى صغره

Digitized by Google

ثم عاد الى بروسة واشـتغل ببناء جوامع ومدارس وأبنية خـيرية وختن أولاده بايزيد ويعقوب جلبي وساوجي بك ولما بلغـه أن الاروام ينوون له السوء ذهب الى أدرنة منتظـرا مايكون وأنشأ فيها السراية الشهيرة وجعلها مقرا للسلطنة ثم حصل بعد ذلك مناوشات فى الحدود وتبين ان الاعداء طلبوا الاعانة من دولة اسبانيا ووعدتهم بها فغضب السلطان وشمر عن ساعد الجدّ حتى استولى فى سـنة ٧٦٨ على جهات يكيجه ويانبولى وأيدوس وقرق كليسا وبيكار حصارى وويزا وما حولهن ثم عزم على الانتقام من اسبانيا واجتهد فى ايجاد القوة البرية والبحرية واصلاح الداخلية لغاية سنة ٧٧١ وفى سنة ٧٧٢ حصلت مناوشات فى حدود العرب فقابلهم شاهين باشا وانتصر عليهم واستولى على جهات سماقو واهتمان وما حولهما وفى سنة ٧٧٣ ذهب السلطان الى سماقو لترتيب وتنظيم أحوالها وفى أثناء ذهابه سلم له قسطنطين حاكم كوسنديل مملكته بغير حرب ولا نزاع فكافأه السلطان بتعيينه حاكما عليها ثم عاد الى بروسه وفى سـنة ٧٧٤ نهب رجال امبراطور القسطنطينية جهات ويزه فذهب السلطان فى الجال ومعه شاهين باشا ففتح بلونيه بعد محاصرتها خمسة عشر يوما ثم فتح مدينة قره چق وقلعة التنجه كز فى نظير اعتداء الامبراطور ثم عاد الى أدرنة وفى سنة ٧٧٥ لقب أورنوس بك بالغازى وعين خـير الدين باشا الصـدر الاعظم لحفظ جهات غربى روملى وأخذ بلاد من يتعدّى على الحدود وبمعيته الغازى المذكور ففتح قوالة وما حولها ولم يتعرض للمجاورين لها ثم عاد بجيشه وفى سنة ٧٧٦ ذهب السلطان والصدر الاعظم الى بروسة لاشتغالهما بنظام الداخلية واصلاحها واذا بملك الصرب لازارى تسلط على بلاد الدولة فى سـنة ٧٧٧ فغضب السلطان وذهب بنفسه الى حدود الصرب فهرب لازارى الى الجبال فدعاه الى الحرب والا يستولى على بلاده تأديبا له فلم يقابله فاستولى على قلعة نيش فطلب منه لازارى الأمان وقبل ان يدفع ويركو ولا يتعرض لبلاد الدولة مرة أخرى فقبل منه ذلك وسحب جيشه عائدا الى بروسة على غير رغبة الجيش حيث كان قادرا

على الاستيلا على جميع بلاد الصرب بالسهولة وقال للجيش إننا لسنا بمعتدين وفى سنة ٧٧٨ سلم حاكم سلسنره بلدته المذكورة الى السلطان فكافأه بتعيينه حاكما عليها وعاد الى أدرنة ومن هذه السنة لغاية سنة ٧٨٣ لم يحصل اعتداء من أحد على بلاد الدولة بل اشتغل السلطان فى هذه المدة بتنظيم واصلاحات الداخلية وصار ينتقل من أدرنة الى بورسة ومنها اليها وفى سنة ٧٨٤ طلب ابن كرميان أحد ملوك الطوائف بالاناضول تزويج ابنته لبايزيد بن السلطان وجهزها من بلاده بمدينتى كوتاهيه وسما وبقلعتى اكرى كوز وطوشانلى والحاقهن بالممالك العثمانية فقبل منه السلطان ذلك أما أولاد قرمان الذين هم من ملوك الطوائف أيضا فصاروا يعتدون على ممالك الدولة فى جهات قونيه فارسل السلطان سفيرا مخصوصا الى من يسمى حسين بن حميد منهم لمشترى حقوقه من البلاد وهى اسبارته وما حولها فقبل وألحقت بممالك الدولة وفى أثناء ذلك فتح قلعتا برلبه ومانستر يهمة تيمور طاش باشا ولغاية سنة ٧٨٦ لم تحصل حروب وفى سنة ٧٨٧ مات خير الدين باشا الصدر الاعظم فى يكيجه وعين بدله ابنه على باشا قاضى عسكر

﴿ واقعة غريبة ﴾

ذهب السلطان الى أدرنة بعد ان نصب ابنه ساوجى بك محافظا على بروسه وهو يومئذ شاب فاستولت على عقله لذة السلطنة فأمر الخطيب ان يخطب باسمه ففعل طاعة للامر ولما بلغ السلطان الخبر عاد مسرعا الى بروسه فجهز الولد جيشا ممن أطاعه لمحاربة أبيه فأرسل السلطان اليه من ينصحه فلم يقبل فوقع الحرب فى وادى كته وانهزم عسكر الولد بعد أن أسر ولما أحضر أمام أبيه عاتبه على هذا الفعل الشنيع فرد عليه بما يغاير الادب فجال فى فكر السلطان ان ابقاءه يكون سببا لسفك دماء المسلمين فأمر بفقء عينيه وقد اتضح انه كان متفقا مع ابن امبراطور القسطنطينية ان كلا منهما يعصى أباه ويأخذ منه المملكة اما الامبراطور فانه لم ينتصر على ابنه حتى استعان بالسلطان فاعانه وغلبه وفعل

Digitized by Google

بابنه مافعل السلطان بولده وفى سنة ٧٨٨ ذهب الى أدرنه وجاءه الخبر بفتح صوفيه بمعرفة أينجه بلبانجق أحـــد قواد الشجعان فى الحدود ثم جاءه الخبر بان على بك بن قرمان مدّ يده على أخذ ماسبق مشتراه من حسين بك بن حميد المتقدّم ذكره فأسرع السلطان بالذهاب اليه بعساكر روملى وبوصوله الى قونيه أسرع على بك المذكور وشتت شمل أعـــوانه فطلب العفو فعفا عنـــه وعاد وفى سنة ٧٨٩ اتخذ ملك الصرب لازارى مشغولية السلطان بحرب على بك

الاتفاق الرابع فرصة لنقض العهد واتفق مع حكام المسيحيين بعـد ان أغراهم بأن السلطان لا يستطيع المقاومة مع اشتغاله بابن قرمان فاستولوا على بعض بلاد فارسل اليهم السلطان شاهين باشا بعشرين ألفا وكان واليا سلستره واشقودرة اللذان سبق تسليمهما بلادهما برضاهما للسلطان وكافأهما بتعيينهما واليـــين على بلادهما متفقين سرا مع لازارى فبوصول شاهين باشا الى بوسنه أسرعا بمقابلتـه تملقا ورجع لازارى بعسكره الى بلاده فأمر شاهين باشا عسكره بالنهب من بلاده كما تعدى بنهب بلاد الدولة فتفرقوا عنـه واذا بحاكم اشقودرة أرسل من يخبر لازارى ملك الصرب سرا بأن شاهينا باشا لم يكن معه من العساكر الا نحو ألف فاتحد لازارى مع ملك بوسنه وهجما على شاهين باشا فقتلوا أكثر من معه وخمسة عشر

الاتفاق الخامس ألفا من العساكر المتفرقة ونجا شاهين باشا بكل صعوبة وهذا الاتفاق الخامس ضد العثمانيين وفى الاثناء التمس امبراطور القسطنطينية من السلطان قبول زواج بناته الثلاث احداهن له والاثنتان لولديه بايزيد ويعقوب لربط القرابة بينهما فقبل منه ذلك وأجرى رسوم الافراح فى صحرا يكى شهر واذا بخبر شاهين باشا الآنف ذكره أتاه ففى الحال أرسل على باشا الصدر الاعظم بثلاثين ألفا وذهب هو أيضا على أثره بفرقة عظيمة من العساكر ففتح الصدر الاعظم قلاع براوادى وترنوى وشمنى ثم استقبل السلطان وفى سنة ٧٩٠ طلب السلطان صوجاتو حاكم ينكى بولى وسلستره المسيحى الى الجيش السلطانى كالعادة فتوهم ان هزيمة شاهين باشا ماهى الا من ضعف الدولة فاظهر مافى ضميره من العصيان وأبى عن الحضور فذهب اليه على باشا

الصدر الاعظم وحاصر ينكى بولى فطلب الامان و وسطه لدى السلطان فى العفو عنه على شرط تسليم قلعة سلستره فقبل بشرط ان لايعصى مرة أخرى و بعد ذلك غدر فلم يسلم القلعة وعصى فأرسل اليه الصدر الاعظم ثانيا بقوة عظيمة فاستولى على قلاع درفجيه وخيرهرار وخروات من ولايته ثم ذهب الى سواحل نهر الطونة وأما صوجماتو فانه تحصن فى قلعة ينكى بولى قليلا ثم طلب الامان و وسط الصدر الاعظم فقبل وعرض الامر على السلطان فعفى عنه وردّ له كافة أمواله وفقط عزله عن وظيفته حتى لا يعصى مرة أخرى وفى حرب قوصوه الشهيرة فى سنة ٧٩١ سعى لازارى ملك الصرب لدى حكام وملوك المجر وجهتان و بولونيه و بوسنه والبانيا وخروات وغيرها من سائر الحكومات المسيحية المجاورة للاتفاق ضدّ العثمانيين فجمعوا جيشا نحو المائتى ألف لاخراجهم وطردهم من أقاليم أوربا فاسرع السلطان بجلب عساكر الاناضول اليه بقيادة أولاده وباقى عظماء الحكام والضباط وفى يوم الثلاث ١٥ شعبان من هذه السنة اشتبكت الحرب فى صحراء قوصوه وكانت هائلة فحصل كرب عظيم للمسلمين من كثرة عساكر المتحدين فى أول الامر وبعد الصبر والاقدام حمل بايزيد بن السلطان بفرقته على الاعداء حملة منكرة فادهشهم وانهزموا شر هزيمة وأسر منهم كثيرون وقتل ملك الصرب (مؤسس العصابة) وبعض من البرنسات لكن أعقب ذلك أسف شديد إذ بينما السلطان يمر بين القتلى والجرحى لرؤية رجاله اذ قام صربى جريح من بين القتلى وأظهر حركة يرى منها ان مراده تقبيل قدمى السلطان بعد ان أظهر اسلامه واذا به قد أخرج خنجرا من ملابسه وطعن به السلطان فى بطنه فمات هو والقاتل فى الحال رحمة الله عليه رحمة واسعه وهو الذى أحدث الراية العثمانية على هيئتها الحالية وكان أولاده ثلاثا بايزيد وساوجى بك ويعقوب شلبى

الاتفاق السادس

Digitized by Google

﴿ اسماء معاصرى السلطان مراد الاول من الملوك وجهاتهم ﴾

أوربا

قريم .... أوزبك من فاميله جانكيزخان التترى ثم جانبك ثم روس بك ثم سيد مراد خان ..... أمراء

روسيه ... الكسندر الثانى ثم برنس الوان الاول بعد انضمام دوقة موسقو. ملوك

فرنسا .. شارلى ثم انقسمت قسمين ارمنتاس من درليان وبرغون .... دوقان

قاستيل .. ترستامار الثانى دوق ثم هنرى ثم جان الاول

انكلترا .. برنس نوار ثم ابنه رشياد الثانى وبعد خلعه هنرى الرابع

بوهميا ... الفونس الرابع

المانيا ... شارلى من فاميلية لوق سمبروغ ثم ملك بوهميا ثم ابنه وانسلاس الخامس

اسقوجيا . روبرق الثانى ثم استوار روبرق الثالث. ثم البرنسيس جاقه ثم ألحقت الى دوقية البانى

دانمرك ... الملكة مرغاريت

نروجيا .. » »

اسوجيا .. » »

ايطاليا .. كانت منقسمة جملة أقسام ثم آلت الى البابا بتوا

نابولى ... شارلى دوراى ثم ابنه لادسلاس بوسائط والدته سيلا ثم أخته جان

آسيا

بغداد ... الشيخ حسن بن الامير حسين ثم أويس بن ايلخان ثم حسين ثم الشيخ على حفيد أويس ثم السلطان حسين ثم السلطان أحمد

أفريقيا

مصر ... الملك سفر بعده سيف الدين سالار ثم المنصور أبو بكر ثم محمد بن قلاوون ثم السلطان حسن من الايوبيين

Digitized by Google

٤ السلطان بايزيد

السلطان بايزيد هو الملقب بيلدرم وسبب تلقيبه بذلك سرعة حركاته الحربية وشدته على الاعداء وقد ولد فى سنة ٧٦١ وجلس عقب وفاة أبيه فى سنة ٧٩١ وعمره ثلاثون سنه وبويع له بميدان الحرب فى قونيه ثم قام بالجيش وعاد الى العاصمة وبنى المسجد المشهور باسمه فى بروسة ثم أرسل تيمورطاش باشا الملقب برومللى بيكلربكى الى حدود الصرب وباشابك الى أسكوب وفيروزبك اليودين أما تيمورطاش فانه استولى على بعض من بلاد الصرب فطلب ملكه الجديد أن يكون تابعا للدولة العثمانية وتزويج أخته المشهوره بالجمال المسماة مليحه للسلطان بايزيد فقبل منه وبعدها ذهب الباشا المذكور الى بوسنه وفيروزبك الى افلاق ثم عاد بالغنائم الى بروسه وفى سنة ٧٩٢ هاجم على بك بن قرمان البلاد العثمانية ثم خاف وهرب فذهب السلطان الى قونيه فحاصرها فطلب أهلها ان يكونوا تبعا للسلطان بايزيد وسلموها له فعلا وأحيلت ادارة هذه الجهات الى تيمورطاش باشا وكذا البلاد المجاورة مثل أقشهر وغيرها وألحقت بالممالك العثمانية ثم ان على بك طلب الامان فقبل منه السلطان وأعطى له جهات لارنده وايج ايل وتوابعهما وعاد السلطان الى بروسه وفى سنة ٧٩٣ اعتدى كوتورم (من ملوك الطوائف) حاكم قسطمونى على البلاد العثمانية المجاورة له بالاناضول واعتدى حاكم الافلاق على بلاد الدولة برومللى فى آن واحد فأسرع السلطان بالذهاب الى افلاق وبوصوله طلب الحاكم المذكور العفو والامان فعفا عنه وفى أثناء ذلك هجم على بك بن قرمان على تيمورطاش باشا على حين غفلة فأخذه أسيرا ومعه كثيرين أيضا فلما بلغ الخبر السلطان أسرع بالذهاب اليه فتعجب الناس من سرعة وصوله مع بعد المسافة فلقبوه بيلدرم أى الصاعقة وأما على بك فانه أسرع بالهروب من شدة الخوف فانكب به فرسه وأخذ أسيرا وأعدم وسجن ابنه محمد بك فى بروسه وفى سنة ٧٩٤ تعدى برهان الدين رئيس قبائل جانيكيز خان الباقين فى جهات

Digitized by Google

﴿ اسماء معاصرى السلطان مراد الاول من الملوك وجهاتهم ﴾

أوربا

ڤريم .... أوزبك من فاميله جانكيزخان التترى ثم جانبك ثم روس بك ثم سيد مراد خان ..... أمراء

روسيه ... الكسندر الثانى ثم برنس الوان الاول بعد انضمام دوقة موسقو. ملوك

فرنسا .. شارلى ثم انقسمت قسمين ارمنتاس من درليان وبرغون .... دوقان

قاستيل .. ترستامار الثانى دوق ثم هنرى ثم جان الاول

انكلترا .. برنس نوار ثم ابنه رشياد الثانى وبعد خلعه هنرى الرابع

بوهميا ... الفونس الرابع

المانيا ... شارلى من فاميلية لوق سمبروغ ثم ملك بوهميا ثم ابنه وانسلاس الخامس

اسقوجيا . روبرق الثانى ثم استوار روبرق الثالث ثم البرنسيس جاقه ثم ألحقت الى دوقية البانى

دانمرك ... الملكة مرغاريت

نروجيا .. » »

اسوجيا .. » »

ايطاليا .. كانت منقسمة جملة أقسام ثم آلت الى البابا بتوا

نابولى ... شارلى دوراى ثم ابنه لادسلاس بوسائط والدته سيلا ثم أخته جان

آسيا

بغداد ... الشيخ حسن بن الامير حسين ثم أويس بن ايلخان ثم حسين ثم الشيخ على حفيد أويس ثم السلطان حسين ثم السلطان أحمد

أفريقيا

مصر ... الملك سفر بعده سيف الدين سالار ثم المنصور أبو بكر ثم محمد بن قلاوون ثم السلطان حسن من الايوبيين

Digitized by Google

٤ السلطان بايزيد

السلطان بايزيد هو الملقب بيلدرم وسبب تلقيبه بذلك سرعة حركاته الحربية وشدته على الاعداء وقد ولد فى سنة ٧٦١ وجلس عقب وفاة أبيه فى سنة ٧٩١ وعمره ثلاثون سنه وبويع له بميدان الحرب فى قوصوه ثم قام بالجيش وعاد الى العاصمة وبنى المسجد المشهور باسمه فى بروسة ثم أرسل تيمورطاش باشا الملقب برومللى بيكلربكى الى حدود الصرب وباشا بك الى أسكوب وفيروزبك الى ودين أما تيمورطاش فانه استولى على بعض من بلاد الصرب فطلب ملكه الجديد أن يكون تابعا للدولة العثمانية وتزويج أخته المشهوره بالجمال المسماة مليحه للسلطان بايزيد فقبل منه وبعدها ذهب الباشا المذكور الى بوسنه وفيروزبك الى افلاق ثم عاد بالغنائم الى بروسه وفى سنة ٧٩٢ هاجم على بك بن قرمان البلاد العثمانية ثم خاف وهرب فذهب السلطان الى قونيه فحاصرها فطلب أهلها ان يكونوا تبعا للسلطان بايزيد وسلموها له فعلا وأحيلت ادارة هذه الجهات الى تيمورطاش باشا وكذا البلاد المجاورة مثل أقشهر وغيرها وألحقت بالممالك العثمانية ثم ان على بك طلب الامان فقبل منه السلطان وأعطى له جهات لارنده وايج ايل وتوابعهما وعاد السلطان الى بروسه وفى سنة ٧٩٣ اعتدى كوتورم (من ملوك الطوائف) حاكم قسطمونى على البلاد العثمانية المجاورة له بالاناضول واعتدى حاكم الافلاق على بلاد الدولة برومللى فى آن واحد فأسرع السلطان بالذهاب الى افلاق وبوصوله طلب الحاكم المذكور العفو والامان فعفا عنه وفى أثناء ذلك هجم على بك بن قرمان على تيمورطاش باشا على حين غفلة فأخذه أسيرا ومعه كثيرين أيضا فلما بلغ الخبر السلطان أسرع بالذهاب اليه فتعجب الناس من سرعة وصوله مع بعد المسافة فلقبوه بيلدرم أى الصاعقة وأما على بك فانه أسرع بالهروب من شدة الخوف فانكب به فرسه وأخذ أسيرا وأعدم وسجن ابنه محمد بك فى بروسه وفى سنة ٧٩٤ تعدى برهان الدين رئيس قبائل جانيكيزخان الباقين فى جهات

قيصرية وسوَاسْ سكان الخيام النقالة على الحدود فذهب اليـه السلطان بجيشه فهرب الى جهة خربوت فقابله قره عثمان بك حاكم ديار بكر بعسكره و اقتتلا فقتل برهان الدين وهرب أعـوانه فضم السلطان قيصرية وسوَاسْ وتوقاد وملحقاتهن الى الممالك العثمانية وعاد الى بروسه وفى سنة ٧٩٥ ذهب الأوردى الهمايونى الى قسطمونى لتأديب كتودم السابق ذكره الذى مات قبل وصول الجيش اليه وهرب ابنه اسفنديار الى قلعة سينوب وضمت قسطمونى وصامسون وما حولهما الى الممالك العثمانيـة ثم هرب اسفنديار المذكور والتجأ الى تيمورلنك المشهور

الاتفاق السابع حاكم عموم فارس وخراسان و أفغان وسمرقند وغيرها وفى سـنة ٧٩٦ اتفق حكام الونديك و الافرنج والجنويز برا وبحرا على محاربة العثمانيين (وهو الاتفاق السابع) فأرسلوا سفنهم الى سلانيك ومنها تجاوزوا الحدود العثمانيـة فذهب السلطان اليهم وانتصر عليهم برا وبحرا واستولى على قلعة سلانيك ويكى شهر وتوابعهما ثم عاد الى بروسه وفى سـنة ٧٩٧ اتفق بالولوغوس امبراطور القسطنطينية مع المجر والصرب وفرنسا على العثمانيين فغضب السلطان وأخذ الأوردى الهمايونى وحاصر القسطنطينية وضرب الاسـتحكامات بالمنجنيقات لكن عبر ملك المجر ومن معه نهر الطونة وهجم على صوفيه وورين وينكى بولى فاضطر السلطان لترك محاصرة القسطنطينية وذهب بجيشه لمحاربة المتفقين وتقابل الجيشان بجوار الاجه حصار واقتتلا قتالا شديدا وأخيرا انتصر السلطان وانهزم عساكر المجر وفرنسا وباقى المتفقين وهرب ملك المجر بحالة صعبة وقتل من الطرفين ثمانون ألفا وعاد السلطان فى أواخر سنة ٧٩٨ وفى سنة ٨٩٩ أرسل السلطان تحسين بك بن تيمورطاش باشا طليعة الى الاستانة فبوصوله الى سواحل البحر الاسود استولى على حصار شيله ثم وصل الاوردى الى بوغاز البسفور فأنشأ هناك حصار الاناضول فخاف الامبراطور وأرسل للسلطان هدايا ونقودا وعرض عليه دفع الجزية سنويا وعجل بدفع جزية السنة وتعهد بعدم الغدر وعدم الاتفاق مع أحد على الدولة ثم اقترح الصدر الاعظم إضافة الشروط الآتية على تلك المعاهدة

Digitized by Google

وهى اسكان المسلمين بالاستانة ببعض محلات معينة وبناء مساجد لهم وضرب نقود باسم السلطان فقبل الامبراطور ذلك ونفذه فعلا وفى سنة ٨٠٠ أرسل أمير بخارى للسلطان بايزيد سيفا على سبيل الهدية والتعظيم وكذلك أعطى الخليفة العباسى الموجود بمصر للسلطان لقب وعنوان (سلطان أقاليم الروم) ثم استولى على مقدونيه وموراوأتينه وقلعة طرحان وهدّد فرنسا والمجر وأما الاناضول فان تيمورطاش باشا ألحق ملاطيه وكردستان وسيودك وكماح وغيرها بالممالك العثمانية فى سنة ٨٠١ وفى سنة ٨٠٢ استفحل أمر تيمورلنك الاعرج الاصل الذكر المشهور الذى هو من أولاد الامير جوبان ومعناه الغنام وصار يسلب بلاد الاسلام باسيا الوسطى من أيدى ملوكهم حتى وصل الى بغداد وعراق العرب فهرب حاكمهم السلطان أحمد جلاير من شره وكذلك هرب حاكم أذربيجان قره يوسف والتجأ بعائلتيهما الى السلطان بايزيد فارسل تيمورلنك الى السلطان بايزيد سفيرا بتسليمهما اليه فأبى ورجع السفير خائبا فغضب تيمورلنك وفى سنة ٨٠٣ هدم قلعة سواس وقتل ارطغرل بك بن السلطان بايزيد محافظها واستولى على ملاطيه واعطاها الى قره عثمان ثم ذهب الى الشام ضد السلطان برقوق سلطان مصر واستولى على قلعة حلب ومدينتى حماه وحمص وقلعة بعلبك ثم وصل الى دمشق فقابله وكيل سلطان مصر بجيشه واقتتلا قتالا شديدا فانتصر تيمورلنك أخيرا ثم خرب قلعة النجق وما حول ماردين وبغداد ثم ذهب الى تبريز وفى أثناء ذلك ضبط السلطان اذربيجان التى كانت من أملاك طاهر الدين الكردى تحت حماية تيمورلنك وسلمها لقره يوسف وفى سنة ٨٠٤ زاد تيمورلنك فى التسلط على الاملاك العثمانية يوما فوق يوم فدعاه السلطان بايزيد للحرب فحضر ومعه عشرين أميرا مستقلين تحت حمايته بينهم أمراء شروان وأمير كيلان وديار بكر وكردستان وبدخشان وخان تركستان الى انقره وأراد أخذ قلعتها من يد يعقوب بك محافظها واذا بالسلطان بايزيد وصل بجيشه الى (توقاد) أمام جيش تيمورلنك ففى يوم الجمعة ١٩ ذى الحجة من العام المذكور ابتدأ بالقتال

Digitized by Google

وكان جيش تيمورلنك سبعمائة ألف (١) وجيش السلطان بايزيد مائة وعشرين ألفا فلما رأى العساكر التتر الموجودون ضمن جيش بايزيد ان جيش تيمورلنك تترا مثلهم تركوا بايزيد وانضموا الى جيش تيمورلنك وكانوا خمسين ألفا فانهزم جيش بايزيد واشتغل الامراء بتخليص أولاده وأما هو فلم ينهزم ولم ييأس من النصرة بل صمد مع خواص رجاله على ربوة اما تيمورلنك فانه أرسل محمودخان من نسل جنكيزخان بغرقة للقبض على بايزيد فلما وصل اليه انكب فرس بايزيد به فحملوه وقدموا فاخذ الى تيمورلنك أسيرا فاهتم بالسؤال عن أولاده فارسل تيمورلنك وسلا للبحث عنهم واحضارهم فلم يجدوا سوى موسى شلبي فابتلى بايزيد بمرض الصدر والخفقان وبعد أربعة أشهر من أسره مات في يوم الخميس رابع شعبان تلك السنة بالغا من العمر أربعة وأربعين سنة فارسل تيمورلنك جنازته مع ابنه موسى شلبي المذكور الى بروسه ودفن بجوار مسجده المعلوم بها رحمه الله رحمة واسعة وكان أولاده سليمان شاه وموسى جلبي وعيسى جلبي ومحمد جلبي وقاسم جلبي ومصطفى جلبي وأرطغرل بك الذي قتله تيمورلنك كما مر

وقائع الاثنى عشر سنة الفاصلة بغير سلطان

لما حصل أسر وموت السلطان بايزيد كما مر حصل اختلال كلي في الممالك العثمانية وتزاحم أولاده على السلطنة فمنهم سليمان شاه ذهب في سنة ٨٠٥ الى بروسه واستولى على الخزينة ثم ذهب الى أدرنة وجلس على كرسي السلطنة بغير مبايعة خلافا للمعتاد لكن ظهر بالاناضول كثيرون يريدون الاشتراك في السلطنة حتى من لم يكن من العائلة السلطانية خصوصا أولاد قرمان فانهم اغتصبوا جهة قونيه وأما عيسى جلبي فانه اختبأ في جهة بروسه وأما محمد جلبي فانه ذهب الى اماسيه وصار يدافع عن البلاد من الاعداء الخارجية وفي سنة ٨٠٦ ذهب

(١) هكذا الاصل وربما لا يبلغ هذا القدر

سليمان شاه خوفا من تيمور لنك الى الاستانة وقابل الامبراطور واتفق وتحالف معه على الدفاع وفي نظير ذلك ترك له بعض مدائن بملحقاتها ورهن ابنه قاسما عند الامبراطور وفي أثناء ذلك ذهب موسى جلبي الى روملي من قبل محمد أخيه فعاد سليمان شاه الى أدرنة مسرعا وطرد أخاه موسى المذكور الى افلاق ثم عاهد جمهورية الونديك وأراد العودة الى الاستانة في سنة ٨٠٩ فقتل من يد بعض العساكر ولم أقف على الكيفية تماما وفي سنة ٨١٠ حضر موسى جلبي بمساعدة أخيه محمد وحاكم افلاق الى روملي ثانيا وفي سنة ٨١٣ ضبط أدرنة ولم يعارضه علي باشا الذي كان وزيرا لابيه ثم لاخيه سليمان شاه وفي سنة ٨١٤ مات الوزير علي باشا المذكور وتولى الوزارة ابنه ابراهيم باشا وفي سنة ٨١٥ رأى موسى جلبي ان أكثر أمراء وأعيان العثمانيين ميالون لاخيه محمد وقام بظنه ان نتيجة ذلك مهاجمة الاعداء فأخذ جيشه وضايق الاستانة فطلب الامبراطور من محمد جلبي مددا له مع اشتداد الاختلال بالاناضول فترك موسى مضايقة الاستانة ووضع جيشه في ويزه وعزم على الاستقلال والجلوس على كرسي السلطنة أما محمد أخوه فان أعيان وأمراء العثمانيين مثل أولاد أورنوس بك وميخال بك بايعوه وقابلوا بجيوشهم موسى وطلبوا منه ان يسلم لاخيه محمد السلطنة فابى فاقتتلوا فقتل هو وانهزم جيشه وأما عيسى فانه لما خلا له الجو لمشغولية أخيه محمد في حروب روملي ضبط بروسه بمعاونة تيمور طاش باشا وأقام بها حاكما مدة ثم ان أخاه محمد ذهب اليه في سنة ٨١٦ وشتت شمل عساكره وقتل هو أيضا وفي هذا العام دعا تيمور لنك محمد جلبي فارسل اليه الخوجه بايزيد صوفي بالنيابة عنه وفي سنة ٨١٧ عاد الى روملي وأعلن الجهات بجلوسه على عرش السلطنة

٥ السلطان محمد جلبي الاول

ولد هذا السلطان في سنة ٧٨١ وتولى في سنه ٨١٧ بالغا من العمر خمسة وثلاثين

Digitized by Google

سنة وفى هـــذه السنة ذهب قاسم بن سليمان شاه الذى كان مرهونا عنـــد امبراطور الاستانة الى جهة افلاق للاستيلاء عليها بمن معـــه من اخلاط الناس فأرسل اليه السلطان عسكرا شتتوا شمل أعوانه وأسروه ولعدم ميله للسلطان بالنسبة لما حصل أتلف عينه واعطى له ولاخته ما يقوم بكفايتهما من الجفالك فى جهـة بروسه وأمر باقامتهما فيها وفى هـــذه السنة هجم اولاد قرمان على بروسه فسار اليهم السلطان فأوقدوا فيها نارا وهربوا الى بلدهـم فذهب اليهـم السلطان وأخـــذ من بلادهم مدائن اقشهر ويكى شهر وسيدى شهر ومراكز سعيدايلى فقابلوه بقتال فلم يثبتوا وهرب كبيرهم وأبقى ابنـه مصطفى بك فى القلعة فحاصرها السلطان ثم مرض هنالك بعلة القلب والخفقان ولماطال الحصار كاتب بايزيد باشا الوزير بن قرمان بالحضور والصلح ووعـده بمايسره فحضر ابن قرمان والد مصطفى بك المحصور بالقلعه فلما قرب من الجيشين فما كان من بايزيد باشا الوزير المذكور الا انه هجم عليـه ليلا وقبض عليـه وأحضره الى السلطان فقبل أقدامه وحلف له يمينا على أن لايعود فعفا عنه وأعيد الى حكومته ورد له بلاده سنة ٨١٨

محاربة مجر وافلاق

فى سنة ٨١٩ غدر حاكم الافلاق المسيحى وعصى السلطان بدسائس واتفاق من ملك المجر فاضطر السلطان الى الذهاب اليه ولما رأى الحاكم كثرة جيش السلطان خاف وطلب العفو على أن يدفع ذخيرة ثلاث سنوات فقبل منـه وسحب جيشه وذهب به الى بلاد المجر فلما وصـل ونظر الملك كثرة الجيش أرسل الى السلطان ثلاثة أمراء من عائلته بهدية عظيمة طلبا للصلح متعهدا بعدم غـدره مرة أخرى فقبل ورجع وفى سنة ٨٢٠ أظهر قاسم بك بن اسفنديار مودته للسلطان فانعم عليه بايرادات (طوسيه) وكنغرى وباقركوره سى وقسطمونى من ملحقات ولاية قسطمونى وأشعر أباه اسفنديار بذلك ثم ان اسفنديار أرسل وزيره محمد الواعظ

Digitized by Google

بهدايا الى السلطان واستعطفه بعدم تنفيذ هذا الامر حيث ان مدار معايشه على قسطمونى وباقركوره وانه غير راض عن ابنه قاسم المذكور فبناء عليه اكتفى السلطان بكنغرى لقاسم بك وقبل طلبات أبيه وفى سنة ٨٢١ حصلت زلازل هائلة فى جهات قسطمونى وبروسه وامتدت الى حدود اماسيه وتوقاد واستمرت ثلاثة أشهر واضطر الاهالى الى الاقامة بالاودية وأعقب ذلك حصول محاربات ومنازعات وفتن بين ملوك الطوائف المجاورين لبلاد الدولة وفى سنة ٨٢٢ ذهب السلطان بجيشه الجرار الى اماسيه التى هى مستقر ولاية ولى عهده مراد فخاف رؤساء الفتن وانكمش كل منهم ولزموا الحياد وضبط بلاد صامسون وألحقها بالبلاد العثمانية وتصادف حصول فساد من قبيلة منت بك من طوائف التتر فى صحراء اسكليب فلقطع الفساد صار نقلهم الى رومللى واسكانهم فى تتارباز ارى من ملحقات فلبة وعاد السلطان من أدرنه الى بروسه وبنى بها مسجدا ومدارس وأبنية خيرية كثيرة ثم أرسل السلطان أمور بك بن تيمورطاش باشا بعساكر كافية لاسترداد هركه وككبوزه وداريجه وقارتال وبنديك وسائر الجهات من يد امبراطور الاستانة وفى سنة ٨٢٣ ظهر رجل يسمى مصطفى يورك ليجه وهو الذى كان كتخدى للشيخ بدر الدين قاضى عسكر فى مدة موسى چلبى وقت الفتنة الماضية وادعى انه خليفة الشيخ بدر الدين وجمع من الاهالى البسطاء نحو عشرة آلاف نفس ورغب استقلاله فى جهة ايدن وكان الشيخ بدر الدين مقيما فى أزنيق وله ألف أقجه (١) شهريا فقام من هناك خوفا من التهمة فى اشتراكه مع مصطفى المذكور وذهب الى جهة حاكم افلاق بواسطة ابن اسفنديار فأمر السلطان ابنه وولى عهده مراد والى اماسيه بضبط مصطفى المذكور ورفيقه (طورلق هو دكمال) والتنكيل بهما فأرسل ولى العهد بايزيد باشا طليعة له ومضى هو على أثره فضبط هو مصطفى المذكور فى قره بيرون كما ضبط بايزيد باشا (طورلق هو دكمال) المذكور فأعدماهما وشتتا من معهما

(١) الاقجه عملة تركية فى ذاك الوقت

Digitized by Google

وقتل الشيخ بدر الدين بالصلب بناء على فتوى شرعية وعاد السلطان محمد الى أدرنة وبعد ثلاثة أيام اعتراه داء النقطة وهو على جواده فانكب عن فرسه ومات في أوائل سنة ٨٢٤ رحمه الله تعالى رحمة واسعة ومدفنه ببروسه بقرافة يقال لها جيلار مزارلي وكان له من الاولاد خمسة مراد ومصطفى وأحمد ويوسف ومحمود أما أحمد فمات في حياة أبيه وأما يوسف ومحمود فانهما ماتا بالطاعون ببروسه وأما مصطفى فقتل شهيدا كما يأتي ولم يخلفه في السلطنة الا السلطان مراد الآتي ذكره

﴿ أسماء معاصري السلطان محمد شلبي وجهاتهم ﴾

أوروبا

روم ..... باله لوغ مانويل امبراطور الاستانة

فرنسا ..... شارلي السابع ..... ملك

انكلترا ..... هانري السادس ..... ملك

دانيمرك ..... قرستوف الثاني وبعده قرستوف الثالث ..... ملوك

المانيا ..... شارلي الرابع ..... امبراطور

اسوج ونرويج . ماركو الثاني ..... ملك

بورتغال .... زان ثم ادوارد ..... ملوك

نابولي وسجليا تين الفونس الخامس ..... ملك

سردينا ..... أمده تورنبا ثم أمده الثامن ..... ملوك

روسيا ..... البرنس واصيل الثاني ابن ديمتري أمير موسكو

مصر ..... الملك المظفر أحمد ثم بعده الملك الصالح برسباى

آسيا

الحجاز واليمن .. حسن بن عجلان ثم ميشا بن محمد العجلاني ثم بعده علي بن عنان جميعهم من بني قتاده ..... أمراء

بغداد ..... السلطان أحمد ..... أمير
اذربيجان ... قره يوسف ..... أمير
كردستان .... السلطان خليل ..... أمير
سمرقند ..... الظاهر هيبى ثم تيمورلنك ثم بعدهما السلطان حسين والسلطان خليل ..... أمراء
خراسان ..... الشاه رخ ميرزا ..... أمير
كرجستان وشيروان الشيخ ابراهيم والسلطان خليل ..... أمراء
بلاد العجم ... الشيخ حنفى والشيخ صدر الدين والخواجه على والسلطان جنيد والسلطان حيدر ..... أمراء
أرمنستان .... ميرزا عمر ..... أمير

٦ السلطان مراد الثانى

ولد هذا الملك فى سنة ٨٠٦ وجلس على سرير الملك فى سنة ٨٢٤ بالغا من العمر ثمانى عشرة سنة وجعل مقر سلطنته (بادرنه وبرومه) وفى أول جلوسه أرسل اليه أمير بخارى سيفا كما أهدى لجده السلطان بايزيد ثم أنه اجتهد فى اصلاحات الداخلية وعقد صلحا مع الحكومات المجاورة لكن أراد امبراطور الاستانة أن يشغله فاتفق مع من يدعى مصطفى دوزمه على أن يدّعى أنه هو مصطفى شلبى ابن السلطان بايزيد الذى انتفى خبره فى واقعة تيمورلنك مع السلطان بايزيد وانه هو الاحق بالسلطنة ثم ان مصطفى المذكور ذهب من كليبولى الى سيروز وأعلن الجهات بسلطنته فاتبعه كثيرون من أعيان رومللى منهم أولاد أولاد أورنس بك وسيخال بك السالف ذكرهما بوائل هذا الكتاب وهجم على عساكر السلطان مراد بجهة أدرنه بقيادة الوزير الاعظم بايزيد باشا فظفر مصطفى المذكور بالوزير المذكور ثم اتخذه لنفسه وزيرا ثم قتله فى سنة ٨٢٥ وكان السلطان مراد فى هذا الوقت مشغولا بالاناضول لدفع فساد أولاد قرمان فلما والاه هذا

الخبر اهتم بتداركه فأخـذ فى تجهيز جيش واذا بمصطفى المذكور توجه بجيشه الى بروسه فتقابل الجيشان بمدينـــة أولوباد وكان جيش مصطفى خمسين ألف فارس وعشرين ألف بياده غالبهم من العرب وكان عساكر السلطان مراد لا يزيدون عن العشر فدبر السلطان ووزراؤه وبالاخص عوض باشا ان يفهموا أعوان مصطفى المذكور الحالة وان هذه فتنة من امبراطور الاستانة فتفرق عنه جيشه أفواجا حتى فارقه وزيره الاعظم جنيـــد فهرب مصطفى المذكور منخذلا الى كليبولى ونال من المشاق والصعوبات مالا يكيف وأسرع السلطان فلحقه فى سنة ٨٢٦ وقبض عليـه بكليبولى المذكورة وصلبه بادرنه فخاف الامبراطور وأرسل فى الحال السفراء الى السلطان يبلغونه ان الامبراطور مخلص له فردهـم السلطان وجهز جيشا وهاجم به الاستانة فاغرى الامبراطور مصطفى جلبى أخا السلطان وأولاد قرمان فأمدوه وكان شابا فاستولى على أزنبيق وكاد السلطان يستولى على الاستانة واذا بخبر أخيه وصله فاضطر لترك الاستانة وذهب بجيشه الى أزنبيق وقبض على أخيه وأعدمه ودفن بجوار أبيه ببروسه وفى سنة ٨٢٧ استراح السلطان بادرنة وندم على قتل أخيه واشتد غضبه على الامبراطور وأولاد قرمان لتسببهم فى هذه الفتنة وفى سنة ٨٢٨ اعتدى ابن اسفنديار على الممالك العثمانية فذهب اليه السلطان واسترد منه ما أخذه وأدبه باخذ ممالكه عدا سينوب وما حولها ثم انه التمس من السلطان ان يتزوج بابنته فقبل منه وتزوج السلطان بها وفى أثناء ذلك اتفق دره قولا حاكم افلاق مع الالبانيين وأروام موره ضـد الدولة وتجاوزوا الحدود ففى الحال أرسل السلطان الى المذكورين جيوشا فشتتوا شملهم فاظهر دره قولا التندم ورهن أولاده للسلطان على عدم العودة الى مايكدر وفى هذا العام زوج السلطان اخواته الثلاث احـداهن لقاسم بك بن اسفنديار والثانية لقره جه باشا أمير أمراء الاناضول والثالثة لمحمود جلبى بن ابراهيم باشا الوزير الاعظم وفى سنة ٨٢٩ اهتم السلطان باصلاحات الداخلية واذا بخبر عصيان (قره جنيد) حاكم أزمير اتاه فأرسل اليـه تحسين بك بجيش فظفر به وقتله

وفى سنة ٨٣٠ استولت دولة الونديك على سلانيك وجدّد السلطان المعاهدات مع ملكى المجر والصرب وسائر الحكومات المجاورة عدا حكومة الونديك وفى هذا العام ظهر شخص يدعى قزل قوجه مع اخوته الثلاث من طائفة التركمان وجمعوا كثيرين من الاشقياء واستولوا على اماسيه وتوقاد وما حولهما فأحال السلطان على يوركج باشا ازالتهم و تخليص البلاد منهم فكتب لهم مكتوبا ما له أنهم اذا حضروا لديه وذهبوا سوية للاستيلاء على ولاية (جانيك) فالسلطان يكرمهم ويعينهم ولاة فلما وصل لهم هذا المكتوب عزموا على الحضور لا للغرض المذكور بل لغرض الفتك بهذا الباشا والاستيلاء على ولايته وأمواله فلما أحس الباشا بما نووا عليه تمارض وأرسل ابنه لاستقبالهم وبحضورهم أظهر لهم الترحيب وأعدّ لرئيسهم مسكنا فاخرا ولاعوانه وأتباعه و اخوته مساكن أخرى ولما أتى الليل هجم عليهم الباشا على غفلة وأهلكهم فى مساكنهم وتشتت الاشقياء الاخلاط بغير حرب وفى سنة ٨٣١ زار السلطان يعقوب بك بن كرميان أحد الامراء المستقلة فاندهش مما لاقاه من لطافة السلطان واكرامه اياه وعدالته فى الاحكام ونحو ذلك من الخلال الجميلة فلما عاد الى مملكته أوصى بالحاق ممالكه بممالك الدولة العثمانية بعد وفاته وتوفى فى السنة التالية بلا ولد ونفذت وصيته وأراد أن يستريح السلطان فى ادرنه واذا بخبر هجوم ملك المجر على قلعة (كوكرجنلك) وافاه فعين اسحاق بك حاكم بلاد لاس ومعه أمراء روملى لذلك فاحاط بجيش ملك المجر بجهة (سمندره) ثم أخرجهم وساقهم وشتتهم الى بلادهم وقبل ملك الصرب ان يدفع الويركو من جديد وأنعم السلطان على ابراهيم باشا جاندرلى الوزير الاعظم لحسن خدمته للدولة وصدق نيته لها برتبة (خان) غير انه أتاه الاجل الموعود فمات وعين بدله ابنه خليل باشا وفى سنة ٨٣٢ ذهب السلطان الى سلانيك وحاصر قلعتها أربعين يوما ثم استولى عليها وفى أثناء ذلك هدم أسطول (الونديك) قلعة الدردنيل ثم عقد الصلح وفى سنة ٨٣٣ ظهر فى بروسه وباء عظيم ثم زلزلة ثم قحط فمات كثيرون ومنهم أولاد السلطان

Digitized by Google

وفى سنة ٨٣٤ رغب أهالى يانيا الحاق بلدهـم بالممالك العثمانية فقبل منهـم السلطان ذلك وفى سنة ٨٣٥ حصل من قاستريونان حاكم جهة من بلاد البانيا حركة عدوانيـة فذهب اليه سنان باشا أمير أمراء روملى فأخـذ أولاده أسراء واستولى على ملـكه وفى أثناء ذلك حصل الاعتداء من المجر فذهب اليه المذكور وشتت شمله وفى سنة ٨٣٦ طلب الملك سجليسموند ملك المانيا الجديد المعاهدة بترك المحاربة فقبل منه السلطان على شرط دفع الغرامة الحربية وفى سنة ٨٣٧ لم تحصل وقائع تذكر وفى سنة ٨٣٨ اتحد ابراهيم بك بن قرمان مع ملكى المجر والصرب على معاداة السلطان فذهب السلطان اليـــه أولا وشتت شمـل أعوانه وهرب هو الى طاش أيل واسـتولى على ممالـكه فطلب الامان والعفو فعفا عنه ورد له بلاده وفى سـنة ٨٣٩ ذهب السلطان الى الصرب للانتقام فأسرع ملـكه بتجهـيز ابنتـه بجهاز عظيم والتمس من السلطان قبول زواجها لنفسه والعفو عما سلف فقبلها منه وعفا عنه اما ملك المجر فانه كان استولى على الاجه حصارى حين اشتغال السلطان بابن قرمان ففى سـنة ٨٤٠ أرسل السلطان اليه (أورنس بك) فطرد عساكر المجر منها وأخذ ملك بوسنه يظهر الانقياد لانه كان معينا لملك المجر فى اعتدائه وفى سـنة ٨٤١ وسـنة ٨٤٢ ذهب السلطان للاستيلاء على قلعة سمندره وأتاه هنالك دره قوله أمير افلاق فأغضبه السلطان لامر مجهول وسجنه فى كليبولى وسجن ولديه فى قلعة (اكريكوز) وكان طلب حضور ملك الصرب ولاتفاقه مع ملك المجر لم يحضر بل هرب اليـه ففتـح السلطان القلعة المذكورة وضم بعض ممالك الصرب الى ممالـكه ثم عاد الى أدرنة وفى سـنة ٨٤٣ عاد السلطان الى بلاد الصرب وحاصر (بلغراد) عاصمة الصرب وعبرت فرقة من العساكر نهر (صوه) وأدخلت فى بلاد المجر وفى سنة ٨٤٤ انتهز ملك المجر مشغولية السلطان بالحرب فرصـة للمداخلة فى أمر حكومة افلاق فولى أحد أعيانها أميرا لها بدلا عن (دره قوله) المسجون ثم تجاوز الحـد بالاعتداء على بلاد الدولة وفى سـنة ٨٤٥ أرسل السلطان

Digitized by Google

(فريد بك) أحد الامراء بفرقة من العساكر الى جهة افلاق فهجم عليه وعلى من معه بغتة عساكر افلاق والمجر فقتلوه هو وأكثر من معه وأسروا كثيرين وانهزم الباقى فأرسل السلطان اليهم فرقة أخرى بقيادة (شاهين باشا قوله) فلم يثبت أمام العدو بل انهزم هو ومن معه من أمثاله من جبناء الامراء ولم يثبت الا عثمان جلبى متصرف (كوتاهيه) الشجاع مع قلة فرقته فقاوم العدو لحد الغروب ثم جرح وقتل أكثر رجاله ولفرار شاهين باشا الرئيس العمومى لم يتيسر مقاومة عثمان المذكور ثانى يوم فانتصر المجريون والافلاقيون واستولوا على صوفيه وعبروا بلقان وفى سنة ٨٤٦ لما رأى ابراهيم بك بن قرمان انهزام عساكر السلطان مرتين فى جهة روملى أظهر ما فى ضميره من السوء ضد الدولة العثمانية فأرسل صهره حسن بك لتخريب ممالك الدولة فغضب السلطان وذهب اليه فهرب ابراهيم بك الى أيج آيل وأخذ السلطان بلاده فتوسطت حرمه أخت السلطان فى العفو عنه فعفا عنه ورد اليه بلاده وكان مع السلطان فى هذا الحرب ابنه علاء الدين والى أماسيه وبعودته الى ولايته توفى وفى أثناء ذلك اهتم المجريون بالاتحاد مع بعض حكومات أوربا والصرب أيضا فهجموا على بلاد الدولة بجيش عظيم وقد ظهر أن ذلك ناشئ عن اتفاق ابراهيم بك بن قرمان معهم على محو الدولة العثمانية لتكون جهة روملى لهم والاناضول له ولما وصل هذا الجيش العظيم لحد أدرنه أسرع السلطان بالعودة الى روملى بعد نهو مسألة ابن قرمان كما سبق وسد الطرق من أمام جيش العدو الذى اندهش من كثرته ثم دخل فصل الشتاء واشتد البرد فاضطر الاعداء للرجوع الى بلادهم لكن العساكر العثمانيين لم تدعهم بل سعت خلفهم ولتدرب عساكر العدو على فنون الحرب لم يزالوا على هيئة منتظمة بدون أن ينال العثمانيون منهم شيأ يذكر حتى وصلوا (نيشا) وهناك انقلبوا ولكثرتهم وقلة عدد العثمانيين أحاطوا بهم واشتبكوا بالحرب حتى حميت بينهم فانتصر الاعداء وأخذوا محمد بك جلبى متصرف بولى أسيرا وذهبوا الى بلادهم وعاد العثمانيون منهزمين الى أدرنه ثم أخذ السلطان فى أسباب الاستعدادات الحربية

الاتفاق الثامن

لاخـذ الثار فى ربيـع القابل واذا بملك الصرب أرسل سفيرا مخصوصا للسلطان يطلب العفو عنه وهو يتوسط فى الصلح مع المجر وملل العساكر العثمانيين والاهالى من توالى الحروب قبل السلطان منه ذلك ومضمون الصلح هو أن الصرب وبوسنه والافلاق يدفعون الجزية للسلطان كما كان وهو يرد قلعة (سمندره) للصرب ويطلق ولدى دره قوله من السجن مع أبيهما ويطلق محمود بك جلبى من الاسر وأن مدة الصلح ثلاث سنوات

اجلاس محمد الفاتح ابن السلطان مراد

فى سنة ٨٤٧ عزم السلطان مراد على التخلى عن السلطنة للاستراحة نظرا لما ألمّ به من الحزن والعناء على موت ولده علاء الدين وبلوغ تعصبات ملوك أوربا المجاورين له ضده الى درجة لا تطاق ورأى ان تولية ابنه بدلا عنـه ربما ترتب عليها راحة للعباد من غوائل الحرب فطلب ولده محمد المذكور وسلم له السلطنة ثم ذهب هو الى مغنيسا بخواص رجاله ومعهم رئيسهم اسحاق باشا ولكون منشأ كراهة الملوك المذكورين ليست لعيوب فى شخص السلطان بل هى كراهة دينية فلم يمض على المعاهدة سـنة كاملة حتى غـدر ملك المجـر فى سـنة ٨٤٨ بأيعاز من امبراطور ألمانيا (والبابا) وابراهـيم بك بن قرمان رئيس الفساد لظنهـم ان السلطان محمـد لاقدرة له ولا كفاءة على محاربتهم لحداثة سنه ولعدم تدريبـه على الحروب فانضم الى ملك المجر أمراء الصرب وبوسـنه وهرسك وبغدان وجهزوا جيشا يزيد عن ثمانين ألفا ودخلوا بلاد البلغار فطلب السلطان محمد أباه الى أدرنه للاقامة بها وليذهب هو الى ميدان الحرب ثم ان الاعداء قطعوا طريق السلطان مراد بسدّ معبر كليبولى فاضطر للذهاب الى بوغاز البحر الاسود فعبر منه خليل باشا ومعـه الصدر الاعظم وغيره من الخواص وبعض العساكر فوصلوا الى أدرنة وأما عساكر المتفقين فانهم لما وصلوا وارنه صادفهم السلطان مراد بمن معه من الفئة القليلة ودارت بينهم الحرب بصورة هائلة فوقع قره جه باشا

وكثيرون من الامراء وكبار المسلمين شهداء وتفرقت عساكر السلطان بحالة انهزام أما هو فلم ينهزم بل صعد على ربوة ينتظر نصرة الهية وبعث من ينادى على العساكر المتفرقة بجمعهم اليه ولما رأى ملك المجر السلطان على هذه الحالة أسرع نحوه بجواده هاجما عليه فانتظر السلطان قربه ونادى أن لايقابله أحد فما كان ممن يسمى (قوچه خضر) الا انه هجم على ملك المجر المذكور وقطع رأسه فامر السلطان برفع الرأس مع نسخة المعاهدة على رمح وتشهيرهما بين الجيش بالطبل والمزمار فبهذا وحكمة الله قذف الله الرعب فى قلوب الاعداء فانهزموا بحالة اندهاش فتبعهم المسلمون قتلا مسافة يومين ولم ينج من الاعداء الا القليل ثم عاد المسلمون بغنائم كثيرة وعاد السلطان مسرورا ومعه رأس ملك المجر وجملة أسراء من فرسان المجر المشهورين اللابسين الزرد النضيد فارسل منهم كثيرين للجهات لرؤيتهم والتفرج عليهم ونشر لكافة سلاطين الاسلام بالبشائر ثم طلب من ابنه محمد عودته هو للجلوس ثانيا فأجابه ورجع الى ولايته الاصلية كما ان العسكر والوزراء التمسوا منه ذلك وكان فى سنة ٨٤٩ وفى سنة ٨٥٠ أخذ السلطان مراد فى اصلاحات الداخلية ثم عزم على الانتقام من امبراطور الاستانة حيث ظهرت منه بعض دسائس فى وقائع انهزام العثمانيين الماضية فلم يظهر السلطان غيظه اذ ذاك لكثرة الوقائع وعدم مساعدة الظروف الحالية فذهب بجيشه واستولى على كرم حصار وباللو بادره من ملحقات جزيرة موره ثم ذهب لتأديب الالبانيين فقاوم رئيسهم اسكندر بك وبعد حصار شهرين استولى السلطان على أقجه حصارى التى هى بمثابة العاصمة ثم أدب باقى العصاة ورجع وفى سنة ٨٥١ دعا وكيل ملك المجر المدعو يانكو جميع أوربا للاتفاق ضد السلطان فاجابوه وهجموا بقوة وافرة أضعاف عدد جيش واقعة وارنه الماضية فى سنة ٨٤٨ فاسرع السلطان بجمع جميع عساكر روملى والاناضول وذهب بهم الى صوفيه وقد هجم حاكم افلاق على أطراف ينيكى بولى بالتحزب فاتحد محافظها محمد بك بن فيروز بك مع أمراء الحدود وشتتوا شمل الافلاقيين وأخذ منهم أسراء كثيرين وجاء بهم الى السلطان

الاتفاق التاسع

فتفاءل بذلك خيرا وفى يوم الجمعة رابع شعبان من سنة ٨٥٢ اشتبكت الحرب فى (كوس أوده) من وادى (قوصوه) صباحا ومكثت لعصر ثانى يوم فمن الله تعالى على المسلمين بالنصر وانهزام الاعـداء وقتل حاكم (بلونيا) وحاكم (جـه) وقاوم ملك المجر لحـد الغروب ثم انهزم فتبعه العثمانيون وقتـلوا منهم كثيرين ثم عاد السلطان الى أدرنه وفى سنة ٨٥٣ زوج ابنه محمدا ابنة (اسفنديار بك) بولية فاخرة وبنى الجامع المشهور بثلاث منارات بادرنه وفى سنة ٨٥٤ مات امبراطور الاستانة وجلس قسطنطين (بالولغوس) بدله واستراح السلطان مدة بادرنه ثم خرج يوما الى الصحراء للرياضة وبعودته اعتراه وجع الرأس واشتد به فطلب ابنه محمدا من ولايته مغنيسا ان يحضر على وجه السرعة ثم كتب وصية وأمر الصـدر الاعظم بالتنفيذ واجتهد فى علاجه الاطباء فلم يثمر ومات رحمه الله تعالى فى سنة ٨٥٥ بالغا من العمر ٤٩ سنة وكتموا موته ١٣ يوما حتى حضر ابنه محمد ثم دفن بتربته المخصوصة ببروسه وتصادف تاريخ موته (دعاى خير) وكان أولاده خمسة محمد وأورخان وعـلاء الدين وحسن وأحمد فمات علاء الدين وأحمد فى حياة أبيهم بأماسيه ومات حسن وأورخان بادرنه

﴿ أسماء معاصرى السلطان مراد من الامراء والملوك وجهاتهم ﴾

أوروبا

فرنسا ..... لؤلى الحادى عشر شارلى الثامن ..... ملوك
انكلترا ..... ادوارد هنرى الخامس من فاميلية يورمق
برتغال ..... جان الاول الفونس الخامس
ألمانيا ..... البرط
روسيا ..... واسيل الثالث ييوان الثالث
المجر ..... سيزسموند
الروم ..... الامبراطور باله لوغ مانويل وبعده ابنه جان باله لوغ

Digitized by Google

الصرب ..... استفان لازار ..... ملك
بابا ..... زوليان سزارينه بالتوكيل وبعده قلمان بالاصالة

آســـيا

الحجاز ..... المعتضد بالله
عراق العجم ... حسين بك قره جـزه بك معز الدين جهنكير بن على الامير عزالدين الملك محمد
شروان ..... خليل الله ..... أمير
العجم ..... شاه رخ ميرزا علاء الدين ميرزا عبد اللطيف ميرزا
سمرقند ..... عبدالله ميرزا ..... أمير
الهندوتترستان الكبير وجزء من الشين السلطان محمد السلطان حسين هيوان جونغ أبو الخير من فاملية أخرى
مصر ..... المستكفى بالله أبو نصر الخليفة العباسى

٧ السلطان محمد الفاتح

ولدهذا السلطان فى سنة ٨٣٣ وتولى فى سنة ٨٥٥ هجرية الموافق ١٤٥١ ميلادية بالغامن العمر اثنين وعشرين سنة ومدّة سلطنته احدى وثلاثون سنة وبعد جلوسه بمدّة قام ابراهيم بك بن قرمان معاديا وحرك أيضا أولاد كرميان ومنتشا وايدين فهجموا على كوتاهيا وما حولها فعين السلطان من وزرائه اسحاق باشا بدلا من عيسى بك أمير أمراء الاناضول وأعطى له عساكر كافية لمحاربة ابن قرمان وذهب السلطان على أثره فهرب ابراهيم بك ابن قرمان خوفا الى (ايج ايلى) ثم التمس منـه العفو وأنه منقاد لطاعته فعفا عنـه وجعـل مقر أمير الامراء فى كوتاهيه بدلا عن قونيـه للقرب من الحدود ولمنع تعدى أولاد قرمان وكرميان المذكورين وأحيل ذلك على اسحاق باشا المذكور وفى أثناء هذا السفر والعودة

Digitized by Google

حصـل من اليكجرين بعض نفور ونشوز فعزل السلطان رئيسهم (توقاد بك) وعين بدله مصطفى بك ولما عاد السلطان فى سـنة ٨٥٦ بلغـه أن امبراطور الاستانة طالب مخصصات لاورخان چلبى حفيد سليمان شاه ابن السلطان با يزيد المقيم بالاستانة فغضب السلطان ثم زاد غضبـه لما بلغه ان الأمبراطور ساع فى الاتفاق مع الونديك فعزم على فتح الاستانة وأنشأ (روملى حصارى) فى ثلاثة أشهر وقيل فى أربعين يوما ثم أنشأ مدفعين من نحاس وزن كل منهما ثلثمائة قنطار وجهز المهمات الحربية فى سنة ٨٥٧ وجيش مائتى ألف وحاصر الاستانة برا وفى أثناء المحاصرة جاء اليها الاسطول أيضا بحرا والافرنج الجنويزيون الموجودون بالاستانة أعانوا الامبراطور برا وبحرا ووضعوا جنزيرا حديدا سادا للبوغاز فأمر السلطان بضرب مراكب العدو وضرب الاستانة نفسها بالمدافع وفى يوم الثلاثاء عشرين جمادى الاولى من السنة المذكورة فى الرابع والخمسين يوما من المحاصرة هجـم السلطان بعساكره على الاستانة فدخلوها وخرج الامبراطور من سراية تكفور بعساكر خاصة للمدافعة وهجم على فرقة اسلامية وبيده السيف مسلول فوجد نفرا عربيا مجروحا فأراد قطع رأسه فسبقه النفر العربى الجريح بضربة بسيفه قطع بها رأسه فتم الفتح وقبض على (نوطراس توماس) باش وكيل الامبراطور فسجن هو وأتباعه وأعدم أورخان چلبى ودفن الامبراطور فى المنزل العتيق بميدان وفا ثم سلم أهالى قلعة (سلورى) استيمانا وكذلك الاروام سلموا برغوس (وبوغادوس) بغير حرب وقد مضى من منشأ الاستانه الى يومئذ ألف وخمسمائة سنة ثم ان السلطان غير كنيسة (أياصوفيه) الشهيرة بشكل جامع والافرنج الساكنون فى غلطه بالاستانة المستقلون عن حكومة الامبراطور عرضوا على السلطان قبول تبعيتهم اليه وفى أثناء ذلك اتهم خليل باشا الصدر الاعظم بميـله للامبراطور فعزل وأعدم وعين بدله محمود باشا ثم أقام السلطان (سليمان بك) محافظا بالاستانة وعاد هو الى أدرنه سالما غانما وفى سنة ٨٥٨ قطع ملك الصرب طريق (اسكوب) فذهب السلطان اليـه فخـاف منـه وهرب الى بلاد المجر

Digitized by Google

فاستولى السلطان على قلعة (استرويجه) وحصار (أموله) واكتفى بهذا التأديب وعاد الى أدرنه ثم ذهب الى أينوس التابعة لامبراطورية الاستانة فحاصرها برا ويونس بك بحرا فاستولى عليها وعلى عشرة مراكب حربية وعلى جزيرة (طاشوز) بغير حرب وفى سنة ٨٥٩ مات ملك الصرب الهارب فاستولى السلطان على قلعة (نوبرده) ثم على قلعتى (سربيجه) و (بخورى) وبعض جهات أخرى وزار السلطان مشهد جده المرحوم السلطان مراد الاول (بقوصوه) ثم عاد الى الى الاستانة على طريق سلانيك وفى سنة ٨٦٠ ذهب السلطان ومعه قره جه باشا قومندان عموم العساكر العثمانيين الى بلغراد لما بلغه من اتفاق حكومات المسيحيين المجاورين وذلك ان هونياد ملك المجر طلب من حكومات أوروبا تجييش جيش عظيم لطرد العثمانيين من أقاليم أوروبا فأجابوه وجهزوا جيشا يزيد عن ثلثماية ألف فترك السلطان محاصرة بلغراد وعاد الى الحدود وكتب الى جهتى الاناضول وروملى بجمع كل من يقدر على حمل السلاح لان جيشه حينئذ كان مائة وخمسين ألفا وعمل بعض استحكامات فلم يحصل حرب لحصول بعض اختلافات بين المتحدين وكفى الله المؤمنين القتال وفى سنة ٨٦١ لم يحصل اعتداء من أحد فاشتغل السلطان بأعمال وليمة عظيمة لختان ولديه بايزيد ومصطفى وفى سنة ٨٦٢ أراد السلطان الانتقام من المتحدين ضده لما تحقق له من شدة عداوتهم فذهب الى جهة موره من طريق سيروز ويكى شهر واستولى على قلعة (فلكه) وما حولها فطلب الاهالى منه الامان فأمنهم ثم فتح قلاعا وبقاعا كثيرة منها (منجلق) و (كورفوا) و (طوقاق) ثم ذهب بالجيش الى مدينة (أسكوب) وشتى هناك وأما محمود باشا الصدر الاعظم فانه انتقم من ملك المجر رئيس العصبة بالاستيلاء على جهات (رصاو) و (أموله) و (كروجه) و (برابجه) وغيرها ثم جاء الى السلطان بأسكوب وقد أعطى السلطان رخصة للعساكر بالذهاب الى بلادهم وعاد هو الى أدرنه وفى سنة ٨٦٣ لم يحصل حرب وفى سنة ٨٦٤ ولد للسلطان ولد سماه (جما) وفى سنة ٨٦٥ ألحقت جهات (قسطمونى)

الاتفاق (١١)

Digitized by Google

و(سينوب) و(طربزون) بالممالك العثمانية وفى سنة ٨٦٦ ذهب السلطان الى افلاق لان أميرها كان ضمن المتحدين ضده فقاوموه وبعد ان قتل منهم سبعة آلاف هرب الى بلاد المجر فاستولى السلطان على بلاد الافلاق وعين لها رادول بك أميرا عليها ثم استولى على جزيرة (مدللو) وفى سنة ٨٦٧ استولى على (بوسنه) وقلاع (لوقجه) و(أورحاى) و(يابجه) استيمانا وعلى (هرسك) بمعرفة محمود باشا وأعدم ملك بوسنه لانه كان صاحب اليد الطولى فى الاتحاد الضدى السابق على مافى بعض الروايات وكان ساعيا فى تجديده وفى سنة ٨٦٨ حصل اختلال بواسطة أولاد قرمان فارسل اليهم السلطان (أحمد بك بير) بجيش
الاتفاق (١٢) عظيم فاستولى على حكومتهم وفى سنة ٨٦٩ اتفق (المجر) و(وندیك) مع البعض من حكومات أوربا وأعلنوا الحرب ضد العثمانيين وأغاروا على قلعة (يابجه) وما حولها فاستولوا عليها وفى سنة ٨٧٠ حاصرها العساكر الاسلامية وانتصروا عليهم وردوها منهم وشتت شمل عساكر المجر وفى أثناء ذلك عصى الالبانيون وفى سنة ٨٧١ صار تأديب العصاة وهرب رئيسهم اسكندر بك وفى سنة ٨٧٣ عزل محمود باشا الصدر الاعظم عقب واقعة الالبانيين وفى سنة ٨٧٣ صار الاستيلاء على قلعة (اغريبوز) و(قزل حصار) وعين السلطان ابنه (جما) واليا على (قسطمونى) وفى سنة ٨٧٤ تعدى حسن خان الطويل حاكم (أذربيجان وكردستان) على الحدود العثمانية فاعيد محمود باشا الى الصدارة وأرسل بالجيش الى هناك فارسل مراد باشا بفرقة من العساكر طليعة فلم يلبث الا قليلا وقتل شهيدا وتشتت من معه من العساكر ثم وصل محمود باشا على الاثر فهزم حسن خان المذكور وتشتت من معه وفر هاربا ومضى أربع سنين بعد ذلك لم نذكر لهم وقائع وفى سنة ٨٧٩ مات مصطفى بن السلطان فى قصبة (بور) وفى هذا العام وشى بعض أصحاب الاغراض فى حق محمود باشا الصدر الاعظم فقتل وعين بدله (أحمد باشا كدك) فذهب بالعسكر واستولى على قلعتى (كفه) و(أزلق) فى سنة ٨٨٠ وفى سنة ٨٨١ حصلت حروب كثيرة فى بغدان

وألحقت ممالك (قوياويج) بالممالك العثمانية بطريق الاستيمان وفى سنة ٨٨٢ صار الاستيلاء على مملكة (اشقودره) (١) وفى سنة ٨٨٣ فتح أحمد باشا كدلك الصدر الاعظم كثيرا من ملحقات (ايطاليا) وفى سنة ٨٨٤ ألحقت مملكة (طرول) باذربيجان الى الممالك العثمانية بواسطة سنان بك وفى سنة ٨٨٥ عين مسيح باشا سردارا للاستيلاء على رودس لأمن الطريق وقطع دابر (القرصان) (٢) فلم يتيسر وفى سنة ٨٨٦ وصل الجيش الى مرحلة ككبوزه ثم مرض السلطان ومات رحمه الله تعالى رحمة واسعة فى يوم الخميس الرابع من شهر ربيع الاول وكان أولاده ثلاثا بايزيد الثانى ومصطفى وجم فمات مصطفى فى حياة أبيه كما تقدم

﴿ بيان أسماء الملوك والامراء المعاصرين للمغفور له السلطان محمد الفاتح ﴾

أوربا

انجلترا ..... ادوارد الرابع ادوارد الخامس ريشارد هانرى السابع

فرانسا ..... لوى الحادى عشر ثم بعد عزله شارلى الثامن ثم بعد موته لوى الثانى عشر ابن عم شارلى الذى كان دوقة أورليان

برتغال ..... جان الثانى ثم البرنس بكتيار منويل

نابولى ..... لوى الثالث ثم فرديانند الاول ثم الفونس الاول ثم ابنه الفونس الثانى ثم فره دريك

سجليا ..... فرديانندو

بابا ..... أوجن

ألمانيا ..... البرت الثانى ثم فره دريك الثالث ثم ابنه ماقسمليان

الروم ..... الامبراطور قسطنطين دراقوزه

الروسيا ..... ايوان الثالث

---

(١) جزء من البانيا

(٢) هم قطاع الطريق واللصوص فى البحر

قاستيل ..... هانرى الرابع ثم الملكة ايزابله
وارغون وغرناته . أبو الحسن
اسبانيا ..... فرديناند الرابع

آســـيا

العجم ..... ميرزا أبو سعيد خان ثم بعد قتله ميرزا يا يزيد سلطان خرسان ثم بعد موته ابنه محمود شاه ثم بعد خلعه ميرزا ابراهيم سلطان ثم بعد قتله السلطان حسين بهادر

عراق العجم .. الامير حسن الطويل ثم بعد قتله حسين بيقرا

كردستان وتترستان وتركستان الامير ميرزا عبدالله الشيرازى ثم بعد قتله ميرزا السلطان أبو سعيد

الهندستان ... نظام خان

أفريقيـــا

مصر ..... الملك الاشرف أبو نصر

أما الخلفاء العباسيون بها فهم

المستكفى بالله ثم بعد موته أخوه القائم بأمرالله ثم بعد خلعه أخوه المستنجد بالله

الحبش ..... سيغون جونغ فغفور ثم بعدموته ابنه نبغ جونغ ثم بعد خلعه أخوه كينتى صار امبراطورا ثم بعد موته نبغ جونغ

٨ السلطان بايزيد الثانى

ولد المشار اليه سنة ٨٥١ وجلس سنة ٨٨٦ هجرية الموافق سنة ١٤٨١ ميلادية بالغا من العمر خمسة وثلاثين سنة ومدة سلطنته احدى وثلاثون سنة وكسور وعاصمته الاستانة ولما توفى والده المرحوم محمد الفاتح كان هو

Digitized by Google

فى أماسيه فلما وافاه خبر وفاة أبيه أسرع بالحضور الى الاستانة وفى أثناء ذلك حصلت فتنة بالاستانة وذلك ان رؤساء اليكيجريين هجموا على بيوت الوزراء الذين خابروا سرا جما ين السلطان محمد والى قرمان يومئذ بوفاة أبيه ليميلهم الى توليته السلطنة وقتلوا محمد باشا قره مانلى الصدر الاعظم فجاء السلطان بايزيد فى مدة ثمانية أيام فلاجل اطفاء الفتنة عفا عن الجميع وعين للصداره اسحاق باشا وفى ثانى يوم من جلوسه بالاستانة احتفل بدفن أبيه بعد أن صلى عليه الشيخ وفا ودفن بجامعه الشهير

وقائع جم أخى السلطان

لما جلس السلطان بايزيد لم يبايعه أخوه جمّ مع من بايعه من المعتبرين بل جمع كثيرا من أشقياء كرمان وهجم بهم على بروسه فأرسل السلطان العساكر اليكيشاريه بقيادة اياس باشا الى بروسه غير أنه لكراهة أهاليها لليكيشاريين لم يقبلوا اياس باشا بل استقبلوا جما وسلموا اليه المدينة ووقع اياس باشا وكثيرون ممن معه أسراء ثم ان جما استولى على ما حول بروسه أيضا وأمر الخطيب أن يدعو له وجمع كثيرا من العساكر فلما بلغ السلطان ذلك سنة ٨٨٧ ذهب بجيشه من جهة يكى شهر وأرسل من ينصح أخاه وعرض عليه ما يختار غير السلطنه فلم ينتصح فوقع الحرب ولاجل عدم كثرة اهراق الدماء دبر السلطان بايزيد هو ووزراؤه أن يخابروا اللالا يعقوب الذى هو مدبر أمور جم سرا بان يتخلى عنه ووعده وعدا حسنا ففى أثناء الحرب فارق جما وانضم لبايزيد فحصل الضعف فى الحال فى جيش جم وانهزم وفر هو جريحا الى جهة قرمان وبوصوله الى قونيه أخذ أتباعه وخواصه وذهب الى مصر سنة ٨٨٨ من طريق حلب والشام فأكرمه السلطان قايتباى وأما السلطان بايزيد فانه ذهب الى قرمان ولاية أخيه جم وضبطها وعين لها ابنه عبد الله واليا ثم عاد للاستانة وعزل اسحاق باشا من الصدارة ونفاه الى سلانيك وعين بدله داود باشا واشتغل بالامور الداخلية واذا

Digitized by Google

بخبر أتاه بأن قاسم بك ابن قرمان جمع الاشقياء وضيق على عبد الله فأوسل اليه في الحال مددا برئاسة أحمد باشا بن هرسك فلما وصل هرب قاسم بك الى طرسوس وأوصل جوابا الى جم لما بلغه انه عاد الى مصر بعد أدائه فريضة الحج يقول له ان العثمانيين ساخطون على أخيكم بايزيد فاذا جئتم يمكنكم ان تتحصلوا على سلطنتكم الموروثة فجاء المشار اليه الى حلب جاهلا الحقيقة فاستقبله هناك قاسم بك وقد انضم اليهما كثير من الاعيان والامراء وفي سنة ٨٨٩ خاف السلطان بايزيد من دخول أحمد باشا بن هرسك المذكور في جمعيتهما فامره بسرعة حضوره الى الاستانة بعد ابقاء عبد الله ابن السلطان في قلعة قره حصار خوفا عليه من تعدي ابن قرمان فعزما على ذلك وقاما فعلا متوجهين الى قره حصار فقابلهما محمد بك الترابزوني بجيشه من قبل جم وابن قرمان فالتقى الجمعان وبعد مناوشة خفيفة ذهب محمد بك المذكور لمحاصرة قونيه أما السلطان بايزيد فانه أسرع بالذهاب اليها وكان السابق اليها جم غير انه بوصول أخيه هرب وقبض على محمد بك المذكور وأعدم وأرسل السلطان بايزيد الى أخيه جم جوابا يقترح فيه عليه اقامته في القدس الشريف مع خواص رجاله للاستراحة وهو يقوم بمرتباته ونصحه أن يقلع عن هذه الافكار الفاسدة فلم يصغ له بل طلب من حاكم رودس سفينة يعبر بها الى رومي فأرسلها اليه فلما ركبها سار به رئيس السفينة الى رودس فما كان من حاكمها الا انه أوسله الى فرنسا ليعد ذلك سببا على السلطان بايزيد وأخذ من الدولة نقودا عظيمة بهذه الوسيلة حيث ان السلطان بايزيد لم يقبل على نفسه هدية لاحد ولا غرامة لاحد من قبل أخيه وبعد اقامة جم بفرنسا مدة سبع سنين أرسلته فرنسا الى روما وسلمته للبابا وأقام عنده ست سنوات ولما دخل الفرنساويون الى روما قتل حاشية البابا جميعا بالسم فأحضر السلطان جنازته الى بورسه ودفن بالمحل المعروف بجراديه ثم ان قاسم بك طلب العفو من السلطان فعفا عنه واعطاه جهة (ايج آيل) وعاد السلطان الى الاستانة وذهب سفيرا الى أدرنه لتنظيم أحوال رومي وبجتد المصطفات مع جمهوريتي (دلميك ودالماتية) وفي أثناء ذلك

توفى الى رحمة الله تعالى عبد الله بن السلطان والى قرمان فاضطرب أبوه لذلك ثم استرجع وعين بدله ابنه (شهنشاه) وفى هذا العام أغار السلطان برايه بحرا على بغدان لسبب عصيان حاكمها وساعده على ذلك منيكلى أحد أمراء قريم بخمسين ألف جندى فكافأه السلطان بلقب (خان قريم) وعين بدله ديمترى بك ابن أخى حاكم بغدان العاصى ثم عاد السلطان وقتل أحمد باشا كدك أحد الوزراء لما تلاحظ له من حركاته المغير مناسبه فى وقائع جم وفى هذا العام مات قاسم بك بن قرمان وعين محمد بك من سلالته وجاء السفراء من دول الاسلام ومن دولة الشراكسة بمصر تبريكا للجلوس

تنبيـــــه

يوجد اختلاف فى وقائع هـــذه السنوات الثلاث من جهة التقـــديم والتأخير وفى سـنة ٨٩٠ وردت تشكيات من أهالى الاندلس فى حق دولة اسبانيا لكثرة تعـديها فأرسل السلطان بعض عساكر فى سواحلها فأغاروا على بعض الجهات وفى سنة ٨٩١ ازداد النفور بين الدولة العثمانية ودولة الشراكسة المصرية بسبب فرار جم الى مصر وحماية ملك مصر له وفى رواية لتعدى المصريين على ولاية ذو القدريه التابعة للدولة العثمانية فأراد السلطان بايزيد تأديب مصر فأمر محمد باشا قره كوز أمير أمراء قرمان بان يتحد مع حاكم عشائر ذو القدريه ووالى (ايج آيل) و (مرعش) لهـــذا الغرض فاستولوا على قلاع (سكيسى) و (اياسى) و (ترسوس) وأراد الرجوع واذا بخمسة آلاف من عساكر مصر تعرضوا لهما فالتقى الجمعان وانكسر العثمانيون ثم أرسل محمد باشا المذكور موسى بك وفرهاد بك بعساكر فغفلا عن الاحتياط فقتلا مع كثير ممن معهما من العساكر فغضب السلطان بايزيد وأرسل داود باشا الصدر الاعظم بجيش عظيم وأخذ العشائر الميالة لجهة مصر تحت طاعة الدولة العليـــة ثم وجد ان العساكر المصريين تركوا الحدود وذهبوا الى بلادهم فضلا عن انه بلغه ان فى

رومللى احـوالا ذات أهميـة فعاد الى الاســتانة و لتكرار تجاوز المصريين الحدود أمر السلطان فى سنة ٨٩٢ أحمد باشا ابن هرسك السردار صهره وعلى باشا الخادم ان يتحدا مع محمد باشا قره كوز فاتحدوا واستولوا على (طرسوس) و(أطنه) فغضب (قايتباى) سلطان مصر وأرسل جيشا هائلا وفى أثناء الحرب ترك محمد باشا قره كوز أحمد باشا السردار المذكور متربصا ان يصاب فيأخذ وظيفتـه توهما منـــه ان يقلدها فانهزم العساكر العثمانيون وأسر أحمد باشا وفى سنة ٨٩٣ استردّ المصريون (طرسوس) و(أطنه) وانضم علاء الدولة (١) الى المصريين وقدوصل الشراكسه بعساكرهم الى قيصريه وفى سنة ٨٩٤ اهتم السلطان بايزيد بالتجهيزات الحربيـة ليذهب بنفسه لمحاربة المصريين هـذا ماكان من أمره وأما ماكان من أمر سلطان مصر فانه بوصول أحمد باشا المأسور اليـه أكرمه وأطلق سبيله وأرسله الى الاستانة معززا مكرّما وعرفه أنه لايسره محاربة المسلمين مع بعضهـم ثم توسط عثمان الحفيضى سلطان تونس فى الصلح فحصل الصلح بين مصر والعثمانيين فى سـنة ٨٩٥ وكفى الله المؤمنين القتال

﴿ حادثة غريبـــــة ﴾

وهى ان السلطان بايزيد لماجهز الجيش لمحاربة المصريين كما تقدّم فى سنة ٨٩٤ فبوصوله الى (اسكودار) صباحا هاج السحاب فجأة وأظلم الجوّ بريح عاصف ثم تكاثر المطر مثل الطوفان ثم نزلت صاعقة فى معمل البارود بالاستانة فالتهب بسببها ولشدتها جعلت عالى المعمل سافله فانهدم ثلثمائة بيت واختل أربعمائة ومات فوق ألفى نفس وفى سنة ٨٩٧ مات بانكوا ملك المجر بلا ولد فحصل خلاف شديد وفساد كبير وتعاظم ذلك حتى امتدّ الى بلاد الدولة فاخبر حاكم (بلغراد) السلطان بايزيد بأن فريقامن المجر يريدون تسليم قلعتهم للسلطان فذهب السلطان فى الحال الى صوفيه فوجـد أن ملك (بولونيه) صار ملكا على المجر أيضا وان حاكم بلغراد عزل بسبب

(١) حاكم مرعش وما معها السالف ذكره

مخابرة السلطان بذلك فلم يشأ السلطان ا لتداخل ولحصول عصيان الالبانيين بأعانة اخوانهم الخارجين عن حكم الدولة ذهب السلطان هناك وأدب العصاة واستولى على بعض من بلاد الخارجين عن نفوذ وحكم الدولة ثم عاد الى أدرنه وفى سنة ٨٩٨ تعدى المجريون على من بالحدود من العساكر ا لعثمانيين فأرسل السلطان على بك ابن ميخال و الى سمندره بعشرين ألفا فانتصر المجريون عليه واستشهد أكثر عساكره وعاد منهزما ثم أن ملك المجر أرسل (درنجيل يانى) ابن أخيه قائد هذا الجيش باثنى عشر ألفا الى بوسنه وانضم معهم حاكم (خروات) بعسكره مع انه كان تحت نفوذ الدولة العلية فقابلهم يعقوب باشا و الى بوسنه بجيشه و بعد قتال شديد انتصر عليهم انتصارا باهرا وقتل منهم تسعة آلاف وهرب الباقون فأتبعهم قتلا و أسرا ثم عاد ومعه درنجيل القائد وكثيرون أسراء بغنائم عظيمة فى سنة ٨٩٩ وفى سنة ٩٠٠ أظهر ملك بولونيا العداوة للاسلام ودعا أمير بغدان للاتفاق معه فوافقه فى الظاهر وكان فى الباطن معينا للدولة و بحسن تدبيره انتصر المسلمون هناك على عساكر بولونيا وهرب ملكها منهزما شر هزيمة فاتبعوه حتى دخلوا بلاده وجعلوا أعزة أهلها أذلة ثم عادوا غانمين فى سنة ٩٠١ فكافأ السلطان أمير بغدان على ذلك مكافأة عظيمة وفى سنة ٩٠٢ أرسل السلطان وزيره اسكندر باشا لتأديب دولة (الونديك) فانتصر عليها حتى قارب محل العاصمة فى سنة ٩٠٣ لكن لكونها كانت على شكل جزيرة عجز عن التقدم اليها ثم عاد الى بوسنة وفى هذا العام تجددت المعاهدة التجارية بين الدولة العلية والروسيا وفى سنة ٩٠٤ صارت المعاهدة مع جمهورية الونديك غير انها بتحريكات حكومات ايطاليا غدرت فذهب السلطان بنفسه ومعه احمد باشا بن هرسك لفتح (اينه بختى) بقوة برية وبحرية منها ثلاث سفن حربية طول الواحدة سبعون ذراعا فوصلوا الى سواحلها فوجدوا ان دولة الونديك سدت بوغاز الدردنيل بمائة وخمسين سفينة وفى البر ايضا حصون منيعة بمدافع ضخمة فوقعت الحرب

Digitized by Google

بحرا بشدة فأغرق وأحرق بعض من سفن الدولة ومات نحو خمسمائة جندى خلاف بعض الامراء والضباط واخيرا انتصر العثمانيون فى سنة ٩٠٥ ودخلت السفن البوغاز واستولوا على القلعه وشتوا هناك وأما الونديك فان سفنها استولت على جزيرة (كفالوينه) وأحرقت بعضا من سفن الدولة فى بوغاز بروزه وفى سنة ٩٠٦ فتح السلطان قلاع (متون) و(قرون) وغيرهما وعين على باشا محافظا على موره وملحقاتها ثم زاد على باشا المذكور بعض فتوحات وفى أثناء مشغولية السلطان بهذه الوقائع جمع مصطفى بك من احفاد ابن قرمان جمعا من الاشقياء ونهب جهة لارنده وماحولها فأرسل السلطان ابنه أحمد والى أماسيا ومحمد باشا حفيده والى يكى شهر اليهم فشتتوا شملهم وفى سنة ٩٠٧ طلبت جمهورية الونديك من البابا وأسبانيا وفرانسا والمجر الاعانة على مضادة العثمانيين ومحاربتهم برا وبحرا فأجابوا طلبهم وأرسلوا اسطولا مختلطا بالبحر الابيض حتى وصل جزيرة مدللو فارسل السلطان فى الحال أحمد باشا ابن هرسك باسطول الدولة فبهمته وهمة كمال بك أحد رؤساء الاسطول أسر بعض سفن الاعداء بمن فيها ومنهم ابن أخى ملك فرنسا وانهزم الباقون واستردوا الجزيرة وأحيل أمر تعميرها وتعمير قلاعها على سنان باشا والى الاناضول وعاد الاسطول سالما الى الاستانة ثم ان الونديك تخابرت مع دولة ايران التى أجابت الطلب فاضطر السلطان لمجاملة ومصالحة سائر حكومات أوربا وفى الاثناء صار فتح قلعتى (لوقجه) و(دراج) بهمة اسكندر باشا والى بوسنة وفى سنة ٩٠٨ مات (علمشاه) بن السلطان وتعدى الشاه اسماعيل بن الشيخ حيدر الصفوى شاه العجم على جهات (خربوت) و(مرعش) واستمال أغلب التركمان الساكنين فى جهات (تكه) و(ايج أيل) ورتب له منهم جيشا فأسرع السلطان بنقل باقى التركمان الى موره أما الشاه اسماعيل فانه شعر بضعفه فعاد ثم حصل بالاناضول وروملى وباء مهول استمر ثلاث سنين وحصل فيها وفى ثلاث سنين أخرى قحط عظيم مات بسببهما خلائق لاتحصى وفى سنة ٩٠٩ ظهر شخص شقى يسمى (قره طورمش)

الاتفاق (١٣)

Digitized by Google

ومعه بعض سفن لقطع الطريق على التجار المسلمين فى جهة (سورى حصار) فأرسل اليه سفن كافية فتشتت شمل أعوانه وأخذ هو وصلب وأخذت أمواله وفى سنتى ٩١٠ و ٩١١ لم تحصل وقائع حربية بل اشتغل السلطان بترقية الزراعة والتجارة والصناعة وباعمال أبنية خيرية مثل كبارى وقناطر وانشاء طرق عمومية ونحو ذلك وفى سنة ٩١٢ حصل للسلطان مرض أوجب انحطاط قواه فخوفا من حصول الشقاق بين أولاده أحضر على باشا الخادم أمير أمراء مورة وفوض اليه أمر الدولة وفى أثناء ذلك حصلت زلزلة هائلة استمرت شهرا فانهدم بسببها نصف الاستانه وخرج الاهالى والسلطان الى الصحراء وخيموا بها ثم أنشئ للسلطان بالصحراء بيت من خشب ونقل الحسرايته الكائنة (بديمتوقه) بالقرب من أدرنه وأقام فيها الى تمام عمارة الاستانة وفى سنة ٩١٣ اهتم على باشا الوزير الاعظم بعمارة الاستانة بالاخشاب واهتم أيضا بالتنكيل بمن يظهر من القرصانين ورفع المظالم عن الاهالى من الولاة ولما طال المرض بالسلطان أراد اتخاذ ابنه أحمد ولى عهده فوافقه الوزراء على ذلك وكان لابنه (قورقود) أمل فى أن يكون سلطانا بعد أبيه لكونه كان محبوبا عند العلماء فسافر الى مصر فى سنة ٩١٤ مظهرا أنه يريد تأدية فريضة الحج وهو فى الحقيقة غضبان فقابله سلطان مصر بالاعزاز والاكرام ثم أنه ندم وقدم لابيه المعذرة وطلب منه العفو فعفا عنه وأعاده الى ولايته (تكه) كما كان وفى سنة ٩١٥ طلب ابنه سليم والى (طرابزون) يومئذ التصريح اليه من والده بأن يحضر لزيارته وكان شجاعا مقداما محبوبا لدى الجيش خصوصا الينكجريين وكان غرضه من الزيارة أن يتحصل على ولاية العهد فمنعه أركان الدولة فلم يكترث وفى سنة ٩١٦ عبر البحر الاسود الى قريم برومللى ومنها أراد التوجه الى أدرنه لوجود والده وقتئذ فيها فمنعه أركان الدولة أيضا وأعطوه وظيفة ولاية سمندره ولم يرضوا بمقابلته لابيه وفى سنة ٩١٧ تردد سليم فى أن يذهب الى ولايته الجديدة منتظرا حدوث عائق يمنعه عن الذهاب اليها ليتوجه الى أبيه أما أركان الدولة

Digitized by Google

فانهم طلبوا سرا (أحمد بن السلطان الاكبر وهو وقتئذ والى اماسيا) لاجلاسه بدل أبيـه فتصادف حضـول بعض فتن فى ولاية أخيـه قورقود بتـكه فقام منها الى ولاية (مغنيسا) فظن الاشقياء ان السلطان مات وذهب لجلوسه بدله فنصب من يدعى (شاه قولى) شيخ الطوائف الصوفية بولاية (تـكه) الذى له ألوف من الدراويش نفسه سلطانا وعثا فيها فسادا فاتخذ سليم هذه فرصة لعودته الى أدرنه فأرسل الوزراء جيشا من أربعين ألفا لمنعه من الحضور فقابلهم بشرذمة قليلة ولقلة عساكره اضطر الى الذهاب لجهة البحر الاسود فلحقه الجيش فى وادى (جورلى) وأرادوا القبض عليـه فخلصه منهم فرهاد بك من خواص اتباعه الذى صار فيما بعد صهرا ووزيرا له ولقب بفرهاد باشا ثم ذهب سليم الى جهة (كفه) أما أحمد فانه قام من ولايته اماسيا بناء على طلب الوزراء المتقدم ووصل الى قرب (اسكدار) فما كان من اليكيجريين الا أنهم مانعوا فى جلوسه للسلطنة وهجموا على بيوت أكثر الوزراء وقتلوهـم وأصروا على جلوس سليم فتأثر السلطان من ذلك ومما أتى أحمد فى أثناء حضوره من الحركات الغير لائقة ودعى سليما الى الحضور رسميا وفى يوم السبت السابع من شهر صفر سنة ٩١٨ جاء سليم بموكب عظيم الى السراية وبعد تقبيل ركبتى والده وسماع وصيته أجلسه أبوه وألبسه العمامة المعدة للبس السلاطين فبايعه أركان الدولة وأخوه (قورقود) ثم قام السلطان بايزيد ذاهبـــا الى سراية (ديمتوقه) وبوصوله الى محـــل يسمى (سوكودرلى دره) مات بالطريق وأحضرت جنازته الى الاستانة ودفن بالجامع الشهير باسمه الذى انشأه هو رحمه الله تعالى رحمة واسعة

﴿ أسماء الملوك والامراء المعاصرين للسلطان بايزيد وجهاتهم ﴾

أوروبا

فرانسا ..... شارلى الثامن ثم لؤى الثانى عشر ..... ملوك

انجلترا ..... هنرى السابع ثم هنرى الثامن ..... ملوك

ألمانيا ..... هنرى السابع ثم هنرى الثامن ..... امبراطوريه (١)
اسقوجيا .... جان سنسوار ..... ملك
بابا ..... الكساندر السادس ثم جول الثانى
اسبانيا ونابولى . فرديانندو ..... ملك
بولونيا ..... سيزسمند الاول ..... ملك
المجر ..... فردريك الثالث من قبيلة هابسبورغ ..... ملك
الوندبك ..... روجه ..... رئيس جمهوريه
جنويز ..... روجه ..... رئيس جمهوريه
اسوج ..... جان ..... ملك
الروسيا ..... ايوان الثالث ..... حاكم

آسيا

العجم ..... الشاه اسماعيل الاول ..... شاه

كردستان .... } الامير السلطان أبو سعيد
تركستان ... }
تترستان ..... }

الهند ..... نظام خان ..... حاكم

أفريقيا

مصر ..... المستنجد بالله الخليفة العباسى وسلطانها قايتباى الشهير
الحبش ..... نبغ جونغ ..... ملك

(١) هكذا فى الكتب

Digitized by Google

٩ السلطان سليم ياوز الاول

ولد المشار اليه سنة ٨٨٥ هجرية باماسيا وجلس سنة ٩١٨ وعمره ٤٦ سنة في حياة أبيه كما سبق ذكره وكان مشهورا في شبوبيته بالشجاعة وحب الحرب فلذا كان محبوبا لدى الجيش ولما جلس أبقى أخاه أحمد في ولايته على (أماسيا) و (سروخان) فلم يرض لاخيه سليم المذكور بالسلطنة وتأخر عن المبايعة له زاعما انه هو الاحق بها لكونه الاكبر سنا وأرسل ابنه علاء الدين بعسكر الى بروسه فذهب اليه السلطان فولى هاربا بعسكره ثم اهتم بتجهيز جيش لمحاربة السلطان ولما بلغه ان السلطان عين مصطفى بك ابن داوود باشا واليا على (أماسيا) و (سروخان) بدله غضب وهجم بعساكره على مصطفى بك وقبض عليه ولم يقتله بل اتخذه وزيرا له وكتب منشورا في انحاء المملكة بانه هو السلطان بحكم السن فمال اليه أغلب أمراء الاناضول وصاروا يستهزؤن بمن كان في حزب السلطان سليم فبلغ ذلك السلطان من على بك ابن مالقوج وعلاوة على ذلك مال بعض أمراء الجيش الى أحمد فاضطربت أفكار السلطان سليم وكثرت الوشايات في حق أخيه قورقود وأولاد اخوته بان كلا منهم يريد السلطنة فامر بقتلهم فقتلوا ثم أحضر ابنه سليمان من ولاية (كفه) ونصبه قائمقامه بالاستانة ثم قتل مصطفى باشا الصدر الاعظم وبعض من الامراء بتهمة الميل الى أحمد وعين أحمد باشا ابن هرسك صدرا أعظم فخاف أحمد وعلم انه لايفوز فالتجأ الى أخيه غير انه قتل قيل انه سئل السلطان سليم بعد مدة عن قتل أخيه أحمد مع التجائه اليه فاجاب بان أعداء الدولة الخارجين كثيرون فاذا ذهبت الى الحرب استولت عليه شياطين الانس والجن بالغش فيعمل مثل ما عمل ويترتب على ذلك اراقة دماء المسلمين فقتل واحد لاحياء كثيرين أمر واجب والله أعلم

وكان لاحمد ولدان مراد وعلاء الدين فالاول هرب الى العجم والثاني الى مصر ولما عاد السلطان الى أدرنة جاء سفراء جميع الدول سنة ٩١٩ عدا سفير

شاه العجم للتبريك وتجديد المعاهدات لدولهم وأرسل لمحمد الكراى خان قريم خلعة وبراءة وجعل جمركا على البضائع الافرنجية الواردة من الخارج بواقع المائة خمسة فهو أول من أحدث ذلك

محاربة الفرس الشهيرة

فى سنة ٩٢٠ خابر الشاه اسماعيل شاه العجم ملك مصر قانصوه الغورى بما مضمونه ان السلطان سليم ذو جبروت وان الدولة العلية فى نمو مدهش ودولة العجم ومصر مهددتان منها وأخذ الشاه يستميل كثيرا من العشائر التابعة للدولة العلية فأخبر أمراء الاناضول السلطان بذلك فجهز جيشا مركبا من كل صنف مقداره مائة وثمانون ألفا وأعلن الشاه بالحرب وأقام ابنه سليمان بالاستانة مكانه وفى أثناء السير أمر الامراء بدقة ملاحظة العسكر وباشر ذلك بنفسه أيضا فرد كثيرا منهم وغالبهم من التجار قائلا انهم لايتحملون أثقال السفر والقتال وأبقى مائة ألف من أقوياء وشجعان العساكر فوصل أذربيجان وفتح (باى بوردى) وكتب جوابا للشاه يدعوه الى الحرب فلم يقابله الشاه بل رد عليه جوابا بالاستهزاء لزيادة غضب السلطان وتهوره حتى يتغول فى داخل بلاد العجم ليقطع عليه خط الرجعة فلما وصل الجواب مع السفير قتله السلطان بقصد اغضاب الشاه ليتعجله بمقابلته بالحرب ورد بجوابه بما يوجب شدة غضبه أيضا لكن الشاه لم يظهر اهتماما بالمقابلة فصمم السلطان على الذهاب الى (تبريز) لكن أمراء العساكر وكلاء الدولة أتعبهم طول السفر وأثر فيهم تغيير الماء والهواء فقالوا ان التوغل فى البلاد الاجنبية بهذه المسافات الطويلة ليس من السياسة فى شئ فارادوا ارجاع السلطان عن هذا التصميم بطريقة حسناء فلم يقبل فحركوا بعض العساكر للعصيان فهجموا على خيمة السلطان بحالة تشويش وغوغاء فقتل السلطان (همدم باشا) فهابه الوكلاء والامراء وفى الحال أمر بقيام الجيش والسير الى الامام فقطع قلعة

Digitized by Google

بايزيد ثم وصل الى صحراء (جالديران) وفى أثناء السير حصل من اليكيجريين مثل ماحصل من بعض العساكر من الغوغاء حتى انهم رموا بضرب الرصاص على خيمة السلطان فخرج من الخيمـة ونادى بينهم انه لايمكن الرجوع بغير حرب مع العـدو وكل من يشعر منكم فى نفسه بالجـبن فليرجع وأما أنا فلا بد ان أحارب العدو ولو وحدى فلما رأوا منه هذه الجسارة الهائلة وانه نسبهم الى الجبن اتحدوا على السفر بكل غيرة ونشاط فساروا حتى وصلوا الى جبـل (جالديران) ونصبوا به الخيام وعملوا الاستحكامات اللازمة وأرسل للشاه جوابا بالفاظ توبيخيه محرضة على المقابلة للحرب ثم بلغه ان الشاه آت بجيشه فرتب عساكره صفوفا وجعـل (سـنان باشا) سر عسكر الاناضول فى الجناح الايمن (وحسـين باشا) سر عسكر روملى على الجناح الايسر وهو ووزراؤه فى القلب واليكيجريين فى الوسط فنزلوا من الجبل الى الوادى بهذه الهيئة أما الشاه اسماعيل فانه رتب عسكره صفوفا أيضا فجعل (محمدخان) والى ديار بكر وبغداد ومعه بعض أمراء على الجناح الايسر أمام عساكر الاناضول وآخرين على الجناح الايمن أمام عساكر روملى وهو فى الوسط بار بعين ألفا خيالة من ذوى الملابس التى بالزرد وفى صباح يوم الاربع ثالث شهر رجب سنة ٩٢٠ اشتبك الحرب بضرب البنادق أولا وبعد ساعة حصـل هجوم من الاجنحـة فلما رأى ذلك حسن باشا رئيس الطوبجية أمر باستعمال ضرب المدافع البطاريات بحركة شديدة فبدأ الاضمحلال فى العساكر قيادة محمد خان المذكور وبعد برهة قتل هو ووالى بغداد وظهر الانكسار فى الجناح الايسر من عساكر العجم فلما رأى الشاه ذلك هجم بشـدّة مع الاربعين ألفا المزردين فظهرت علامات الانكسار مرارا فى عساكر روملى وأخيرا وقع الشاه جريحا فانقذه أحـد أتباعـه المدعو خضر وأركبه على فرسه وفر هاربا الى تبريز وانهزم جيشه فأرسل السلطان أحمد باشا ابن دوقه كين الى تبريز لاعطاء الاهالى الامان فلما بلغ ذلك محافظها أخذ ما قدر عليه من الاشياء النفيسة من خزينة الحكومة وهرب ثم وصل السلطان اليها ودخلها بموكب عظيم ثم أراد أن يقضى مدة الشتاء هناك لاجل

Digitized by Google

استئناف القتال فى الربيع القادم بقصد اعدام الشاه ومحو المذهب الرفضى لكن لم يوافقه الوزراء والامراء وعصاة اليكيجريين على ذلك فأخذ ألفا وخمسمائة نسمة من أرباب الحرف المتنوعة المجلوبين من خراسان وسائر بلاد فارس الى تبريز وأرسلهم مع أشياء كثيرة ذات قيمة الى الاستانة وبعد أسبوع قام بجيشه وعبر نهر أرس ثم وصل الى (روانة) وكل من قابله فى الطريق من الاشقياء والعصاة جازاه بما يستحق بجريمته ثم فتح قلعة (ماين) وعزم على فتح بلاد الكرج ووصل (جوبان كبريسى) (١) فقابله حاكمها بهدايا فاخرة وطلب عدم مساس بلاده فقبل منه ولم يتعرض له ولا لبلاده بسوء ثم عاد الى أماسيا وأراد أن يشتى هناك فعصى اليكيجريون أيضا فنسب السلطان ذلك الى أحمد باشا ابن دوقه كين فقتله ثم استولى على الحكومات المستقلة تحت حماية العجم مثل حكومة (آل رمضان) و(أولاد ذوالقدرية) و(أمراء الاكراد) و(شروان) وغيرها ثم عاد الى الاستانة وجازى كثيرين ممن حصل منه عصيان فى السفر من العساكر اليكيجريين وفى سنة ٩٢١ اهتم بزيادة وتنظيم القوة البحرية لتعادل قوة دولتى الونديك واسبانيا وعند وصوله الى الاستانة وردت له الهدايا من الدول المسيحية المجاورة مثل الونديك والمجر واسبانيا وايطاليا وفى هذا العام برئ الشاه اسماعيل من جرحه وحاصر مع سردار قره خان (ديار بكر) فقابلهما محمد باشا قبا بيقلو (٢) بجوار جيل (وأرجيش) فوقعت محاربة عظيمة وفى أثناء ذلك استولى خسرو باشا أمير أمراء قرمان على (خربوت) ثم لحق محمد باشا المذكور فاشتد القتال وانهزم عسكر العجم وكان السلطان قام بجيشه من الاستانة للذهاب الى هناك فبوصوله الى صحراء كاح جاء الخبر بانتصار محمد باشا وخسرو باشا فأرسل لمحمد باشا المذكور وملا ادريس خلعة فاخرة وجوائز حيث كان للثانى يد بيضاء فى النصرة

(١) معناه كوبرى الغنام
(٢) ذو المشقب الكثيف

Digitized by Google

محاربة السلطان الغورى بمصر

عزم السلطان على الانتقام من ملك مصر الغورى نظـرا لما شاع من مخابرة الشاه معه فى العام الماضى كما تقدم ففى أوائل جمادى الاولى أشاع السلطان انه عازم على السفر لمحاربة العجم فجمع خمسين ألفا وأقام ابنـه سليمان مقامه فى أدرنة وبيرى باشا فى الاستانة وأحمد باشا ابن هرسك فى بورسة وأرسل سفراء الى ملك مصر يدعوه للسفر الى الشرق يمرّه بذلك على بلاد العجم أما الغورى فقيل انه أبدى للسفراء بعض تحقير ثم أظهر لهم حسن المعاملة وقال انه ما كان يريد من حسن علاقته مع الشاه اسماعيل الا التوسط بينه وبين السلطان فى تأليف القلوب ومحو النفور وأرسل بهـذا المعنى جوابا للسلطان فلم يقبل منـه هـذا الاعتذار بل جدّ فى السير حتى وصل الى حلب وفى سنة ٩٢٢ قابله الغورى بعساكره فى مرج دابق وفى بعض النسخ وابق ووقع الحرب واشتدّ لهيبها ثم وقع الغورى قتيلا وانهزم عسكره فدخل السلطان مدينة حلب وولى عليها قره جه باشا ثم ضبط حما وحمص بالسهولة ثم دخل دمشقا وانقاد له الدروز والعربان ومشايخهم واستولى على قلاع نابلس والقدس وغزه ومنها ذهب الى السويس وأما أمراء مصر فانهم انتخبوا طومان باى ملكا على مصر فاجتهد وأخذ فى تجهيز عساكر لطرد السلطان سليم عن مصر والشام ووقعت الحرب وانهزم طومان وعساكره وفى سنة ٩٢٣ ذهب السلطان الى مصر فقابله طومان باى ثانيا بخمسين ألفا من الخيالة واستمرت الحرب اسبوعا بالمراماة ثم أرسل السلطان سنان باشا بفرقة من العساكر خدعة لاحتلال مصر من جهـه واشتغال المصريين عن مواقع الحرب من جهة أخرى فقبل وصوله قتل وعين بدله يونس باشا صدرا أعظم ثم اشتدت الحرب وانهزم عسكر مصر الى مصر العتيقة فدخل عساكر السلطان سليم مصر فصارت نساء مصر ترميهم بالاحجار والحدايد والمثقلات من الشبابيك انتقاما قيل ان القتلى من سكان مصر فى هذه الواقعة يبلغون خمسين ألفا والله أعلم ثم ان

Digitized by Google

طومان باى لم يقطع الامل من انتصاره على السلطان سليم فجهز فى الجيزة جيشا مركبا من الشراكسة والعرب فأرسل اليه السلطان يونس باشا الصدر الاعظم بعشرين ألفا وأربعين مدفعا فاشتبكت الحرب بشدة عظيمة واستمرت بعناد من الطرفين حتى لم يبق من العساكر العثمانيين سوى ستة آلاف ومن عساكر طومان باى أربعة آلاف ولم ينهزم طومان باى حتى أخذ أسيرا وصلب فى باب زويله

وذكر فى بعض تواريخ مصر ان طومان باى المذكور رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام وقال له ياطومان انك ستكون عندنا غدا فقام فى الحال وذهب الى السلطان وسلم له نفسه فقتله صلبا والله سبحانه وتعالى أعلم وبموت طومان باى انقرضت دولة الشراكسة بمصر غير ان السلطان سليم ولى على مصر خيرى بك الشركسى والى حلب سابقا لمدة حياته وذلك ان السلطان سليم لما وصل قبل الحروب المصرية المذكورة الى حلب ذهب اليه واليها خيرى بك المذكور فقال له انى أكره أن أحارب المسلمين سواء كانت مصر لك أو للسلطان الغورى فأنا لالك ولا عليك فانسر منه السلطان سليم جدا وقال له انى سأوليك على مصر لمدة حياتك فوفاء لهذا الوعد عينه كما تقدم وقد ذكر فى بعض تواريخ مصر ان السلطان سليم لما فتح مصر واستولى عليها وعين خيرى بك واليا عليها أراد ان يركب فرسه واذا بخيرى بك قال له مستفهما هل تقبل أولاد الشراكسه فى العسكر وتبقى لهم أموالهم وعقاراتهم بمصر وملحقاتها كما كانوا أم لا فقال له نعم وكيف نأخذ أموالهم ونمنع أولادهم من الجيش أليسوا بمسلمين فقال الصدر الاعظم ذهبت أتعابنا سدى فأمر بقتله فى الحال فقتل ورجل السلطان اليسرى فى الركاب واليمنى على الارض ثم ركب جواده وسار بمن معه من أمراء العثمانيين وكبراء مصر المشيعين له وهو يحدثهم ويحدثونه حتى وصل الخانقاه السريقوسيه (الخانكه) فتجاسر بعضهم باللطف وقال للسلطان اننا لم نفهم ذنبا للصدر الاعظم يستوجب قتله فقال اننا نحب أن نوفى بالوعود فعينا خيرى بك واليا على مصر وفاء للوعد وتركنا للشراكسه أموالهم حيث لا تحل لنا وقبلنا أولادهم فى الجيش كسائر المسلمين

Digitized by Google

فأراد الصدر الاعظم أن يوقعني في الذنوب وأما قتله فهو خوفا من أن يكر رعلي ذلك ملحا وربما أثر عندى فأقع فى هذه الذنوب والله أعلم

وقد حضر الى السلطان سليم شريف مكة المكرمة المسمى (أبا النمى) ابن محمد أبي البركات للتبريك وسلم له ما كان بيده من الآثار الشريفة والمخلفات فقبلها منه ثم جاء اليه سفير شاه العجم طلبا للصلح فلم يقبل منه بل سجنه وفى أثناء هذه الحروب حصلت تعديات كثيرة من أوروبا على روملى فأخذ السلطان سليم المتوكل على الله آخر خلفاء العباسيين بمصر معه وعاد للاستانة وفى سنة ٩٢٤ ظهر من يدعى الشيخ جلال وادّعى أنه مهدى آخر الزمان واتخذ له مغارة فى جهات (بوزوق) و(تقات) وجمع ألوفا من الاوباش فأرسل السلطان الى والى مرعش بمحوه فقتله وشتت شمل أعوانه ثم ظهر فى املسيا شخص مجهول وادّعى انه مراد بن أحمد أخى السلطان سليم وادّعى السلطنة لنفسه فقتل وفى سنة ٩٢٥ عزم السلطان على فتح جزيرة رودس لكنه لم يمهله الاجل المحتوم بل مرض وتوفى فى شهر شوال سنة ٩٢٦ رحمه الله تعالى رحمة واسعة ولم يكن له أولاد غير السلطان سليمان

﴿أسماء الامراء والملوك المعاصرين للسلطان سليم الاول وجهاتهم﴾

أوروبا

فرنسا ..... شارلى الثامن ثم لوى الثانى عشر ثم فرانسوا الاول . ملوك

انكلترا .... هنرى السابع ثم هنرى الثامن

المجر ..... ماتياس

دانيمارك .... كرستيان الثانى

اسكوجيا .... جاك تنوار الخامس

ألمانيا ..... الامبراطور فردريك ثم ماقسمليان

بوهميا ..... لادسلاس السادس

Digitized by Google

بلونيا ..... سيزسموند الاول
الروسيا ..... ايوان الثالث
برتغال ..... أمانويل
غرناطه ..... أبو الحسن
البابا ..... انيوسان ألك سلندر ايون العاشر

اسبانيا .....
سجيليا .....
ساردونيا .... شارلكان الخامس
فلمنك .....
مكسيقا .....

آســـيا

شاه العجم .... الشاه اسماعيل
الهند ..... نظام خان

أفريقـــا

مصر ..... قانصوه الغوري الشركسي ثم طومان باي ثم بعد قتله خيربك

١٠ السلطان سليمان القانوني الاول

ولد المشار اليه في أول شعبان سنة ٩٠٠ وتولى في ٤ شوال سنة ٩٢٦ واجتهد أول جلوسه في نفي الزنادقة والمبتدعين في الدين وفي سنة ٩٢٧ حصى (جانبردي) غزال والي الشام فارسل اليه السلطان فرهاد باشا امدادا لقره جه باشا محافظ حلب فاشتبك الحرب مرارا بالقرب من حلب وأخيرا انهزم عسكر غزال العاصي بعد ان قتل وتولى بدله على الشام اياس باشا أما فرهاد باشا فانه ذهب الى حدود

العجم لمقابلة عساكر الشاه الموجودين هناك وفى هذا العام تداخل ملك المجر فى امور بلادبوسنه فارسل اليه السلطان سفيرا عاليا ليفهمه ماهو اللازم لامور الصلح الدائم فما كان من ملك المجر الا انه قتل السفير فغضب السلطان غضبا شديدا وأرسل أحمد باشا ومعه عساكر روملى وهو على أثره فبوصوله الى صحراء صوفيه أرسل باليا بك والى بوسنه الى بلاد خروات وخسرو باشا محافظ سمندره الى بلغراد ومحمد بك ابن ميخال الى تران سلوانيا أما أحمد باشا فانه استولى على حصار (بوكردلن) واستولى الصدر الاعظم (بيرى باشا) على قلعة (الزمين) وجهات (سرم) بالقوة وأما السلطان فانه حاصر (بلغراد) فهدم استحكاماتها بضرب الالغام وبعد شهرين ونصف من محاصرتها فتحها فى ٢٦ من شهر رمضان سنة ٩٢٧ وألحقت بولاية سمندره وتعين لولايتها والى بوسنه ثم فتحت قلاع (اسلان قش) و (كونك) و (ايق) و (ايرشوه) وغيرها ثم عاد السلطان الى الاستانة وقبل وصوله جاءه خبر وفاة ولديه مراد ومحمود بمرض الجدرى وفى سنة ٩٢٨ ظهر باليمن شخص يسمى اسكندر سعى فى الارض فسادا فعزم السلطان على ارسال من يؤدبه واذا برجال الخارجى المذكور قطعوا رأسه وبعثوه الى الاستانة وفى هذا الوقت كانت جزيرة رودس تابعة لسلطة البابا وكانت مجمعا للقرصان يتسلطون على قطع طرق البحر وسلب أموال المارين من التجار والحجاج فعزم السلطان على فتحها لأمن الطريق فارسل مصطفى باشا الصدر الاعظم بسبعمائة سفينة متنوعة بمهمات حربية وعلى أثرهم أسطول الدولة فدخل الى مينا أوكوز برونى (١) ثم عزل مصطفى باشا المذكور وعين بدله للصدارة العظمى (أحمد باشا) فبعد محاصرتها ستة أشهر فتحت فى ٦ صفر سنة ٩٢٩ وأعقب ذلك وفاة خيرى بك الشركسى والى مصر فى سنة ٩٢٣ وعين بدله مصطفى باشا المذكور ثم استولى السلطان على قلاع (استانكوى) و (بودروم) و (لندوس) و (تختالو) و (سويتاك) ثم عزل مصطفى باشا المذكور عن ولاية مصر وولى بدله أحمد باشا الذى كان

(١) معناه أنف الثور

سردارا فى حرب مجر وصدرا أعظم الآن وعين بدله للصدارة ابراهيم باشا أحد القرناء أما أحمد باشا المذكور فانه عصى وخطب باسمه وضرب النقود برسمه وأعلن استقلاله فارسل اليه السلطان اياس باشا الوزير الثانى بعساكر الاناضول فلما وصل الى صحراء كوتاهيه وصل رأس أحمد باشا المذكور مقطوعا فعاد الى الاستانة وفى سنة ٩٣٠ ذهب ابراهيم باشا الصدر الاعظم الى مصر لوضع ادارتها على محور النظام وأقام مقامه اياس باشا وبعد اتمام هذه المأمورية ولى سليمان باشا على مصر وعاد الى الاستانة وفى هذا العام توفى الشاه اسماعيل شاه العجم وتولى بدله الشاه (طهماسب) وفى سنة ٩٣١ هجم بعض اليكيجريين على بيتى الصدر الاعظم والدفتردار (١) فاعدم السلطان باليا أغا كتخدا مصطفى باشا وحيدر شلبى رئيس الكتاب المحركين لهذا الفساد وأدب رئيس اليكيجريين وأحضر فرهاد باشا الوزير الثالث ومحافظ سمندره للاستانة وأعدم لما ظهر منه من الشقاوة والفساد ثم وجه السلطان اهتمامه بانشاء مراكب حربية بكثرة فى ترسخانة البحر الاحمر لحفظ السواحل الهندية والحجازية وأرسل لذلك مامورا عاليا وفى هذا العام اتحدت دولة العجم مع ملك المجر ضد الدولة العلية فغضب السلطان وجمع عساكر الاناضول وروملى وقام فى احدى عشر رجب سنة ٩٣٢ للانتقام من المجر وكان عدد الجيش مائة وسبعين ألفا وطلب سعادة كراى خان قريم للحضور لديه خوفا من ان يقصد سوءا ببلاد الدولة فى غياب السلطان وكتب فرمانا لحاكمى افلاق وبغدان يأمرهما بالاقامة على الحياد فلما وصل الى بلغراد أنشأ كبارى على نهر صاوى حتى تمكن العسكر من العبور الى بدون ثم استولى على قلاع (راچه) و (وارادين) و (ابلوق) و (ارك) و (غراغوربجه) و (جروبك) و (برقاص) و (دمتروقجه) و (توكاى) و (بوادخ) و (براچه) و (دوكن) و (صوتين) و (لقوار) و (رادار) ثم ذهب الصدر الاعظم ابراهيم باشا بستين ألفا الى صحراء (مهاج) فقابله جيش المجر البالغ عدده مائة وخمسين ألفا فلما رأى كثرة جيش

الاتفاق (١٤)

(١) ناظر المالية

Digitized by Google

العدو استعمل ضرب المدافع بشدة حتى حفظ مركزه واذا بالسلطان لحقه بميدان الحرب بمن معه وأظهر على الاعداء صولته المعلومة وشجاعته المشهورة فرغما عن المدد العظيم الذى أتى للاعداء من حكومة خروات انهزم المجريون بعد أن قتل منهم ثلاثون ألفا وهرب ملكهم وفى أثناء هروبه وقع فرسه به فمات وفى ثانى يوم وضعت خيام السلطان بالصحراء المذكورة وأجريت رسوم التهنئة بالفتح على حسب قاعدتهم وقتئذ ووزع على العساكر الاحسانات العظيمة وحررت للجهات فرمانات البشرى ثم قام بجيشه وسار الى (بودين) عاصمة المجر فطلب منه الاهالى الامان وقبلوا أن يكونوا من رعاياه فأجابهم السلطان لطلبهم ثم استولى بغير قتال ولا حصار على مدينة (واراديين) وقلاع وقصبات (بشمنه) و (مكدين) و (باجقه) و (تتسل) و (باج) و (بسر) و (سينا) و (بانقه) و (بيرلك) و (قيني) و (ظك حابى) وجهات كثيرة ثم نصب (بانوس بانى جابوليه) من سلالة امراء مملكة أردل ملكا على المجر وكان مسيحيا وعاد الى الاستانة وعقب ذلك عصت عشائر التركمان وأمراء ذو القدريه بجهة قرمان فأرسل السلطان اليهم (خرم باشا) أمير أمراء قرمان فشتت شمل العصاة وأعقب ذلك خروج من يدعى (قلندر) ابن الحاج بكتاش (١) الشهير فى جهة اماسيا وتغلب على أمرائها وأمراء الاناضول فذهب اليه الصدر الاعظم ابراهيم باشا بجيش جرار فحماه هو وأعوانه . وفى سنة ٩٣٣ه استولى أمراء بوسنه على قلاع (يابجه) و (بوشدغة) و (صوقول) وغيرها وفى سنة ٩٣٤ه هاجم فرديناندوس أرشيدوق دولة أوستريا على قلعة بودين وهرب بانوس ملك المجر الى أردل فلما سمع بذلك السلطان ذهب بجيشه فى سنة ٩٣٥ه الى بلاد المجر فهرب الارشيدوق خوفا من السلطان فعاد بانوس

(١) هو من أشهر الصوفية ببلاد الاناضول والاتراك يعتقدون ولايته كاعتقاد المصريين بسيدى أحمد البدوى ويزعم اليكيجريون انهم على طريقته ونحن نجهل حقيقته ولكن أكثر الزاعمين انهم على طريقته ليسوا فى شئ من الصلاح والاستقامة الدينية

Digitized by Google

وأجلسه السلطان ثانيا كما كان فبناء عليه ذهب الصدر الاعظم بثلاثمائة ألف عسكرى الى ويانة عاصمة أوستريا وحاصرها وفى أثناء ذلك ثار أحمد بك والى عزيز من ملحقات أدرنة وابن أخيه السيد بك ومن معهما من الاشقياء بتجريك شاه العجم فارسل السلطان اليهم بيرى بك فشتت شملهم وقتل منهم نحو الثمانمائة وأعقب ذلك حصول ثورة من الحلب وقتلوا حاكمها قره قاضى فنفى المحركين وأنعم السلطان بوظيفة سر عسكر على الصدر الاعظم ابراهيم باشا علاوة على وظيفة الصدارة وأرسل له فرمانا ممتازا بذلك وفى سنة ٩٣٦ اشتد البرد فى فصل الشتاء فاضطر الصدر الاعظم الى ترك محاصرة ويانا وأرسل العساكر الى بلادهم وختن السلطان أولاده الثلاث مصطفى ومحمد وسليم وفى سنة ٩٣٧ جاءه السفراء من الروسيا ومن سائر الدول بهدايا كثيرة ومن أوستريا أيضا بطلب بعض تكاليف تختص ببلاد المجر فلم يلتفت الى طلبات أوستريا فبناء عليه حاصر الارشيدوق السالف الذكر قلعة بودين واتفق معه جميع الالمانيين فاهتم السلطان بالتداركات الحربية وفى هذا العام ولد جهانكير بن السلطان وفى سنة ٩٣٨ ذهب السلطان الى أوستريا بجيش يزيد عن المائتى ألف وأرسل بحرا أحمد بك القبودان بثمانين سفينة فأسرع أمراء بلاد خروات الى الالتجاء الى الظلة السلطانية وفى سنة ٩٣٩ فتح قلاع (قيونى) و(برزنجه) و(سلواد) و(شرويل) و(قدواد) و(بابروجه) وغيرها بعد قتال متعدد ولم تثبت عساكر الألمان ولا أوستريا فاستعانوا بدولة اسبانيا بحرا لمشغولية السلطان وقبول الصلح ثم طلبوا الصلح فقبل منهم السلطان ومضمونه أن أوستريا لاتتعدى مرة أخرى وأن السلطان كذلك وبعد ان استرد من اسبانيا قلعة (ورون) و(موره) عاد الى الاستانة وعين ابنه مصطفى واليا على صاروخان وجعل اياس باشا الوزير الثالث وزيرا له وفى سنة ٩٤٠ لم يكتف الشاه طهماسب شاه العجم بأغرائه لاحمد بك وابن أخيه السيد بك ومن معهما ضد الدولة فى جهة أدرنة كما تقدم بل حاصر بغدادا فأرسل اليه السلطان الصدر الاعظم ابراهيم باشا بجيش عظيم فبوصوله

الانفاق (١٥)

Digitized by Google

الى حلب دخل فصل الشتاء فاقام هنالك مدة الشتاء وفى أثناء ذلك جاء خير الدين بك حاكم الجزائر بعشرين سفينة الى الاستانة وطلب الحاق بلاده بممالك الدولة فولاه السلطان على الجزائر وأنعم عليه برتبة باشا وسلم له مائة سفينة وأما الصدر الاعظم ابراهيم باشا فانه استولى من بلاد العجم على قلاع (وادى الجوزا) و (أخلاط) و (أرجيسى) و (أوينك) ثم قام السلطان من الاستانة اليه فبوصوله الى أرضروم ترك الصدر الأعظم الجيش واستقبله وفى سنة ٩٤١ قام الشاه طهماسب من خراسان وجاء الى المدينة السلطانية فذهب اليه السلطان فهرب منه ولما دخل فصل الشتاء اكتفى السلطان بهذا التأديب وسحب جيشه من هنالك ولما قرب على بغداد من ملحقات بلاد العجم هرب حاكمها محمد خان بخواص رجاله فسلم الاهالى مفاتيح مدينة بغداد للسلطان وكذلك سلم أهالى مدائن (شهربان) و (هارونيه) و (أقوك) وقلاع (كركوك) و (الحله) و (نجف) وأما الشاه فانه عاد وحاصر (وانا) فذهب اليه السلطان فلما قرب منه هرب فاستولى على جهات (لودستان) و (كالحوزستان) و (مشعشع) وغيرها وفى سنة ٩٤٢ طلب الشاه الصلح فقبل السلطان ومضمونه الكف عن الحرب وابقاء ماستولى عليه السلطان له وعاد الى الاستانة فدخلها بموكب فاخر ثم غضب السلطان على ابراهيم باشا الصدر الاعظم فأمر بقتله فقتل ولم أقف على السبب وعين بدله أياس باشا وفى سنة ٩٤٣ حصل اختلال فى بلاد الالبانيين فذهب السلطان اليها وفى سنة ٩٤٤ أدب العصاة وأعاد بها الأمن ومات أياس باشا بمرض الطاعون وعين بدله للصدارة لطفى باشا وبعد مدة وجيزة عزل وعين بدله سليمان باشا وفى هذا الحين اعتدت دولة الونديك على أسطول الدولة فغضب السلطان وذهب اليها

الاتفاق (١٦) واستولى على بعض قلاع (وقرى) ثم عاد الى الاستانة وفى سنة ٩٤٥ اتفق أمير بغدان مع البابا واسبانيا والونديك وتسلطوا على بلاد الدولة فذهب السلطان بجيشه الى بغدان فشتت شمل عساكر الاعداء وهرب حاكم بغدان فولى بدله غيره ولم أعرف اسمه وفى هذا العام طلب (جهان بناه) ملك الهند اعانة من السلطان

Digitized by Google

فارسل اليه سليمان باشا بجملة سفن حربية وأرسل أيضا خير الدين باشا والى الجزائر بباقى أسطول الدولة للانتقام من الدول المتفقة مع حاكم بغدان السالف ذكره فقابله الاميرال أندريه دورية المشهور باساطيل الدول المتفقة فاقتتلوا قتالا هائلا حتى احمر البحر من كثرة الدماء وأخيرا انتصر خير الدين باشا واستولى على جملة مراكب وجزائر (اسكيروس) و (اسكنوس) و (اندره) و (كربه) وفى سنة ٩٤٦ تحصن اندريا الاميرال المذكور فى قلعة (نوه) فذهب اليه خير الدين باشا فدمرها وأسر من فيها فأرسلت دولة الونديك فى سنة ٩٤٧ سفراء بطلب الصلح على أن تدفع ثلاثمائة ألف ذهب علاوة على ما استولى عليه السلطان فى أثناء الحرب فقبل منها وتم الصلح وفى سنة ٩٤٨ توفى بانوس ملك المجر المنصوب من قبل الدولة كما تقدم فتداخل دولتا أوستريا وألمانيا فى أمر بلاد المجر وهجما عليها فارسل السلطان الوزير الرابع محمد باشا وخسرو باشا والى روملى برا وخير الدين باشا بحرا وتوجه هو على أثرهما فبوصوله الى هناك طرد الاعداء وأدب رؤساء العصاة من المجر المنضمين الى الدولتين المذكورتين ثم وجد أن ابن الملك المتوفى قاصرا فأجلسه ملكا ونصب مارتيشوز وصيا عليه لحين بلوغ رشده واستولى على قلعتى (اسطبورد) و (زنشوه) وأهلك خير الدين باشا كثيرا من عساكر المانيا ثم عادوا الى الاستانة وفى سنة ٩٤٩ أرسل ملك أوستريا سفيرا الى الاستانة يطلب أن يكون ملكا على المجر أيضا و يدفع سنويا مائة ألف ذهب و يركو وأعقب ذلك انه هجم على قلعة بودين وحاصرها فغضب السلطان وذهب اليه وهذه عاشر دفعة الى بلاد المجر فبوصوله هرب محاصروا القلعة فدخل سنة ٩٥٠ فى بلاد أوستريا و بعد قتال استولى على قلاع (البوسيقلوس) (واسترغدن) و (استونى) و (بجوى) ثم عاد الى الاستانة وفى سنة ٩٥١ مات محمد بن السلطان والى مغنيسا وأحضرت جنازته الى الاستانة وفى هذا العام التجأت دولة فرانسا الى السلطان فى طلب امداد فأرسل خير الدين فأنقذها واستولى على قلعة (مسفيا) ومدينة (نيسا) وفى سنة ٩٥٢ استولى على

الاتفاق (١٧)

قلعتى (ويشغران) و(حبطوان) ثم حصل الصلح مع أوستريا بترك الحرب ثمانية عشر شهرا وفى سنة ٩٥٣ حصلت المعاهدة بينها وبين الدولة على أنها تدفع للسلطان ثلاثين ألف ذهب بواسطة امبراطور المانيا ودولة فرنسا وجمهورية الونديك مظهرين الاتفاق بينهم وفى سنة ٩٥٤ هرب ميرزا القاضى أخو طهماسب من أخيه المذكور والتجأ الى السلطان شاكيا من ظلم وغدر أخيه وانه لا يليق أن يكون شاها فبناء عليه هجم الشاه المذكور على بلاد الدولة سنة ٩٥٥ فغضب السلطان وسلم عساكر الاناضول لميرزا القاضى فى أخذ بلاد العجم من أخيه وضمها الى بلاد الدولة ويكون هو الشاه من قبل الدولة فذهب اليها ودخلها وفى سنة ٩٥٦ وصل السلطان أيضا الى تبريز واستولى على بلاد قارص وبايزيد وغيرهما ثم عاد الى حلب لتمضية فصل الشتاء هناك وفى سنة ٩٥٧ عاد السلطان الى الاستانة أما ميرزا القاضى فانه لم يحسن السياسة الحربية بل مكن فيه الاعجام فقتلوه وعادت العساكر العثمانيون وفى سنة ٩٥٨ اعتدت دولة أوستريا على البلاد الاسلامية المجاورة لها فأرسل السلطان محمد باشا أمير أمراء روملى بجيش فعبر به نهر الطونا وتغلب على الاعداء واستولى على قلاع (جنات) و(ليبوه) و(بجكرك) و(صولنق) ومدينة (طمشوار)

الاتفاق (١٨) فاتحد فرديناند ملك النمسا ولؤى ملك بلونيا وجمعا عساكر كثيرة وتحاربا مع محمد باشا المذكور واستردا قلعة ليبوه ولما بلغ السلطان ذلك عين أحمد باشا الوزير الثانى سردارا على بلاد المجر وأرسله بجيش عظيم وفى سنة ٩٥٩ هجم على الاعداء المتفقة وانتصر عليهم واسترد القلعة المذكورة واستولى على أغلب أموال وذخائر الاعداء وفى أثناء ذلك استولى طهماسب شاه العجم على بلاد أرضروم لخلوها من العسكر الكفاية فعين السلطان أحمد باشا المذكور سردارا على الشرق ومضى هو على أثره وفى سنة ٩٦٠ وصل الى يكى شهر وأرسل ابنه بايزيد محافظا على أدرنة وأخذ معه ابنه سليما وفى أثناء ذلك عزل السلطان رستم باشا عن الصدارة وعين بدله أحمد باشا قيل ان السبب فى ذلك هو أنه أورى

السلطان أن ابنه مصطفى مغرم بحب السلطنة لنفسه ويوشك أن يؤامر السلطان فأثر كلامه على أفكار السلطان خصوصا وهو ذاهب الى الحرب فأمر بقتله فقتل ثم ندم لحصول الشك عنده فأدبه بالعزل وأعقب ذلك وفاة ابنه جهانكير فحزن عليهما كثيرا ثم أتم سفره فوصل الى صحراء قارص ثم أرسل للشاه جوابا يدعوه به للحرب فلم يحضر وفى سنة ٩٦١ أغار على عشائر (شرابخانة) و(نيل فراق) و(بيك أرون) حتى وصل الى (أسراباد) فلم يقابلهم الشاه فأرسل الصدر الاعظم له جوابا يدعوه للحرب وفى سنة ٩٦٢ أرسل الشاه سفيرا يطلب الصلح ويترك قلعة قارص وما حولها من البلدان للدولة العلية فقبل منه السلطان وعاد الى الاستانة وفى سنة ٩٦٣ اعتدت اسبانيا وايطاليا فأرسل السلطان الاميرال طورغود الى سواحلهم فضربها وعاد بالغنائم منصورا ثم تسلط اسطول دولة البرتغال على سواحل بحر عمان فاضطر السلطان لارسال الاسطول العظيم الموجود بالبحر الاحمر فدخل فى مينا مسقط والهرمز وطرد أسطول البرتغال من هنالك كليا وفى أثناء ذلك اعتدت اسبانيا على بلاد الغرب بضرب سواحلها فأرسل السلطان بياله باشا الاميرال المشهور ومعه صالح باشا فطردا الاسبانيين من سواحل البربرية وفى سنة ٩٦٤ اعتدى المستحفظون الالمانيون الموجودون بالحدود فقابلهم المستحفظون العثمانيون بالمثل ثم تغلب العثمانيون ودخلوا فى الحدود و استولوا على بعض قلاع فاعتذر الامبراطور فرديناندوس وطلب الصلح على أن يدفع سنويا مائتى ألف ذهبا بشرط أن يكون ملكا على بلاد المجر وأردن فقبل السلطان الاول وهو الصلح البسيط بعدم الحرب ولم يقبل الثانى أى أخذ المائتى ألف الذهب وأعطاء المملكتين المجر والاردن وفى سنة ٩٦٥ أغرى بعض المفسدين أعداء الدولة من جهة ايران بايزيد بن السلطان على أخذ ولاية صاروخان من أخيه سليم فجمع عسكره وحارب أخاه ثم انهزم وهرب سنة ٩٦٦ والتجأ الى شاه العجم وسكن بمدينة تبريز خوفا من أبيه وفى سنة ٩٦٧ قتل شاه العجم بايزيد المذكور وأولاده الخمسة فأحضروا

الاتفاق (١٩)

Digitized by Google

جناؤاتهم الى سيواس وفى هذا العام اعتدت اسبانيا واستولت على جزيرة صربه وفى سنة ٩٦٨ ذهب بياله باشا والرئيس طورغود فشتتا شمل سفن اسبانيا وأسرا أمير الها وابن أميرال آخر واستردا الجزيرة ثم عاد الى الاستانة وفى سنة ٩٦٩ تحررت المعاهدة فى مدينة فرانكفورت بين الدولة وأوستريا بدفع ثلاثين ألفا ذهبا ويركو سنويا من طرف الثانية وفى سنة ٩٧٠ أرسلت دولتا ايطاليا وبولونيا سفراء بطلب الامتيازات التجارية فأجيبا وفى سنة ٩٧١ حصل بالاستانة سيل عظيم فخرب بيوتا كثيرة وبكاوى وغير ذلك مما أوجب صرف نصف مليون ذهبا لاعادة ما هدم وفى سنة ٩٧٢ تكرر تعرض أهالى جزيرة مالطة فغضب السلطان وجهز أسطولا وأرسله الى الجزيرة بقيادة بعض المأمورين فمن سوء تدبير حركاتهم عادوا بلا ثمرة وفى سنة ٩٧٣ حصل اختلال فى بلاد المجر فذهب السلطان بعساكره اليها وبوصوله الى تاتارباز أصابه مرض النقرس واشتد عليه فتجلد حتى وصل الى صحراء ذمون وفى سنة ٩٧٤ حاصر قلاع (أوسك) (وسكنوار) وغيرهما واستولى عليهم ثم اشتد به المرض فتوفى فى ٢٣ صفر رحمه الله رحمة واسعة

الاتفاق (٢٠) (والقصة مهولة) فى سنة ٩٧٤ قبل وفاة السلطان وقيل فى سنة ٩٧٥ اتفقت حكومات أوربا على محو الدونانمة العثمانية فجمعت قوة هائلة مركبة من خمسمائة وثلاثين سفينة حربية متنوعة فاضطرب فكر السلطان وطلب خير الدين باشا الشهير والى الجزائر وكان فريد عصره فى فنون الحروب البحرية فحضر وعينه السلطان أمير الاعمومية وأمر كافة الامرالات بطاعته وفوض اليه الامر فقام هذا البطل بهذه المأمورية المهمة أحسن قيام وذلك أنه تفقد سفن الدولة العلية الحربية وفرز منها ثلاثمائة وخمسين سفينة من أجودها وفرز من الضباط والعساكر مالزم ثم ذهب لمقابلة الاعداء ثم فرز من هذا القدر مائة وعشرين سفينة من أجودها وجعل الباقين كالحصن حصب فى ذلك الوقت وهاجم الاعداء بالمائة والعشرين سفينة بمهارة فائقة فاشتدت الحرب وتزايد كربها ثم انتصر على

Digitized by Google

الاعداء انتصارا باهرا فأغرق البعض وأحرق البعض وأسر البعض وشتت شمل الباقي ثم عاد الى الاستانة فجعل السلطان استقباله كاستقبال الملوك وأنعم عليه بانعامات فائقة احد وبالاسف أن هذا الباشا والسلطان سليمان ماتا في سنة واحدة ثم تعصبت الدول واعدت قوة بحرية هائلة لاخذ ثارا تهم ومحو الدونانمه العثمانية وتمكنوا من ذلك كما سيأتي وقد وافق تاريخ وفاة السلطان سليمان هذه الكلمات (شهيد رآه حق سلطان سليمان) وما ثره الخيرية في بناء المساجد والمدارس وغيرها لاتحصى أما أولاده فهم مصطفى ومحمد وسليم وبايزيد وجهانكير وابنته مهرماه توفي في حياته جميع الذكور كما تقدم ماعدا سليما

﴿أسماء معاصري السلطان سليمان من الملوك والامراء وجهاتهم﴾

أوربا

فرانسا ..... فرنسو الاول ..... ملك

انجلترا ..... هانرى الثامن ثم أنسروه

اسبانيا ..... } الامبراطور شارلكان ..... امبراطور
المانيا ..... }

البورتغال ... أمانويل ثم جان الثالث ..... ملوك

روسيا ..... ايوان الثالث ثم واسيل الثالث

آسيا

العجم ..... طهماسب ..... شاه

شيروان .... الشيخ شاه

الهند ..... السلطان علاء الدين ثم بهلول ثم نظام

لاهود ..... الشاه محمد ثم حسين

Digitized by Google

١١ السلطان سليم خان الثانى

ولد المشار اليه فى ٦ رجب سـنة ٩٣٠ وتولى السلطنة فى سنة ٩٧٤ وعمره أربع وأربعون سـنة ومدّة سلطنته ثمان سنين وخمسة أشهر وفى ثالث يوم من جلوسه ذهب الى بلغراد لاستقبال الجيش فبوصوله علموا جلوسه وقد حصل فى أثناء عودته للاستانة من اليكيجريين اختلال كثير فأظهر محمد باشا صوقوللى الصـدر الاعظم حزما ونشاطا فى مجازاة الرؤساء المتسببين فى الاختـلال وأوقف كلا منهم عند حدّه لكن سبب الاختلال هو عدم وجود النقود فى مالية الدولة وتأخير مرتبات العساكر لمدة طويلة حتى حصل لهم صعوبات جمة فى عودتهـم للاسـتانة ولما وصلوا اليها تصادف وصول بيالة باشا الاميرال عائدا من ايطاليـا بغنائم كثيرة فتمكنت الدولة من صرف بعض المرتبات المتأخرة للجيش ثم أمر السلطان باعمـال زينة فاخرة شكرا لله على انتصار الدولة فى الحرب واعلانا للجلوس ولتحويل أفكار العامة من حدوث الاراجيف وفى سنة ٩٤٥ جاءت الهدايا من دولة العجم وبولونيا على أيدى السفراء وفى سنة ٩٧١ عصت الاعراب الساكنون فى شواطئ بغداد وبصره فحاربهم والى البصرة وظهر فى الوقت نفسه اختـلال عظيم فى اليمن فدخـل أغلب الجهـات فى يد من يدعى مظهرا من مشايخ الزيدية المنسوبين الى زيد بن على بن زين العابدين بن سـيدنا الحسين فأرسل اليـه السلطان مصطفى باشا والى الشام سردارا وعثمان باشا بوظيفة أمير أمراء وعـين سنان باشا أخا اياس باشا واليا على مصر فبأسـباب ما كان بين سـنان باشا وبين الباشوين المذكورين قبله من المنافسات أجبرهما على الهروب وتحصل هو على سردارية اليمن فذهب اليها ولمضى زمن طويل بين ظهور الاختلال وبين وصوله اسـتولى الشريف مظهر المذكور على جميـع بلاد اليمن فاهتم سـنان باشا بفتح اليمن ثم مات الشريف المذكور وانهزم من كان معـه من الاعراب فتم الفتـح ولقب بفاتح اليمن وفى هذا العام حصل اختلال بطرابلس الغرب فارسل السلطان

Digitized by Google

أسطولا فأعيد الأمن فيها وفى أثناء ذلك استغاث أهالى الأندلس الباقين الذين طردوا من غرناطة الى الجبال من مطاردة الاسبانيين لهم فأرسل السلطان امدادا الى محمد المنصور من سلالة الملوك المنقرضة بالاندلس فتغلب على الاسبانيين وحاصر غرناطة وكاد أن يستردها واذا بمدد كبير أتاه من حكومات الافرنج الاسبانيين فطلب محمد المنصور من الدولة العلية امدادا جسيما ولمشغوليتها فى طرابلس الغرب وفى قبرص وحرب اليمن وغيرهم لم يتيسر ارسال امداد آخر فاضطر محمد المذكور الى ترك حصار غرناطة وفى سنة ٩٧٧ رأت الدولة صعوبات زائدة فى ارسال العساكر الى حدود الشرق عند اللزوم فعزمت على حفر وتوسعة نهر وولغا الذى يصب فى بحر الخزر ليصلح لمرور السفن الحربية والنقالة لسهولة ارسال العساكر والمهمات كما ذكر فعينت قاسم باشا الشركسى سنجقا على كفة وأحالت عليه هذه المهمة وأرسلت الاوامر الى دولة كراى خان قريم باعانته بما يلزم وأعطت لقاسم باشا ستة عشر ألف عامل وثلاثة آلاف يكيجرى وعشرين ألفا من فرسان الاتراك وخمسين من فرسان التتر وما لزم من المهمات كالفوس والكركات وغيرهما فاهتم قاسم باشا بالعمل حتى أنهى ثلثيه غير أن الروسيا دست الدسائس بين التتر والعمال بواسطة الجواسيس قائلين لهم ان البرد لايطاق فى هذه المنطقة فبحلول فصل الشتاء تموتون من البرد فاشيعت هذه الاقوال بين العساكر والعمال فحصل هياج واختلاف فوعظهم قاسم باشا وقال لهم أن هذه دسائس من الروسيا ولا أصل لهذه الاقوال وان بلاد الروسيا أبعد من هذه المنطقة شمالا فما بالهم لايموتون فلم يسمعوا مقاله بل تفرقوا وتركوا العمل وانصرفوا الى بلادهم فتبددت المهمات والذخائر فغضب السلطان على الصدر الاعظم غضبا شديدا غير أن مصطفى باشا لاله (١) تكلم مع السلطان بما يوافق مشربه ويسكن غضبه مجاملة للصدر الاعظم ومحو ما كان بينهما من الضغائن والعداوة فسكن غضب السلطان ونجا الصدر الاعظم من الخطر ثم ذهب خان قريم بثلاثين ألفا من

(١) اى مربى السلطان

Digitized by Google

الشجعان الفرسان وما لزم من التبيادة الى بلاد الروسيا للانتقام فى نظير الدسائس الماضية فخرب مدينة موسكو وفى هذا العام أتمت دولة أوستريا تنظيم عساكرها أخذا من نظام الدولة العلية بعد اشتغالها مدة عشرات من السنين تقصد بذلك مقاومة عساكر الدولة العلية وفى سنة ٩٧٨ عين مصطفى باشا اللاله المذكور سردارا على قبرص بناء على التماس الصدر الاعظم مكافأة له على ماسبق من تسكين غضب السلطان عليه كما تقدم وكان معه خمسون ألفا من العساكر رماة البنادق والطوبجيـة واللغمجيـة و مائة وخمسون سفينة بقيادة بيالة باشا وعلى باشا أولوج فذهب وحاصر قبرص ولمتانة الحصون والاستحكامات والقـلاع مكث ستة شهور وأخيرا أطلق المدافع بشدة على مدينة ماغوسه فاضطر الاهالى الى التسليم ورغبوا نقلهم الى جزيرة كريد وأما صاحب قبرص المدعو براغازينو فأنه قتـل بجميع أسراء المسلمين ثم تزيى بزى الونديكين بالملبوس الاحمر و أراد الهروب فلما بلغ ذلك مصطفى باشا أخرج أسراء الافرنج وقتلهم ثم قبض على براغازينو المذكور وقتله وقيل ان المذكور بعد ان تزيى بزى الونديكين كما تقدم خرج من القلعة ودخل وسط الجيش العثمانى لامر مجهول فضبط وقتل نظير قتله لاسراء المسلمين وقد لام بعضهم مصطفى باشا على ذلك وقيل ان الافرنج جعلوا فى تواريخهم هذه المسألة من أشنع الفظائع مع أن البادى أظلم وهو براغازينو فى قتـله الاسراء ولم تكن فظائع اسبانيا ضد الأندلسيين فى نظرهم شيأ مذكورا وما هذا الا من التعصبات القديمة والحديثة

المحاربة البحرية الهائلة

قد تقدم واقعة فتح قبرص ولقد هلك فيها نحو الخمسين ألفا من المسلمين و يقال ان سبب هلاك هـذا القـدر العظيم هو جهل مصطفى باشا المذكور عن الادارات الحربية وسوء تدبيراته فاتحدت حكومات الونديك واسبانيا والبابا وايطاليا ومالطة وغـيرهم على محو الدولة العثمانيـة فجمعوا قواهـم البحرية برئاسة الاميرال (الاتفاق ٢١)

المشهور المسمى دونجوات بن الامبراطور كارلوس الخامس وفى جمادى الاولى سنة ٩٧٩ جهزت الدولة مائة وثمانين سفينة بقيادة على باشا بن المؤذن وعلى باشا أولوج والي الجزائر وجعفر باشا والي طرابلس الغرب وحسن باشا بن خير الدين باشا المشهور وجميعهم تحت رئاسة برتو باشا الوزير الثاني فاختلفت الباشوات في الآراء فمنهم على باشا أولوج قال ان قوتنا البحرية ناقصة وضرورى من استكمالها لاول ربيع القادم وكرر ذلك ولرغبة محمد باشا الصدر الاعظم في كسر نفوذ برتو باشا المذكور لم يصغ لمذكرات على باشا المذكور بل استمال فكر على باشا بن المؤذن في ترجيح الدخول في الحرب حالا ثم قال على باشا أولوج لعلى باشا بن المؤذن بعدم لزوم التوغل بالسفن في عرض البحر ونادى بذلك بأعلى صوته مرارا فلم يقبل قولا منه اني لأظهر شبه فرار حتى يقول الاعداء فرت الدونانمة العثمانية بل أسرع بالهجوم فغضب على باشا أولوج وناداه ثانيا وقال ان الهوى ضد مراكبنا وصالح لمراكب الاعداء فلم يصغ لقوله وأما الاعداء المتفقون فان الهوى كان مساعدا لهم فرتبوا سفنهم ترتيبا حسنا واستعدوا للمقاومة والمدافعة فوقع قتال في محل يسمى قاتلي بورون بقرب موره ومعناه الانف الدامي فاستشهد على باشا ابن المؤذن من سفينة اسبانية وابنه مات محترقا وتكسرت سفينة برتو باشا الوزير الثاني ووقع في البحر فأخرجوه حيا بالحبال وأما على باشا أولوج فأنه أظهر من الشجاعة والمهارة في تفريق واغراق سفن الاعداء مايحير الافكار وهو السبب الوحيد في عدم استئصال دونانمة الدولة ولقد مات أكثر من ثلاثين ألفا من المسلمين خلاف من أسر من العساكر والذوات فقطعوا رؤسهم وعلقوها على صوارى السفن المأسورة وعلقوا الرايات والاسلحة منكسين احتقارا وانتقاما وتشفيا وكان المنظر بشيعا هائلا والخسائر على الدولة جسيمة والسبب في ذلك كله حصول الاختلاف والضغائن والغايات الشخصية كما تقدم فلما بلغ ذلك السلطان اغتاظ غيظا شديدا وأما الصدر الاعظم فأنه ندم على مافرط منه لانه لم يحسب أن الحالة تبلغ لهذه الدرجة فاهتم اهتماما زائدا في تزايد القوة البحرية ونظامها وأعقب

هـذا الانكسار ان الاسبانيين استأصلوا بقايا المسلمين بالاندلس بقتلهـم الا من هرب الى أفريقيا حتى صارت أوربا من جهـة الاندلس خالية من كل مسلم ولم تقتنع اسبانيا بذلك بل طردتهم بعـد الاستيلاء على جميـع أملاكهم وديارهم الى أفريقيا واستولت على بعض جهات منها أيضا وأعانتها ملوك تونس من بنى حفاض وملوك فاس تملقا ولم يثمر ذلك بل تسلطت اسـبانيا على سواحـل تونس فأرسل السلطان على باشا أولوج صاحب الذكر الحسن آنفا بعـد ان غير لقبـه بلقب قليج ومعناه السيف ودعه دونانمة الدولة وذهب فى سنة ٩٨٠ الى سواحل تونس فطرد عساكر اسبانيا منها وشتت شمل دونانمة مالطة واستولى على تونس ونصب حيدر باشا وكيلا عنـه ببعض عساكر قليـلة فما كان من السلطان حسن حاكم تونس سابقا الا انه التجأ الى اسـبانيا وطلب منها عساكر لاسترداد تونس من الدولة العلية وفى نظير ذلك يكون لاسبانيا السواحل والكمارك فقبلت منه وأرسلت جيشا مع حميد بن السلطان حسن المذكور الى تونس فقابلهم حيدر باشا بالف من العساكر ولم يثبت لقلة عساكره بل هرب واستولى حميـد بعساكر اسبانيا على تونس وكذلك اسـتولت ايطاليا على طرابلس الغرب التى كانت مستقلة يومئذ فغضب السلطان من تلك الاحوال وأرسل سنان باشا سردارا ومعـه بعض عساكر فحاصروا تونس ولما وجـد سـنان ان السلطان حسن سلم بلده الى اسبانيا أمر بضبطه فضبط ثم فتحت القلعة وقلعة حاق الوادى وغيرهما وشكل ولاية فيها وفى سنة ٩٨١ أتم السلطان سليم بناء الجامع المشهور باسمه فى أدرنة وبنى كوبريا جسيما فى قصـبة چكمجه ورمم جامع أبا صوفيا الشهير بالاستانة واشترى البيوت الملتصقة وجعل مكانها ميدانا ومدرسة وفى سنة ٩٨٣ فى شهر رمضان وقع السلطان فى الحمام الجديد فى السراية بزلقة رجليه فكانت سببا فى موته رحمة الله عليه وكان له ستة أولاد مراد ومصطفى وسليمان وعثمان ولم أقف على أسماء الاثنين الآخرين

﴿ أسماء الملوك والامراء المعاصرين للسلطان سليم خان الثانى وجهاتهم ﴾

أوروبا

الروسيا ..... قدور الوانويج ..... حاكم
بولونيا ..... سيزسمند الثانى ثم هنرى من بيت جاجا ..... حاكم
ألمانيا ..... كارلوس الخامس ثم شارلكان ثم فارديناندو .. امبراطورات
فرانسا ..... فرانسو الاول ..... ملك
اسبانيا ..... فليب ..... ملك
وندبك ..... بترو ثم مونوستايانكو ثم يانكولاسى .... رئيس الجمهورية
ايطاليا ..... بابا الخامس ثم غراغور الثالث عشر ثم غراغور الرابع عشر
انجلترا ..... هنرى السابع ثم ادوارد ثم جان غراى مارى
البرتغال .... فليب بن شارلكان ثم فليب الثانى ثم فليب الثالث ثم فليب الرابع ثم جان الرابع ..... ملوك
ايران ..... طهماسب ثم ابنه حيدر ميرزا ثم بعد خلعه اسماعيل ميرزا ثم بعد خلعه عباس
الصين ..... شينغونغ ثم مونسنغ ثم ابنه سينغونغ ..... امبراطورات
الهند ..... همايون ثم جلال الدين محمد الاكبر ومات بالسم ثم سليم جهانكير ..... شياه

١٢ السلطان مراد خان الثالث

ولد المشار اليه فى سنة ٩٥٣ هجرية الموافق سنة ١٥٤٤ ميلادية وجلس فى سنة ٩٨٣ فى أول رمضان بالغا من العمر تسعا وعشرين سنه ومدة سلطنته عشرون سنة وفى أول جلوسه أعطى مائة وعشرة آلاف ذهبا للوزراء واليكيجريين

Digitized by Google

لاستجلاب محبتهم له (ولا يخفى أن هذه العطية قد جلبت المضار لانه ترتب عليها انها صارت عادة وأن من تأخر عنها من السلاطين كان يرى التعب من اليكيجريين وغيرهم من أصحابها حتى صاروا يتمنون تجديد السلاطين لاجل هذه العادة ويسعون فى ذلك) وأما الصدر الاعظم محمد باشا فانه كان ذا ثبات وحزم مستمرا فى تزايد القوة البحرية خوفا من دول أوروبا ومن جهة أخرى جذب اليه ملوك أوروبا وعقد معهم المعاهدات بمنع الحرب وبالمعاهدة التجارية وذلك مع ملك بولونيا وامبراطور المانيا وجمهوريات الونديك وفرنسا واسبانيا وانجلترا وذلك فى سنة ٩٨٣ و ٩٨٤ وفى هذا العام حصلت منازعات بين حكام المغرب فأرسل ملك البرتغال جيشا عظيما واحتل افريقية فأرسل السلطان رمضان باشا والى الجزائر امدادا لحاكم فاس فوقع الحرب واضمحلت عساكر البرتغال وانقذت منهم فاس وقد عرض عليه حاكمها الانقياد للخلافة وقدم مائتى ألف ذهبا وفى سنة ٩٨٥ لم يحصل أمر ذو بال انما سعى شمسى باشا المخالف للصدر الاعظم لدى السلطان برؤية بعض الاعمال لدى السلطان مباشرة بغير واسطة الباب العالى وفى سنة ٩٨٦ كثر الاختلال فى الممالك الايرانية وأوجب حدوث الفتن فى الحدود فعين مصطفى باشا سردارا للشرق فذهب الى كرجستان فقابله (توقماق خان) سردار عساكر ايران بثلاثين ألفا فوقع الحرب ورجع توقماق منهزما وفتحت العساكر العثمانية (كرجستانا) حتى وصلت العسكر الى مدينة (تفليس) فعين عثمان باشا حاكما على جهة شروان وعين جعفر باشا واليا على كرجستان ومحافظا على قلعة تفليس وفى سنة ٩٨٧ أرسلت حكومة ايران أربع فرق جسام من العساكر لاسترداد هذه البلاد فشتت عثمان باشا فرقتان منها والاثنتان الباقيتان حاصرتا شروان بعد أسر عادل كراى أخى خان قريم رئيس عساكر التتر فأسرع اخو المذكور لخلاص أخيه فلم يتيسر لدخول فصل الشتاء وفى هذا العام دخل شخص بوشناقى الجنس على الصدر الاعظم مظهرا اعطاء ورقة له فلما قرب منه أخرج خنجرا وضربه به فجرحه جرحا بليغا فعين بدله احمد باشا الوزير

الثانى للصدارة العظمى وعين سنان باشا أيضا سردارا فأسرع بالذهاب الى الجيش وفى سنة ٩٨٨ مات الصدر الاعظم الجديد بمرض المثانة وعين بدله مصطفى باشا لاله و بعد ذلك بقليل صار سنان باشا صدرا أعظم و فى سنة ٩٩٠ مات جدى أفندى شيخ الاسلام و أعطى مسند الفتوى لمحمد أفندى ابن القاضى وفى هذا العام أشاع الصدر الاعظم بأن دولة ايران أرسلت سفيرا فبدّل المحاربة بالمصالحة ثم ظهر أن ذلك حيلة منه فعزل وعين بدله (سياوش باشا) وفى سنة ٩٩١ عين (فرهاد باشا) سردارا وأخذ عساكر جديدة وذهب بهم الى الجيش ومات فى هذا العام (فريدون بك) المنشى الشهير و والدة السلطان أيضا وعين السلطان ابنه محمدا واليا على مغنيسا وفى سنة ٩٩٢ عصى محمد كراى خان قريم وحاصر عثمان باشا فى كفه فأرسل اليه على باشا القابودان بعشرة آلاف من الينكيجريين امدادا لعثمان باشا المذكور فوقع الحرب و أخذ خان قريم أسيرا وعين بدله اسلام كراى خانا على قريم ثم ان عثمان باشا المذكور فتح جهات كثيرة من طاغستان ثم عاد الى الاستانة فأكرمه السلطان وعينه صدرا أعظم وفى سنة ٩٩٣ حصل بعض اختلال فى قريم فقام الصدر الاعظم بالجيش ولما بلغ الى قسطمونى جاءه الخبر باستتباب الامن فى قريم فعاد الى الاستانة وأعقب ذلك ظهور طاعون مات به بعض أولاد السلطان وفى هذا العام أرسل السلطان ابراهيم باشا الى مصر للاصلاحات فتصادف عصيان ابن معن حاكم الدروز فتحوّل تأديبه على ابراهيم باشا المذكور و بعد اتمام هذه المأمورية على أحسن حال عاد الى الاستانة فأكرمه السلطان و اتخذه صهرا له وفى هذا العام تحركت عساكر ايران على الحدود العثمانية فذهب الصدر الاعظم و بوصوله الى تبريز وقعت محاربة عظيمة فانتصر العثمانيون وأعقب ذلك مرض الصدر الاعظم و وفاته رحمة الله عليه ونصب يوسف باشا ابن جفال وكيلا عنه فعاد وكيله المذكور بالجيش الى الاستانة وعين مسيح باشا صدرا أعظم وفى سنة ٩٩٤ عاد الايرانيون الى التعدّى على الحدود فذهب فرهاد باشا بجيش وعزل مسيح باشا من الصدارة وعين بدله سياوش باشا ولما

وصل فرهاد باشا الى تبريز وقعت محاربة هائلة فانتصر العثمانيون واستولوا على تلك الجهات فاضطرب الشاه فى أمره وأرسل أخاه ميرزا حيـدر الى الاستانة رهنا وطلب الصلح على شرط ترك جميع البلاد التى استولت عليها الدولة العثمانية لها فقبل السلطان وسحب جيشه وفى هذا العام مات على باشا القبودان وعـين بدله ابراهيم باشا وفى سـنة ٩٩٥ عاد شاه العجم للهجوم على البـلاد العثمانية فذهب اليه فرهاد باشا وحصلت جملة وقائع حربية وطالت المدة فحصلت مضايقات فى ماليـة الدولة أوجبت ترك صرف مرتبات العساكر وعلوفات الخيول فثارت العساكر بالاستانة وهجموا على محمد باشا ناظر الضربخانة ومحمود أفندى الدفتردارى ناظر المالية وقتلوهما وهجموا على السراية مرارا ثم اتسعت نازلة الفتنة فى الولايات فاهتم بعض الولاة وبالاخص واليا بودين وتبريز فانهما قتلا نحو ألفين من العصاة فسكنت الفتنة نوعا فلما رأى ملك بولونيا هذا الاختلال فرح وأدخل عساكره الحدود العثمانية فارسلت الدولة الى خان قريم بالاغارة على بلاد بولونيا وفى سـنة ٩٩٦ ظهر شخص سمى نفسه الشاه اسماعيل الشاه المشهور فى كردستان وسعى فى الارض فسادا فحاربه والى أرضروم وضبطه وقتله وفى سنة ٩٩٧ حصل حريق هائل بالاستانة عزل بسببه أغا اليكيجريين وفى سنة ٩٩٨ مات أويس باشا والى مصر وتعين بدله أحمد باشا وفى رواية كان ذلك فى سنة ٩٩٩ وفى هذا العام ظهر من اليكيجريين بعض عصيان انبنى عليه تعيين فرهاد باشا صدرا أعظم وفى سـنة ١٠٠٠ اضطرت الدولة الى اقتراض مالزم لصرف مرتبات العساكر وهذا أول قرض اقترضته الدولة وفى سنة ١٠٠١ التجأ أحمد خان حاكم كيـلان الى السلطان من هجوم شاه العجم عباس على بلاده وفيها حصلت مضاربة بين بعض العسكر وبين بعض خدمة السراية انبنى عليها عزل الصـدر الاعظم وشيخ الاسلام فعين سنان باشا للصدارة وزكريا أفندى للمشيخة وفى سنة ١٠٠٢ ذهب الصـدر الاعظم الى بودين لعصيان بعض من المجر وفيها عمل السلطان وليمة لاجل مصاهرة خليل باشا له وصرف فيها أكثر من مائتى ألف كيس

Digitized by Google

وفى سنة ١٠٠٣ امتدّت الحرب فى بلاد المجر وفتحت قلاع (سانمارتون) و(بابا) و(يانك) ثم عصى حكام افلاق و بغدان وقتلا فى مدينتى بكرش و يركوى آلافا من العثمانيين وقد اعتـدت النمسا بجيش عظيم على بلاد الدولة فاهتمت الدولة العلية بجمع جيش عظيم وأخرجت الراية الشريفة واذا بالسلطان مراد قد مرض ومات فى خامس جمادى الاولى من هذه السنة رحمه الله تعالى

﴿أسماء الملوك المعاصرين للسلطان مراد وجهاتهم﴾

أوروبا

انكلترا ..... ايلزابت ..... ملك
فرنسا ..... هانرى الرابع ثم ابنه لوامى الثالث
اسكوجيا .... مارى ..... حاكمه
بلونيا ..... هانرى ثم اسطفان ثم ملك اسوج سيزسموند
وندبك ..... نيكولاسى دابونت ثم جرمانى
ألمانيا ..... امبراطور فرديناندە ثم ابنه ماقسى‌مليان ثم رودلف ثم بعد خلعه أخوه مايتاسى
اسبانيا ..... فليب
الروسيا ..... فدور ثم بعد موته بالسم غودون دوق ثم ابنه فيؤدور الثانى
برتغال ..... جان الرابع ثم ابنه الفونس
فلمنك ..... كليوم الاول ثم كليوم الثانى
دانيمارك .... فردريك الثانى ثم كرستيان الثالث

آســـيا

الهند ..... سليم جهانكير
ايران ..... عباس الاول ثم حيدر ثم اسماعيل

Digitized by Google

خوارزم .... حسن قوللى خان ثم بوصعه خان ثم صوفى خان ثم أويس خان
ثم يوسف خان أبو يوسف خان ثم افكللى خان ثم يونس خان
ثم دوست خان ثم نورم خان ثم الشاه عباس شاه ايران

١٣ السلطان محمد خان الثالث ابن السلطان مراد الثالث

ولد المشار اليه فى سنة ٩٧٤ فى ولاية صاروخان وجلس فى سنة ١٠٠٣ هجرية الموافقة ١٥٦٥ ميلادية بالغا من العمر تسعا وعشرين سنة

(واقعـــة محزنة)

لما مات السلطان مراد الثالث كان ابنه محمد هذا واليا فى مغنيسا ففى أثناء حضوره حصل من أخوته البالغ عددهم تسعة عشر القال والقيل فلما وصل محمد الاستانة ليلا وأخبر بذلك مع زيادة من أصحاب الاغراض وسوس له الشيطان بأن الفتنة لاتدفع الا بقتلهم فقتلوا ثم ندم وشتت أغلب أهل السراية وعزل جميع الوزراء ومنع تولية أحد من أولاد السلاطين واليا فى احدى الجهات بعدئذ.

وقد تقدم ذكر عصيان حاكمى افلاق وبغدان فانضم اليهما حاكم أردل وهجم ميخال بك حاكم افلاق على خان قريم وشتت شمل عساكره وأحرق سواحل البحر الاسود ونهر طونه وقلعة روسجق فعزل سنان باشا من الصدارة العظمى وعين بدله فرهاد باشا الذى كان وكيلا عنه وفى سنة ١٠٠٤ عين سنان باشا المذكور مأمورا لاصلاحات السواحل المذكورة والجهات التى خربت كما تقدم فما كان منه الا أنه استعمل وسائط عجيبة حتى تحصل على اعادته للصدارة ولم يكتف بذلك بل ألقى للسلطان ماأوجب اعدام فرهاد باشا ثم ذهب الى ميدان الحرب وعمل كوبريا فى روسجق على نهر طونه وعبر بعسكره بحالة شاقة واسترد قلاع (طرغو) و(بشته) و(يكرش) لكن خدعه ميخال بك المذكور حتى أوقعه فى موقع ضيق ثم انتصر

Digitized by Google

عليه واسترد القلاع المذكورة واستولى على كثير من الذخائر والادوات الحربية فبناء عليه عزل سنان باشا وعين بدله محمد باشا لاله للصدارة وبعد اسبوع وافاه الاجل الموعود وعاد سنان للصدارة وعزم على الاجتهاد فى التدارك الحربية واذا بالاجل المحتوم أتاه فعين بدله ابراهيم باشا الوزير الرابع غير أنه حصل خلل عظيم فى مصالح الدولة من كثرة التبديل والتغيير فى الصدارة حتى بلغ خمس مرات فى السنة الاولى من جلوس السلطان ثم ذهب ابراهيم باشا الصدر الاعظم الى ميدان الحرب بعد استكمال لوازمها وفى ٢٤ شوال ذهب السلطان بنفسه اليها وبوصوله الى بلغراد سجن محمد باشا قورقاق بن سنان باشا المعهود فى قلعة بلغراد حيث كان هو السبب فى هزيمة الجيش فى واقعة أبيه الماضية

الاتفاق (٢٤) وفى سنة ١٠٠٥ انضم الى المتفقين العصاة أرشدوق ما قسيليان وسيزسيموند الاول امبراطور ألمانيا وملك بلونيا فوقع بين المتفقين والعثمانيين ثلاث وقائع حربية جسيمة كان الفوز فيها للعثمانيين لكن لم تحسم الحرب فبناء عليه أراد السلطان ابقاء الصدر الاعظم هناك ورجوعه الى الاستانة وكتب له جوابا بذلك فأعاده الصدر الاعظم اليه قائلا أن ذهاب السلطان من ميدان الحرب قبل انتهاء أمرها لايوافق ثم وقعت محاربة عظيمة بين المتفقين وبين مائه وثلاثين الفا من العثمانيين فانتصر المتفقون ولم أقف على مقدار جيشهم حتى بلغ الفارّون من العثمانيين خيمة السلطان وعلى أثرهم عساكر المتفقين وبالاخص عساكر النمسا والمجر حتى كادوا أن يأسروا السلطان فأظهر جلالته من الهمة والشجاعة ما أبهر العقول وأمر الخدمة بالهجوم فهجموا على الاعداء حين اشتغالهم بالنهب والسلب ثم أتت فرقة من العثمانيين من وراء الاعداء فاندهشوا وداخلهم الرعب فانهزموا بهيئة شنيعة حتى لم ينج منهم الا القليل وفى رواية قيل ان من مات منهم يبلغ مائة وخمسين ألفا وما أظن ذلك الا تحريفا والاقرب للعقل هو أن الجيش الذى اضمحل كان مائة وخمسين ألفا منهم المقتول والمجروح والفارّ والمأسور وبناء على هذه النصرة العظيمة عاد الجيش للاستانة بسرور كامل

Digitized by Google

وفى أثناء رجوعه عزل السلطان ابراهيم باشا الصدر الاعظم ثم أعاده بعد برهة غير أن الصدر الاعظم بدل مسلكه الحسن فى صدارته الاولى بعكسه فى صدارته الثانية فعزل وعين بدله حسن باشا الخادم الذى كان قائما مقامه بالاستانة وفى سنة ١٠٠٦ جاء سفراء ايران وبخارى وفاس والونديك للتبريك بالانتصار وفى هذا العام أرسل شريف مكة المشرفة كسوة الكعبة الشريفة للاستانة فسر الاهالى سرورا عظيما واستبركوا بها وفى سنة ١٠٠٧ أفسد العساكر الفارّون فى الاناضول وفيه عاد الالمانيون والمتفقون السابق ذكرهم الى سفك الدماء فى قريم وحاصروا قلعة ينكيبولى وغيرها فعين ابراهيم باشا السردار بعد اعادته للصدارة وذهب بجيشه الى هناك وبوصوله الى بلغراد أعدم محمد باشا سلطرجى بتهمة العز والغنى وسجن احمد باشا الدفتدار ابن اتمكجى فحصل فى الجيش القال والقيل بسبب قتل الباشا المذكور بغير ذنب وفى سنة ١٠٠٨ اتحد ابراهيم باشا المذكور مع خان قريم ومراد باشا المذكور والى ديار بكر فتغلبوا على الاعداء المتفقة واضطروهم الى الصلح وفى أثناء ذلك توفى ابراهيم باشا الصدر الاعظم فغدروا على الصلح فعين حسن باشا القائم مقام للصدارة وذهب الى الحرب وفى سنة ١٠٠٩ فى أثناء ذلك استولت النمسا على قلعة أرول وأرسلت فرانسا عساكر كثيرة باسم متطوعين للنمسا بناء على الحاح البابا وفى أثناء ذلك ظهر شخص فى سيواس يسمى قره يازجى ومعه كثير من الاشقياء خصوصا العساكر الفارة فاكثروا فى الارض فسادا وأغاروا على قرمان ومرعش وعلاوة على ذلك خرجت عساكر الدولة الموجودون فى محاربة النمسا عن الطاعة ولما رأت دولة ايران ذلك نقضت العهد وفى سنة ١٠١٠ طلبت فرنسا من الدولة العلية لما رأت حرج موقفها مرور أساطيلها بالبحر الابيض وألحت بذلك فاضطرت الدولة للقبول ولما رأت انكلترا ذلك طلبت مثلها فى الحال فأجابتها أيضا رغما عنها وأما الصدر الاعظم فانه سكن فتنة الجيش العاصى بوعد ووعيد حتى طرد الاعداء من الحدود ثم ذهب الى الاناضول لاستتباب الأمن وتأديب

الاتفاق (٢٥)

Digitized by Google

قره يازجي وأعوانه فأخذ النمساويون ومن معهم هذا فرصة لعودتهم الى الحدود واستولوا على حصار استرغونه وحاصروا قاينجه فدافع عنها متصرفها حسن باشا تراكي بهمة وخدعة وثبات حتى اضمحل عساكر الاعداء وتركوا حصار هامع قلة عساكر هذا الباشا وبعد ذلك ذهب النمساويون باثنين وأربعين مدفعا وخمسين ألفا من العساكر الى بودين وأما الصدر الاعظم فانه لما بلغه عودة النمساويين كما ذكر ذهب الى هناك بجيشه قبل اتمام مسألة الاناضول فبوصوله ارتد النمساويون على ادبارهم وكان هذا الصدر اشتهر بانه لا يولى أحدا فى منصب الا بالرشوة (قاتل الله الراشى والمرتشى) فثارت الضباط اليكجيرية بالاستانة والمستحفظون فهجموا على السراية وطلبوا السلطان على بابها الخارجى فهددهم وسأل عن غرضهم فقالوا أن الصدر الاعظم مرتكب وان الحدود الشمالية فى روملى (يعنون بها بلاد المجر) فى ارتباك مستمر وفى أسوء حال وان الاناضول أغلبها صار فى يد الاشقياء وامتلأت بالفوضاويين فارسل السلطان يقول لهم انكم أبديتم ما فى أفكاركم وأنى سأنظر فيما يكون صالحا للدولة وأرسل فى الحال يطلب على باشا ياوز والى مصر وأما الصدر الاعظم فانه عند وصوله الى الاستانة قتل وعين بدله والى مصر المذكور ولما رأى الشاه عباس شاه ايران ارتباك الدولة العلية هجم على عراق العجم قولا منه أنها كانت من أملاك أجداده وهو وارثهم واستولى على تبريز وناخجوان واتفقت معه ألمانيا وانضم اليه الاشقياء الفارون من بلاد الدولة ففى الحال عين حسن باشا المقيم بأرضروم سردارا للشرق وأما أحوال الاناضول فلخلوها من القوة العسكرية من توالى الحروب فى روملى ظهر فيها من يدعى قره يازجى عبد الحليم هو وأخوه دلى حسن ومعناه حسن المجنون فاعلنا بالعصيان ونهبا بعض القرى والقصبات وكذلك ولاية أرضروم صارت تحت يد عسكر كوسه باشا وكذلك ولاية سيواس صارت فى حكم رجال أحمد باشا المعروف بألاجه اتلو ومعناه ذو الخيل البلق وكذلك ولاية قرمان فى حكم دلى حسن المذكور وكذلك مرزيفون وقسطمونى

وكانقرى تحت يد قره سعيد وكذلك اليمن صار فى حكم الشـقى المسمى نفسه بالامام المهدى وكذلك ولاية طرابلس الغرب صارت فى حكم الدايين والحاصل أن ثلثى ممالك الدولة صار تحت حكم الاشقياء وأما السلطان محمـد الثالث فانه أخـذ يتفكر فيما يفعل لاعادة هذه البلاد من يد الاشقياء المتغلبة من الداخـل والمتغلب من الاعداء الخارجية واذا بمرض أتاه فمات رحمة الله عليه فى جمادى الاولى سنة ١٠١٢ وكان أولاده ثلاثة محمود وأحمد ومصطفى فالاول مات فى حياة أبيه

﴿ أسماء معاصرى السلطان محمد الثالث من الملوك والامراء وجهاتهم ﴾

أوروبا

المانيا ..... الامبراطور رودلف الثانى
بلونيا ..... اسطفان باطورى ثم سيز سيموند الثالث ..... ملوك
الروسيا .... علكسى ثم ميخال الثانى ..... ملوك
انجلترا ..... چان الاول ثم ابنه شارلى ..... ملوك
افلاق ..... علك ساندر حاكم من قبل الدولة
اسقوجيا .... چالك الثانى ..... ملك
اسبانيا ..... فليب الرابع
برتغال ..... الفونس ثم ديشيليو ثم لوى الرابع عشر ..... ملوك
فرنسا ..... لويس الرابع عشر ..... ملك
ايطاليا ..... قله مان الثامن ثم ليئون ثم يول الخامس ..... بابات

آســـيا

ايران ..... الشاه عباس
أفغان واوزبك ونجارى دخلت تحت دولة مغول

Digitized by Google

١٤ السلطان احمد خان الاول بن السلطان محمد المتوفى

ولد المشار اليه فى سنة ٩٩٨ فى مدينة مغنيسا وجلس فى سنة ١٠١٢ هجرية الموافقة لسنة ١٦٠٣ ميلادية فى ثمانية عشر رجب بالغا من العمر أربع عشرة سنة ومدة سلطنته أربع عشرة سنة وأربعة اشهر بايعه الامراء والوزراء كالمعتاد ثم عين سنان باشا ابن القبودان جفاله أمير الامؤ بدا لاطفاء نار اختلال الاناضول وفى أثناء ذلك جاء على باشا الصدر الاعظم من مصر والشام ومعه خزينتاهما وو زعت العطايا المعتادة للجلوس وفى شعبان هذا العام صار ختان السلطان فى السراية الجديدة وفى سنة ١٠١٣ ذهب الصدر الاعظم بالجيش الى ميدان الحرب فبوصوله الى بلغراد انتقل الى رحمة الله تعالى وعين بدله محمد باشا لاله وفى الحال ذهب الى الحرب وفى زمن قصير استولى على قلاع (بشتة) و(قودان) و(جان قورتران) (١) و(خطمان) وحاصر قلعة (آج) فأحرق الاعداء ما فى القلعة وفروا الى قلعة (استرغون) فاستولى الصدر الاعظم على الاولى وحاصر الثانية ثم أرسل (توقتمش) ابن خان قريم بعساكر التتر الى بلاد النمسا فانتصر وعاد ظافرا ولدخول فصل الشتاء عاد الى بلغراد أما شاه العجم فبعد أن استولى على تبريز وما حولها كما تقدم حاصر (وان) ولقد قاوم ودافع عنها واليها محمد باشا الشريف بألف عسكرى سبعة أشهر ولم يأته مدد وأخيرا قام ابن جفالة امدادا له من الاستانة وقبل وصوله فرّ أغلب عساكر محمد باشا الشريف الى الشاه من الجوع فاضطر الى تسليم القلعة الى الشاه وأما ابنه جفالة فانه لما سمع الخبر ذهب الى قره قاش أحد الاشقياء المتغلبين وعرض عليه الصلح فقبل ذلك الشقى على شرط أن الدولة تعينه واليا على بوسنه فتم ذلك أما سنان باشا سردار الشرق فانه استرد من الشاه جميع ما استولى عليه ثم لحقه احمد باشا أمير أمراء (وان) وقره قاش باشا والى جلدر بأربعة آلاف عسكرى ودعوا الشاه للحرب فلم يقابلهم واشتد القحط

(١) معناه منجى الروح

Digitized by Google

و الغلاء فاضطر السردار ومن معه الى الرجوع واطلاق سبيل أغلب العساكر ولما بلغ هذا الخبر للشاه حاصر قلعة (وان) ووقعت بعض مناوشات بينه و بين السردار وبعد أيام أبقى السردار شسيا باشا حاكم (وان) وكيلا عنه فيها وذهب هو بالذوارق من اخلاط الى أرضروم فعاد الشاه الى جهة تبريز وفى أثناء ذلك عين قاسم باشا القامقام واليا على بغداد فأهمل الذهاب اليها فعين محافظ على (كوتاهيه) وتكاسل أيضا فأحضر أمام السلطان فى قصر سنان باشا وأعدم وفى سنة ١٠١٤ عين الصدر الاعظم سردارا لرفع الاختلال الحاصل ببلاد المجر واسترداد ماستولى عليه النمساويون فأخذ جيشا ومعه مصطفى باشا بوشناق وخسرو باشا فحاصروا قلعة (شانقراد) و فتحوها ثم استولوا على تلك الجهات جميعها وعلاوة على ذلك انضم أمراء المجر الى عساكر الدولة بهمة ونصيحة السردار وقبلوا تبعيتهم لها ونبذوا دسائس النمسا وراء ظهورهم بل ان رئيسهم بوجقاى حارب النمساويين وتغلب عليهم واستولى على قلاع (داران) و (توقاى) و (قاشه) و (يس) و (أيواء) فعينته الدولة حاكما على اردل وملكا على انكروس وفى هذه الاثناء اشتبكت الحرب بين سنان باشا سردار الشرق و بين الشاه عباس فانتصر السردار على الشاه حتى دخل سفر باشا كوسه أحد القواد حدود العجم بفرقته واقتتل مع فرقة بقيادة الله ويردى خان (١) من عساكر الشاه ومعهم ذوالفقارخان أيضا فانتصر سفر باشا ثم عاد فهجمت عليه فرقة من عساكر الشاه فى الطريق فأسروه مع جملة من عساكره فلما أحضروه أمام الشاه دعاه الى مذهبه فأبى فقتله شهيدا ثم ان السردار قتل حسين باشا والى حلب لعدم اسراعه بالامدادات ثم عاد الى ديار بكر فمرض هنالك ومات رحمه الله وفى هذا العام تبين ظلم وفساد محمد باشا ابن سنان باشا فى الشام فاحضر الى الاستانة وضرب عنقه وفيه ذهب السلطان بروسه وأرسل نصوح باشا الى الاناضول لدفع شر المتغلبين الاشقياء وأنعم عليه برتبة أمير الامراء على من يسمى الطويل من الاشقياء المتغلبين ليرجع بمن

(١) معناه عطا الله خان

Digitized by Google

معه عن الفساد ثم عاد السلطان الى الاستانة وبوصوله بلغه انهزام سنان باشا سردار الشرق من أمام الشاه فعزله وولى بدله نصوح باشا المذكور وعين درويش باشا القبودان صدرا أعظم وفى سنة ١٠١٥ عين فرهاد باشابوستانجى باشى سردارا لدفع شر المتغلبين بالاناضول غير أنه لعجزه لم يحصل ثمرة ثم مات وهو عائد رحمه الله وفيه أن من يدعى جشيدا أحد الاشقياء قتل حسين باشا والى حلب وأما درويش باشا الصدر الاعظم فانه كان من ذوى الاغراض فامر بقتله فقتل وعين بدله مراد باشا صدرا أعظم وكان مقداما فضايق على دولتى أوستريا وألمانيا فاضطرها الى الصلح غير انه لعلمها ان مركز الدولة العلية كان حرجا أصرت بان الصلح يكون على أساس عدم دفع ويركو بعدئذ ومساواة الطرفين فى كافة المعاملات لمدة عشرين سنة فقبل الصدر الاعظم ليتفرغ لتخليص الاناضول من يد المتغلبين حيث ان ابن قلندر وقره سعيد تغلبا على قرمان وسيواس وتغلب من يدعى الجاويش على حلب وأورفه واستولى جان بولت على كردستان وفخر الدين وابن معن استوليا على جبل لبنان فاضطر مراد باشا الصدر الاعظم الى جمع جميع قوته العسكرية لازالة هؤلاء الاشقياء وفى سنة ١٠١٦ ذهب المشار اليه بالجيش الى قونية وقبض على ثلاثين ألفا من الاشقياء ودفنهم فى الآبار أحياء فدخل الرعب فى قلوب جميع الاشقياء ثم ذهب الى الشام فهرب جان بولت وفخر الدين فطهر بلاد الشام من الاشقياء ثم قبض على ابن قلندر وقتله وقتل كثيرين من الاشقياء الغير معلومة أسماؤهم وكذلك محمود باشا المتعين فى جهات بغداد قتل أغلب العصاة وطهر البلاد منهم وفى سنة ١٠١٧ عاد مراد باشا الصدر الاعظم الى الاستانة وملأ الارض بهيبته فجاء السفراء من جميع بلاد أوربا وما وراء النهر للتهنئة وفى سنة ١٠١٨ ذهب الصدر الاعظم المذكور الى ولايتى أيدين وصاروخان وقتل يوسف باشا المتغلب هنالك مع من يدعى موصللو الشقى الشهير ثم عاد للاستانة فانصر السلطان من هذه الاحوال وأسس بناء الجامع الشريف الشهير باسمه بالاستانة وفى سنة ١٠١٩ ذهب الصدر الاعظم سردارا

Digitized by Google

الى الشرق لتأديب الشاه عباس فبوصوله الى تبريز هرب الشاه الى جهة العراق ومنها الى بلاده ثم أرسل بطلب الصلح فقبل الصـدر الاعظم هـذا الطلب ببطء و اشتغل بالتجهيزات الحربية واذا بالموت أتاه فجأة فى سـنة ١٠٣٠ رحمه الله رحمة واسعة وعـين بدله نصوح باشا وأعقب ذلك وفاة خان قريم وعين بدله جان بك كراى خانا أما الشاه عباس فأنه عرض على نصـوح باشا الصلح على شرط ان يدفع للدولة سـنويا مائتى حمـل حريرا فقبل منه وعقـد الصلح معه ثم عاد للاسـتانة وفى سـنة ١٠٣١ أرسل السلطان الى الروضـة الشريفة المطهرة حجرا من الماس قيمته خمسون ألف جنيه لتعليقه بالمقام الشريف على ساكنه أفضل الصلاة وأتم التسليم وفى هـذا العام تجدّدت المعاهدات التجارية بين الدولة العلية وحكومة هولانده وفى سنة ١٠٣٢ ساح السلطان الى كليبولى ثم الى أدرنة فحصـل اختلال فى ايالات أردن و بغـدان وأفلاق بدسائس دولتى أوستوريا و بولونيا فغضب لذلك السلطان وأرسل جيشا فاستولى على قلعتى (لبوة) و (يانوة) فاتخذت حكومة ايطاليا هذه المشغولية فرصة لارسال اسطولها فاستولت به على (مورة) و (استانكوى) و (منتشاوايج) وما حولهم متحدة مع حكومة مالطة فارسـل السلطان قوة بحرية فدمرت أغلب جزيرة مالطة وتصادف اغارة قرصان القوزاق على سواحل البحر الأسود فأرسلت اليهم سفنا حربية فأغرقت أغلبهم وهرب الباقون لـكن اتهم نصوح باشا بعدم استعماله حسن التدبير فى هذه الوقائع فقتل لهذا السبب وفى سنة ١٠٣٣ اشتد البرد بالاستانة حتى مات به كثـير من الناس والحيوانات وفى هـذا العام ذهب خليل باشا القبودان الى مالطة واستولى عليها ثم الى طرابلس الغرب فقتـل المدعو لوندا الشقى المتغلب عليها وأصلح الحال هنالك وفى سنة ١٠٣٤ أرسل انجلو چاويش لاحضار الحرير من بلاد العجم المشروط فى عقـد الصلح كما تقدّم فعاد صفر اليدين فبناء عليـه عين محمد باشا سردارا بدل نصوح باشا المقتول فذهب الى حلب وفى سنة ١٠٣٥ قام منهـا وذهب الى أرض الروم ومنهـا الى قارص فعمر قلعتها ثم سافر الى روان

Digitized by Google

وحاصر قلعتها وفى زمن قليل دخل الشتاء واشتد البرد حتى مات كثير من العسكر وعاد بلا ثمرة فعزل وعين بدله خليل باشا فذهب الى أرضروم ثم حصلت فتنة ومشاجرة بين عساكر الروس وبلونيا وبين عساكر بغدان فارسل اسكندر باشا والى بوسنه لاصلاح ذات بينهم فأطفأ الفتنة وعاد وفى سنة ١٠٢٦ طردت الافرنج الكاثوليك القسس والرهبان من طائفة الجزويت لسبب تداخلهم فى الحكومات (كما حصل من فرانسا فى عصرنا هذا) وكانت طائفة منهم التجأت الى الدولة العلية فى غلطة بالاستانة فلم يعرفوا قيمة الاحسان اليهم بل أفسدوا طائفة الاروام حتى كثرت فى حقهم الشكاوى من الاروام فقررت الدولة إجلاءهم من الاستانة فاحتج سفراء فرانسا على ذلك بعض احتجاجات فحصل فتور بين الدولتين وأعقب ذلك دخول سفير ألمانيا الذى جاء لتجديد المعاهدة فى الاستانة بالمزامير والطبول فحصل القال والقيل بين الاهالى لاستصعابهم هذا الامر وفى أثناء ذلك تم بناء الجامع المتقدم ذكره ووزع الكثير من الصدقات على الفقراء والمساكين والارامل والايتام والانعامات على الوزراء وأعقب ذلك أن السلطان مرض وتوفى فى الليلة الثالثة عشرة من القعدة رحمه الله تعالى رحمة واسعة وكان له ثلاثة أولاد عثمان ومراد وابراهيم

﴿أسماء الملوك والامراء المعاصرين للسلطان أحمد وجهاتهم﴾

أوروبا

افلاق وبغدان . ميخال ثم سريان ثم رادوا ..... حكام
أردل ..... بوچقاى ثم سيزسموند ثم غبريل باطورى . حكام من قبل الدولة
المانيا ..... رودلف ثم ماتياس ثم فردنيادوا الثانى .... امبراطوريه
بلونيا ..... سيزسموند .... ملك
فرانسا ..... لوى الكبير
ساردنيا ..... شارل أمانويل ..... ملك

Digitized by Google

اسبانيا ..... فليب الرابع ..... ملك
انجلترا ..... ألى زايت ملكه ثم استوارت من قبيلة أورانز

آسيا

الصين ..... شيزمونغ ..... امبراطور
العجم ..... الشاه عباس ..... شاه
الهند ..... الشاه سليم جهنكر ثم خرم شهاب الدين ..... سلطان

١٥ السلطان مصطفى خان الاول أخو السلطان أحمد

ولد المشار اليه فى سنة ألف وجلس فى ٢٣ القعدة سنة ١٠٢٦ بالغا من العمر ٢٦ سنة بوصية من أخيه السلطان أحمد لصغر سن أولاده وهو أول من جلس بالاخوة من السلاطين وكان ضعيف الرأى لاشقاوة بل عجزا فحصل قيل وقال وظهرت علامات الفتن والفساد فاتفق العلماء والوزراء بناء على فتوى على خلعه فحبس باحدى غرف السراية بمعرفة مصطفى أغا الذى هو أغا دار السعادة فى غرة شهر ربيع الاول سنة ١٠٢٧ بعد جلوسه بثلاثة أشهر وتسعة أيام وأجلسوا مكانه عثمان أكبر أولاده

١٦ السلطان عثمان الثانى

ولد المشار اليه سنة ١٠١٣ وجلس سنة ١٠٢٧ بالغا من العمر ١٣ سنة فأرسلت الدولة لكل من الدول الاجنبية سفراء لتجديد معاهدات الصلح خوفا من اتخاذهن الاختلال الداخلى الذى حصل فى مدة السلطان مصطفى فرصة للاعتداء على بلاد الدولة وفى أثناء ذلك عصت ايالة بوهميا متبوعها امبراطور المانيا وعرضت على الدولة العلية قبول تبعيتها لها فلم تقبل الدولة العلية بل

Digitized by Google

توسطت فى ازالة النفور بينهما وأصلحت ذات بينهم أما الشاه عباس فانه نقض العهد فأرسلت الدولة خليل باشا سردارا الى هناك وقبل وصوله الى أردبيل انضم اليه خان قريم بعساكر الغير فى صحراء سراو وهناك وقعت محاربة جسيمة بغتة لان العساكر العثمانيين كانوا فى أشد التعب بخلاف عساكر الشاه وبعد ساعتين تشتت شمل العساكر العثمانيين ووقع حسن باشا امير أمراء روملى ومصطفى باشا أمير أمراء ديار بكر وارسلان باشا وغيرهم قتلى وأسر كثيرون منهم الحاج محمد باشا ورشوان محمد باشا وأما عساكر التتر فانهم ثبتوا فى الحرب ثباتا عجيبا غير أنه لوقوع الكثير من الشجعان والامراء قتلى اضطروا الى الانسحاب وكذلك أظهر عساكر الشام شجاعة عظيمة أما شاه العجم فانه لم يغتر بهذا الانتصار بل خاف من الكر فعرض الصلح على خليل باشا السردار الذى لم يكن حاضرا بهذه الواقعة بل كان فى مؤخر الجيش ولما بلغه الانهزام المذكور أسرع بالحضور لمحل الواقعة فوجد عريضة الشاه بالصلح على شرط أن يدفع سنويا مائة حمل حرير ومائة حمل من غيره فقبل السردار منه وتم الصلح وفى سنة ١٠٢٨ بلغ ظلم (غشبر) حاكم افلاق وبغدان عنان السماء فعزلته الدولة فعصى وساعده أحزابه على ذلك وأمده أمراء بلونيا بستين ألفا من العساكر بقيادة من يسمى (قانشير) فأرسلت الدولة اليهما اسكندر باشا والى سلستره سردارا وأعطى له عشر آلاف عسكرى وانضم اليه عساكر التتر من قريم ولم يعرف عددهم وفى سنة ١٠٢٩ حصلت أمام مدينة ياش محاربة عظيمة انهزمت فيها عساكر غشبر وقانشير ففر الاول وطلب الثانى الصلح على شرط دفع مائة ألف فلورين حمرا للسردار وللسلطان مبالغ وافرة لم أقف على مقدارها فمال السردار الى القبول فخالفه (قانتر) أحد أمراء قريم وقتل السفير الذى جاء للصلح وأرسل للعدو خبرا بالحرب فاندهش قانشير وأراد الهروب بمن بقى معه من جيشه فلحقه السردار بالتعقيب عند معبرة صوباشى فوقع الحرب ليلا على ساحل نهر طوزلة لمنع العدو من العبور به بواسطة شجعان التتر فلم يبق فى هاتين الواقعتين من

الستين ألفا غير بضع مئات وقيل لم ينج الا أربعمائة نفر ووقع نحو مائة من أمراء وضباط بلونيا مابين قتيل وأسير أما قانشير فانه قتله البغدانيون لتبرئة ذمتهم لدى الدولة فعاد الجيش ظافرا غانما الى بلاده وفى سنة ١٠٣٠ نزل الثلج بالاستانة ستة عشر يوما متواليات حتى جمد البحر فيمابين سراى بودنى واسكدار حتى صار العبور عليه بالعربات والمواشى فلهذا السبب انقطع مرور السفن به ونتج من ذلك القحط والغلاء وفى هذا العام عادت بلونيا للتحريك والفساد فغضب السلطان وأراد أن يذهب بنفسه الى الحرب وشوقه الى ذلك على باشا الصدر الاعظم فتوسطت انكلترا فى الصلح فلم يقبل ثم مات الصدر الاعظم وعين بدله حسين باشا ثم قام السلطان بجيشه وعبر نهر طونه حتى قربوا من بلونيا فتعب العسكر وأظهروا بعض العصيان ولما صار تشجيعهم بالعطايا الجزيلة رجعوا عن العصيان ومضوا حتى قربوا من قلعة (خوتين) وهنالك قامت الحرب بين مقدمة الجيش وبين ستين ألفا من عساكر العدو وحصلت خسائر بالجهتين ووقع محمد باشا قره قاش شهيدا باغراض نفسانيـة لحسين باشا الصدر الاعظم ومات أغلب من كان معه حيث لم يرسل له امدادا وحصل فتور عام للعسكر فلم يتيسر فتح القلعة وقد أظهر قانتمر مرزا قائد عساكر قريم شجاعة وغيرة بما أبهر العقول وأخيرا تم الصلح بواسطة حاكم بغدان ومضمونه أن البلونيين لايعتدون مرة أخرى وان الانتصار نسب للسلطان حيث كان طلب الصلح من الاعداء فعاد السلطان الى الاستانة فى أوائل ربيع الاول سنة ١٠٣١ وقد وافق تاريخ هذا الحرب حساب (زهى غزا)

(واقعة فظيعة محزنة غريبة)

قد تقدم ان اليكيجريين هاجوا وعصوا فى سفر تلك الواقعة فغضب السلطان عثمان وعلم الرؤساء المتسببين فى حركة العصيان فلما عاد الى الاستانة شدد بمنع شرب الدخان الذى وجد من منذ خمسة عشر سنة وكان ممنوعا من مدة سلفه وكان

Digitized by Google

مجلوبا من أمريكا بواسطة تجار من دولة فلنك وشدّد أيضا بمنع المسكرات حيث ان أخلاق الامة ساءت بسببهما فصار يخرج فى أغلب الليالى مختفيا بتغيير الزى وكلما وجد من المحركين مخالفة بتعاطىَ ما نهى عنه أدبهم تأديبا صارما حتى كسر نفوذ بعض الوزراء فاغتاظ الكثيرون وقد علم هو بذلك علم اليقين فأراد ايجاد طريقة لتمام تأديبهم جهرا فأشار عليه بعض ندمائه وأصحابه بالذهاب الى الحج فلما أشيع ذلك ظن أعداؤه ان الغرض من هذا السفر هو ايجاد جيش آخر مطيع من العرب والشام ومصر وغيرها لمحو والغاء اليكيجريين كليا فلما بلغ السلطان ذلك أصابه نوع الحيرة فرأى النبى صلى الله عليه وسلم مناما فى حالة شبه عتاب فعبّره عمر أفندى الشهير بتأييد نية السلطان على الحج فلم يقتنع فطلب تعبيره من محمود خداى الاسكدارى وهو عزيز وقته فعبرها له تعبيرا حسنا ونصحه بعدم السفر لكنه لنفاذ التقديرات الألهية صمم على السفر للحج وذبح القرابين فى أبى أيوب الانصارى رضى الله عنه وفرقها على الفقراء والمساكين وظهرت علامات تدل على أنه عازم على عبور البحر الى اسكدار فظهرت فجأة ثورة لم يسبق لها مثال وذلك ان اليكيجريين والسياهيين (١) هجموا متسلحين على بيوت الوزراء فنهبوها ثم اجتمعوا فى آت ميدان (٢) فأرسلوا بعضا من العلماء الى السراية وطلبوا رؤوس الكثيرين منهم عمر افندى امام السراية ورئيس أغوات الحريم والصدر الاعظم وغيرهم ممن له مصاحبة مع السلطان فلما مضى زمن ولم يروا أحدا من العلماء لا ذاهبا ولا عائدا ذهبوا عاجلا الى السراية ودخلوها جميعا فهددهم الخفراء والجنايتيون والبوابون المتسلحون بها وحذروهم من الدخول فلم يصغوا لقولهم وقابلوهم بالقوة بما جاء بأيديهم من أخشاب وأحجار وغيرهما فاقتتلوا مدة ساعتين وقال قائل منهم اننا نريد اعادة السلطان مصطفى للسلطنة فقالوا جميعا نعم أننا نريد السلطان مصطفى ونادوا بذلك بأعلى أصواتهم ثم صعد البعض منهم على سطح السراية حتى وصلوا

(١) نوع من العساكر (٢) محل بالاستانة معناه ساحة الخيل

Digitized by Google

الى غرفة السلطان مصطفى فأخذوه وأجلسوه فى غرفة السلطنة أما السلطان عثمان فانه لما رأى دخولهم السراية من الداخل سلم لهم الصدر الاعظم دلاور باشا وسليمان أغا أحياء فقطعوهما أربا وتفرقت فى جهات متعددة فقال لهم العلماء أيها الرفقاء أن السلطان أعطى لكم ما طلبتموه وأن السلطان مصطفى مسلوب العقل لايجوز مبايعته فلم يتم كلامهم الا وقد هجموا عليهم وأكرهوهم على المبايعة أما السلطان عثمان فبينما هو يفكر فى أمر نجاته من هذه المصيبة واذا ببعض الاشقياء تحصلوا عليـــه وأنزلوه من السراية فى غاية من التحقير وأرسلوه الى يدى قله وسلموه لداود باشا الذى عينه الاشقياء صدرا أعظم وكان أذنب مرتين بما يوجب قتله والسلطان عثمان يعفو عنه فما كان منـــه الا أنه قتل السلطان عثمان شهيدا رحمه الله تعالى رحمة واســـعة ووقع تاريخ قتله (شهيدا ولدى عثمان) ومعناه صار عثمان شهيدا وفى مشهده بكى الكثيرون من الاهالى وكاد أن يحصل قتال عمومى بالاستانة أما هيئة الحكومة فقد اختلت كليا وصارت فوضى ثم أعقب ذلك حصول مصائب كثيرة منها أنه حصل حريق هائل فأحرق بدستان وجميع السوق الشهير ثم أمطرت السماء أياما متواليات بشدة حتى تهدمت بيوت كثيرة وبقيت المياه فى الشوارع والحوارى شهرا ثم جاء طاعون أخلى كثيرا من البيوت ثم قحط عظيم لم ير مثله نسأل الله السلامة فى ديننا ودنيانا ولم يعقب الا ولدا مات صغيرا

ولما أجلس السلطان مصطفى ثانيا استمر الفساد ولم يبايعـــه أسعد أفنـــدى شيخ الاسلام عزل وعين بدله يحيى أفندى ابن زكريا أفنـــدى أما داود باشا الصدر الاعظم فانه صار يؤدى للاشقياء جميع ما يطلبونه خوفا منهم حتى خلت الخزينة ثم ان الاشقياء صاروا يقتلون أرباب المناصب وينهبون أموالهم حتى عم هذا الاختلال جميع الولايات فملت الاهالى ولما علم الاشقياء مقدار ماأحدثوه من الفساد خافوا العاقبـــة وزعموا أنه بهجومهم على السراية السلطانيـــة مرة ثانية

Digitized by Google

وقتلهم داود باشا الصدر الاعظم والجبه جي (١) تبرأ ذمتهم وترضى عنهم الاهالى فهجموا قائلين انا نريد قاتلى السلطان عثمان فقتلوهما وفى ظرف ثلاثة أشهر تغيرت الصدارة أربع مرات من حيث أن اليكيجريين على مشرب مناقض لمشرب السباهيين فزاد الفساد ثم أن من يدعى بكر صوباشى ببغداد اتفق مع العسكر وقتل يوسف باشا أمير أمراء بغداد فأرسل اليه سليمان باشا من الشام ثم هجم عساكر بلونيا على بغدان وأفلاق فارسل اليهم قانتمر مرزا بفرقة من العساكر التتر فهزمهم فاغتاظ ملك بلونيا وأرسل سفيرا للاستانة بطلب عزل قانتمر المذكور فلم يجب وفى أثناء ذلك أرسل ملك الموسكو سفيرا للدولة العلية بطلب محو بلونيا وتقسيمها بينه وبينها فلم يحصل اتفاق وفى سنة ١٠٣٢ اهتم محمد باشا كرجي الصدر الاعظم باعادة نظام الدولة غير ان السباهيين انتشروا أمام الديوان وقالوا يلزم اظهار قاتلى السلطان عثمان وبهذه الوسيلة قتلوا الكثير من الباشوات وفى هذه الاثناء أفسدت طائفة الجزويت من قسيسي فرنسا بين الاروام فتداخل سفير فرنسا وطلب عزل كريلوس بطريق الاروام فاضطرت الدولة الى الاجابة نظرا للاضطرابات الحالية فثارت الاروام وفى أثناء ذلك تسابق اليكيجريون على السباهيين فى الفساد وقلة الحياء وفى النهب والسلب ولما رأى أبازه باشا الذى كان أميرا فى سيواس تلك الاختلالات استقل حاكما على جهات (سيواس وقيصريه وأنقره) وما حولها ثم هجم على بروسه فجاءت الشكاوى من أهلها وأما الشاه عباس فأنه اتخذ هذه الارتباكات فرصة فارسل امدادا لبكر الصوباشى المفسد لبغداد القاتل ليوسف باشا كما تقدم وأما بر الشام فان الفساد عم به وعصى ابن معن الدرزى والحاصل ان الفتن والفساد عما جميع الجهات فى ذلك الحين وكلما يسمع السلطان بشئ من تلك الفتن يزداد غمه حتى بلغ درجة الجنون وصار فى أغلب الليالى يبحث عن عثمان فى جميع غرف السراية باكيا عليه وأما حسين باشا الصدر الاعظم الاخير فانه لم يشتغل لاصلاح

(١) اسم وظيفة كانت فى ذلك الوقت وهى مثل الشماشرجي

Digitized by Google

حال الدولة بشئ بل كان اهتمامه بأخـذ الثار من أسلافه ولما عمّ الفساد وصار فوق طاقة العامة اجتمع العلماء وأصروا على عزل حسين باشا الصـدر الاعظم وتعيين على باشا كنكش بدلا عنه ثم فى اليوم نفسه اجتمع الوزراء معهم وباتخاذ الآراء خلعوا السلطان مصطفى وأجلسوا السلطان مرادا الرابع أخا السلطان عثمان المقتول وابن السلطان أحمد الاول

١٧ السلطان مراد الرابع فاتح بغداد

ولد المشار اليه سنة ١٠٢٠ وجلس فى يوم الاحد الرابع عشر من ذى القعدة سنة ١٠٣٢ بالغا من العمر احدى عشرة سنة وكسور ومدّة سلطنته سبع عشرة سـنة وبعد جلوسه توزعت العطايا المعتادة وكانت والدته ماه بيكر ذات عقـل وتدبير فبحسن تدبيرها صار تولية أرباب المناصب من ذوى الكفاءة والاستقامة حتى انبثت روح الحياة فى الدولة وفى الحال أرسل امدادا لحافظ باشا سردار بغداد فى سنة ١٠٣٣ وقد تقدّم أن من يدعى بكر صو باشى من أعيان جهة بغداد تغلب عليهم وقتل يوسف باشا أمير الامراء شهيدا واستولى هذا الشقى على القلعة وعين نفسه واليا عليها بأمـداد من الشاه عباس كما تقدّم فالدولة العلية عينت سليمان باشا واليا على بغداد وحافظ باشا سردارا لاستردادها من الشقى المذكور وكان حافظ باشا ذا حزم وتدبير فافتكر أنه اذا ضيق على بكر ربما يسلم القلعة للشاه عباس فيصعب استردادها فطلب من الباب العالى تعيين بكر المذكور واليا على بغداد موقتا لتسهل ازالته غير أن أرباب الحل والعقد بالاستانة نظرا لعدم الامن فى ذلك الوقت دخلهم الشك فى هذا التدبير خوفا من أن يكون حافظ باشا له مأرب مع بكر المذكور فأرسلوا له فرمانا سلطانيا بازالة بكر بالقوّة فبناء عليه عزم حافظ باشا السردار المذكور على التنفيذ بما ذكر وأما بكر الشقى فانه علم عجزه عن المقاومة ودعى الشاه عباس لتسليم القلعة اليه وكان الشاه عباس

منتظرا مثل هذه الفرصة فأرسل فى الحال ثلاثين ألفا وهو على أثرهم ولما بلغ ذلك حافظ باشا أرسل منشورا لبكر المذكور بولايته على بغداد من قبل الدولة وأرسله بواسطة حاكم العمادية فلما رأى بكر ذلك ندم على دعوته الشاه عباس فاظهر له العداوة والمقاومة ضده فغضب الشاه غضبا شديدا وحاصر بنفسه على بغداد ودس دسائسه على الدلى (١) محمد بن بكر المذكور ببعض مواعيد عرقوبية فما كان من هذا المجنون الا ان مكنه من القبض على أبيه فوضعه الشاه فى قفص حديد وبعد سبعة أيام أضرم نارا بجوار القفص فكان الصديد يسيل منه وهو حى حتى مات بهذا العذاب الاليم ثم ان الشاه عباس استولى على بغداد فى ظرف ثلاثة أشهر وملأها بشيعته وقتل نحو ثلاثين ألفا من أهلها حتى بلغ غدره وظلمه الى عنان السماء ثم أرسل قاسم خان الى كركو والموصل فاستولى عليهما بلا حرب حيث لم يكن بهما عسكر غير انه لحقه من يدعى كوجك أحمد من شجعان الارانطة بخمسة آلاف عسكرى فطرد قاسم خان واستردهما فعين حافظ باشا سليمان ابن أخى أحمد المذكور واليا على الموصل أما حافظ باشا فلقلة جيشه لم يحارب الشاه أما الصدر الاعظم على باشا كنكش فانه عزل من الصدارة بتهمة كتم خروج بغداد من يد الدولة عن السلطان وعين بدله محمد باشا الشركسى وأضيفت اليه وظيفة السرداريه لدفع غائلة أبازه باشا من الاناضول واسترداد بغداد من شاه العجم فقام أولا بتشتيت شمل عصاة الاناضول وهرب أبازه باشا الى جهة أرضروم فلما وصلها أظهر أنه غير عاص بل غرضه أخذ ثار السلطان عثمان المقتول ظلما فلمحبة الاهالى فى السلطان عثمان اجتمع معه أربعون ألف مقاتل فقتل من كان موجودا من اليكيجريين فى أرضروم وكرجستان وما حولهما ثم وصل بهذا الجيش الى توقاد فهرب منها اليكيجريون جميعا وأعطى الامان للاهالى ثم عزم على الحضور الى الاستانة لابداء مافى ضميره للسلطان واذا بخبر أتاه ان طيار باشا استولى على سيواس فذهب لاستردادها وأما محمد باشا الصدر الاعظم

(١) معناه المجنون

Digitized by Google

فأنه أخذ قوة جسيمة لاستئصال أبازه باشا فلما بلغه ذلك قام من سيواس لمحاربة الصدر الاعظم فتقابلا فى صحراء قونية واقتتلا فقتل كثيرون من الطرفين ثم انهزم أبازه باشا ومن معه الى أرضروم فطارده أمير أمراء روملى فقتل أكثر الفارين ولدخول فصل الشتاء عفا الصدر الاعظم عن أبازه باشا وعينه واليا على أرضروم وعاد هو الى توقاد وفى هذا العام عصى محمد كراى المعزول وهو خان قريم سابقا بتحريك أخيه جاهين كراى فعينت الدولة جان بك كراى خانا على قريم ولتنفيذ ذلك أرسلت رجب باشا الامير ال أما محمد كراى فأنه جمع جيشا كبيرا وعبر به نهر الطونة واستولى على يركوى والاسماعلية أما رجب باشا فانه عاد مغلوبا بخسائر جسيمة فاضطرت الدولة لاعادة محمد كراى المذكور خانا على قريم وفى أثناء مشغولية رجب باشا بالحرب المذكور دخل قرصان القوزاق الاشقياء البحر الاسود بمائة وخمسين سفينة فوصلوا الى بوغاز الاستانة ونهبوا (يكى كوى) (١) وفى أثناء ذلك مات الصدر الاعظم فى توقاد وعين بدله أحمد حافظ باشا والى ديار بكر وفى سنة ١٠٣٤ أرسل الشاه عباس (قارجقاى خان) سر عسكر بثلاثين ألفا الى كرجستان التابعة للدولة العلية فقاومه أهلها برئاسة حسين باشا والى جيليدير وقتلوا أغلبهم وتشتت شمل الباقى منهم وكان الصدر الاعظم أحمد باشا حافظ اذ ذاك فى صحراء جولك فاتحد مع أمير الامراء والمأمير وذهب الى بغداد وحاصروها وحاربهم الشاه مرارا عديدة ومات غالب عسكره وبعد تسعة أشهر من الحصار طلب الصلح على شرط تسليم بغداد وسائر ما استولى عليه من الجهات حديثا أعنى البلاد التى كانت موجودة تحت يد الدولة العلية من قبل الفتنة الكبرى وقتل السلطان عثمان الشهيد بحيث ترد للدولة العلية كما كانت فقبل الصدر الاعظم وأرسل نسخة المعاهدة والصلح واذا باليكيجريين عصوا عن الحرب ولما رآى الشاه ذلك امتنع عن الامضاء فاضطر الصدر الاعظم الى العودة الى الموصل وأما الجيش العاصى فقد ابتلاه الله بالجوع والمشقة حتى مات منه أكثر

(١) معناه القرية الجديدة

Digitized by Google

ممن مات فى الحرب لحين وصوله الى الموصل وفى سنة ١٠٣٥ هجم الاوجاقيون (١) بالاستانة على محمد على باشا كرجى قائمقام الصدر الاعظم وقتلوه قولا منهم أنه أهمل فى ارسال الامداد الى بغداد وكان عمره سبعين سنة رحمه الله تعالى فعين بدله رجب باشا القبودان وعين بدله حسن بك مير اخور وأنعم عليه برتبة الوزارة وقام فى الحال بالاسطول الى البحر الاسود فأغرق مائة وخمسين سفينة من السفن الصغار والزوارق بأربعة آلاف ممن كان فيها من القوزاق وطهر منهم البحر الاسود ثم بنى قلعة أوزى لتكون حاجزا بين البحر الاسود وبين هذه الطائفة وفى سنة ١٠٣٦ عزل أحمد باشا حافظ الصدر الاعظم لاغراض شخصية وكان رجلا حازما شجاعا مدبرا وعين بدله خليل باشا فقام الاخير الى ديار بكر لمحاربة أبازه باشا المعلوم أمره مما تقدم حيث أنه رجع الى العصيان مرة أخرى فلما وصل الى ديار بكر بلغه أن عساكر شاه العجم حاصروا قلعة (أخسخا) فأرسل الى هناك فرقة فقابلها أبازه باشا وأظهر مساعدتهم لكن توهم أن الصدر الاعظم أضمر له السوء فجاء الى العسكر وهجم عليهم على حين غفلة وقتل كثيرا من اليكيجريين فغضب الصدر الاعظم وذهب الى أرضروم لمحاصرتها وأخذها من أبازه باشا والقبض عليه فوقعت محاربات كثيرة حتى مات كثير من الباشوات والبكوات ثم قرب فصل الشتاء فاضطر الصدر الاعظم الى عودته بالجيش خوفا من حصول مجاعة للعسكر وموتهم بالبرد ولم يرسل امدادا لانقاذ قلعة (أخسخا) من يد عساكر الفرس وكانت تلفيات العسكر فى هذا السفر عشرين ألفا وفى سنة ١٠٣٧ اتحد النمسا والمجر والخروات وهجموا على ولايتى (بشتا وخطوان) فأرسلت الدولة مرتضى باشا بفرقة من العساكر متحدا مع حاكم (أردل) فوقعت الحرب واستمرت ثلاثة أشهر وقتل من الاعداء عشرون ألفا وكانوا ستين ألفا ولم أقف على عدد جيش الدولة ولا على مقدار من مات منهم بهذه الواقعة ثم طلبت الاعداء الصلح بالكف عن الحرب مدة خمسة وعشرين

(١) اسم ضباط اليكيجريين

Digitized by Google

سنة وفى هذا العام عزل خليل باشا الصدر الاعظم بناء على عدم حزمه فى واقعة أبازه باشا وعين بدله للصدارة خسرو باشا وكان غيورا شجاعا صادقا ففى الحال أسرع باليكيجريين الى أرضروم فاستولى على قلعتها وقبض على أبازه باشا فى الحال فطلب منه الامان والعفو فعفا عنه وعينه مأمورا بالجيش وعين بدله فى ولاية أرضروم محمد باشا الطيار وأعطى له ثلاثة آلاف من اليكيجريين للمحافظة وفى سنة ١٠٣٨ جاءت جملة من خانات العجم الى جهة فارص للاستيلاء عليها ولما بلغهم تسليم قلعةأرضروم للصدر الاعظم عادوا مسرعين فقطع الصدر الاعظم طريقهم وقبض على الجميع أحياء وعاد بهم الى الاستانة وفى هذه الاوقات حصل من شريف مكة ووالى مصر مخابرة سرية فيما بينهم ضدّ الدولة ثم ظهر من يدعى الامام محمد باليمن وهو رئيس الزيدية ومعه أكثر من مائة ألف نفس وأعلن أنه هو الخليفة الحقيقى وضرب نقودا باسمه وحاصر حيدر باشا والى اليمن بمدينة صنعاء فأرسلت الدولة فرقة من العساكر امداداله ولكن من سوء حركات قائصوه باشا أحد أمراء مصر لم تحصل ثمرة من هذا الامداد بل استولى الامام محمد المذكور على صنعاء ثم وصل الى جدّة وقتل شريف مكة وأجلس بدله الشريف مسعود وقد مات فى هذه الاثناء الشاه عباس وجلس بدله الصفى مرزا وفى سنة ١٠٣٩ عصى محمد كراى خان قريم واعتدى بأربعين ألفا من القوزاق فاهتم خسرو باشا به حتى شتت شمله وأما خسرو باشا المذكور فانه أصلح أحوال أوروبا التركية ثم ذهب لاسترداد بغداد وفى الطريق محا جميع الاشقياء من بيكوات الاكراد وكلما مر بجهة جعلها فى نظام ورتبها ترتيبا حسنا وبث الامن بها حتى وصل الى شهرزور واستردّها فى الحال من يد الاعجام ثم شتت شمل أربعين ألفا من عساكر الفرس بقيادة زينل خان بجوار قلعة مهربان واستولى على ولايات أردلان وهمدان وقلعة دركزين وفى سنة ١٠٤٠ حاصر بغداد وشتت شمل عساكر الفرس الامدادية ثم قرب دخول فصل الشتاء وفى الواقعة الاخيرة انهزمت عساكره بأسباب بعض أصحاب الاغراض لملل العساكر من كثرة الوقائع وتواليها

Digitized by Google

فاضطر الى ترك محاصرة بغداد وعودته الى الموصل بعد أن أقام خليل باشا محافظا على الحله ومعه عشرة آلاف عسكرى ثم أرسل الشاه صيفى ميرزا أربعين ألفا الى الحـــله فحاصروها فقاومهم خليـل باشا ثلاثة أشهر ولما لم يأته مدد ولا ذخيرة مع حصول قحط اذ ذاك قطع الأمل فهيأ مقـدارا من فرسان عسكره وهجم بهـم على عساكر الفرس فخرق صفوفهم ونجا هو ومن معـه لكن باقى العسكر استأمنوهم وسلموا لهم الحله فلم ينفع استئمانهم بل قتلوا أكثرهم أما خسرو باشا فأنه أصلح أحوال قريم واستمال اليه محمد كراى وأخذ عساكر قريم الى ديار بكر واهـتم بجمع قوة كافية لاسترداد الحـله وبغـداد واذا بأمر بعزله وعودته بالجيش للاستانة وعين للصـدارة العظمى حافظ باشا الداماد لكن فى الطريق حصـل هيجان بالجيش لغضبهم من عزله حيث انه كان شجاعا كريما مدبرا مصلحا فنصحهم نصيحة صادقة حيث انه كان غيورا قائلا لهم أن أحوال الدنيا هكذا يعزل واحد ويولى آخر وهو يفضل طاعتهم للدولة عن محبتهم له فأطاعوا أمره ووصل الجيش بغاية النظام للاستانة لكن كانت شرارة الفساد التهبت فى جهات قرمان وسيواس وما حولهما حيث ان السباهيين عثوا فى الارض فسادا وعلاوة على ذلك فان الاوجاقيين الموجودين بالاستانه لما تقابلوا مع رفقائهم الذين كانوا بالجيش كثر بينهم القال والقيل وكان عزل خسرو باشا من الصدارة وحضور الجيش للاســـتانة مصيبة كبرى على الدولة حيث اغتاظ رجب باشا القائمقام الصدارة بالاستانة من تعيين حافظ باشا للصدارة دونه فحرك سائر الاوجاقيين على اتلاف المتسببين فى عزل خسرو باشا وبالطبـع أشار عليهم بأن أولهم حافظ باشا الداماد المعين بدلا عن خسرو باشا كما يظهر مما يأتى وذلك انه فى صباح ذات يوم حصلت بغتـة علامات ثورة عسكرية حتى قفلت الدكاكين وتعطلت الاسواق ثم هجموا على السراية السلطانية ثلاثة أيام متوالية بحركات متتابعة تشبه حركات قتل عثمان الشهيد فخرج السلطان مراد الى الديوان ونصحهم كثـيرا فلم ينتصحوا بل ولم يصغ أحـد منهم لشئ مما نصحهم به من شـدة غلظتهم الناشئة من تهيج

Digitized by Google

أفكارهم وطلبوا تسليم يحيى أفنـدى شيخ الاسلام وحافظ باشا الصـدر الاعظم ومصطفى باشا الدفتردار وأربعـة عشر من أمناء السلطان فأحضر السلطان رهطا رؤسائهم أمامه وقال لهم اننا أمة اسلامية ولنا شريعة مطهرة يجب علينا اتباعها وهذه الاعمـال تخالف الدين والشريعة والآداب وطلب منهم اقناع رفقائهم بالكف عن هـذه الاعمـال السيئة فما زادوا الا طغيانا وعنادا أما حافظ باشا فأنه توضأ ووقف على باب السراية منتظرا فلما رأى حبوط مسعى السلطان وزيادة عنادهم قال ماتر جمته سيدي وسلطاني انى أفدي بروحي فى صلاحك وان هؤلاء الطغاة لا يثمر فيهم النصح فلا تتعب نفسك فيما لا يكون له نتيجة ثم خرج الى ميـدان البلاء بنفسه وكل من يهجم عليه منهم يضربه فى فمه لكما فيخر ميتا حتى تكاثروا عليه بالخناجر وعلى مرءى من السلطان قطعوه أربا فتولى الصدارة العظمى رجب باشا المذكور وعزل يحيى أفنـدى شيخ الاسلام وسكنت الفتنـة على ذلك وأما السلطان فانه غضب غضبا شديدا وأرسل مرتضى باشا الى توقاد لقتل خسرو باشا الصدر الاسبق حيث ان هذه الفتنة قامت بسبب عزله توهما انه هو المحرك لها مع أن الواقع خلاف ذلك كما يؤخـذ مما تقدم من نصحه للعساكر ومما هو معلوم من شـدة نصحه للدولة أما رجب باشا فانه اشتغل برأيه وأراد محو بعض المقربين للسلطان حتى لا يعارضه فى أمره أحد فرك الاوجاقيين على طلب المتسببين فى قتـل خسرو باشا فهجموا على السراية وطلبوا الدفتدار باشا وحسن خليفة وموسى چلبى من مقربى السلطان وقد استحوذوا عليهم وقتلوهم شهداء وبعد ذلك خرج هؤلاء الاشقياء عن أطوارهم وكلما أرادوا شـيأ أجبروا الوزراء على تنفيـذه حتى مل السلطان فاضطر لاقتحام صـعاب الامور وتولى الادارة بنفسه وأحضر رجب باشا أمامه فأمر بقتله خنقا وعين بدله محمد باشا الارنؤطى ثم تحصل على احضار رؤساء الاشقياء أفرادا وأزواجا وقتلهم ثم خرج جهرا بين معه فى الاسواق والشوارع وكل من يجده منهم يقتله وبعضهم يدخله فى الزكايب ويرميه فى البحر حيا حتى طهر الاستانة منهم وأخذ ثار أخيـه عثمان الشهيد

وفى سنة ١٠٤٢ طهر هذا السلطان الشاب الغيور الغضنفر الاناضول من الاشقياء والعصاة ومحا وجودهم كما طهر الاستانة ثم أطفأ الفتن فى الحجاز ومكة المكرمة فى هذه المدة الوجيزة وفى سنة ١٠٤٣ استولى توخنه خان قائد عساكر الفرس على وان وما حولها فارسل اليه محمد باشا الصدر الاعظم واذا بخبر أتاه فى الطريق باسترداد وان بمعرفة خليل باشا أمير أمراء أرضروم فعاد الى حلب وحارب ابن معن الدرزى الذى عاث فى الارض فسادا مدة طويلة فى جبل لبنان وبعلبك واتفق أخيرا مع حكومة ايطاليا على معاداة الدولة العلية فانتصر محمد باشا عليه وأسره مع جملة من أكابر أعوانه وفى أثناء ذلك اعتدى القوزاق وملك بلونيا على بلاد الدولة فقام السلطان عازما على الذهاب الى هناك واذا بخبر أتاه ان أبازه باشا الشهير جمع كثيرا من عساكر التتر ونغاى فقتل كثيرا من عساكر العراق وأسر أكثرهم فغدوا أنفسهم بمبالغ جسيمة وتم الصلح وعقب ذلك جاء أبازه باشا الى الاستانة وتقرب للسلطان وبعد قليل تداخل بين الارمن والاروام فى منازعاتهم المذهبية فكان هذا سببا لقتله وفى سنة ١٠٤٤ جهز السلطان قوة عظيمة وعين بيرم باشا محافظا على الاستانة ثم ذهب لمحاربة الفرس وكان ذهابه يشبه ذهاب السلطان سليم الاول لمحاربة الشاه اسماعيل فى حصول بعض تمرد من الاوجاقيين واليكيجريين فصار يقتل كل من يتمرد حتى أدهش العسكر من شجاعته وشدة بأسه فخافوا واستقاموا ولما وصل الى روان فتح قلعتها فى الحال وأسر محافظها طهماسب بن هيركون وفى سنة ١٠٤٥ قام السلطان من هناك حتى وصل الى تبريز فى اثنين وعشرين يوما فهرب رستم خان الى خانان وطلب الصلح فلم يقبل بل ذهب الى جهة وان وطلب من الشاه الحرب فلم يجسر بل هرب من جبل الى جبل بقصد اطالة الزمن لدخول الشتاء فابقى السلطان مالزم لمحافظة روان وغيرها وأبقى الصدر الاعظم فى ديار بكر وعاد هو بالاستانة لتمضية فصل الشتاء بها وفى سنة ١٠٤٦ حاصر الشاه بعساكر كثيرة روان ومن شدة البرد لم يحصل ارسال مدد حتى استولى عليها الشاه وبناء عليه عزل محمد باشا

Digitized by Google

الصدر الاعظم وعين بدله بيرم باشا وفى سنة ١٠٤٧ عزل حاكم ارول المدعو (راقوجه) وعين بدله (تبلن اشتوان) فعصى الاول فحاربه بكر باشا بجوار نهر موروش مرارا وأخيرا انهزم وفرّ وغنم بكر باشا وعسكره ذخائره وفى أثناء ذلك استولى القوزاق على قلعة أزاق وقتلوا أكثر من فيها من المسلمين أما شاه العجم فانه خاف من ذهاب السلطان اليه فى أول الربيع فارسل سفيرا الى الاستانة معتذرا وطالبا العفو عنه فرده السلطان بالقول ان الجواب عن ذلك سيكون فى بغداد فخاف الشاه واستعد للحرب أما السلطان فانه عين موسى باشا قائم مقام عنه بالاستانة وفى سنة ١٠٤٨ ذهب بجيشه لاسترداد بغداد وقتل فى الطريق كثيرا من الاشقياء وأصحاب الجرائم منهم درويش أحمد المدعى المهدوية الذي ضبط محل الشيخ كامل من السادات بجوار نهر سقرية ومعه خمسة آلاف من فوارغ العقول الجهلة ونفى أبا بكر جلبى شيخ سجادة الطائفة من قونيه وعين بدله عارف جلبى وفى أثناء ذلك مات الصدر الاعظم بيرم باشا رحمه الله تعالى وأحضرت جنازته للاستانة وعين بدله طيار باشا محافظ الموصل ثم ان السلطان حاصر بغداد أربعين يوما وفى أثناء هذه المدة حصلت وقائع حرب مات فيها من الفرس ثلاثون ألفا ومات فيها طيار باشا الصدر الاعظم شهيدا وعين بدله مصطفى باشا القبودان وبعد استرداد بغداد وجميع ما استولى عليه الفرس عاد السلطان الى الاستانة ومعه اثنان وعشرون خانا من خانات الفرس أسراء ودخل الاستانة بموكب فاخر ومدة غيبته بهذا السفر كانت ثلاثة عشر شهرا أما الصدر الاعظم مصطفى باشا فانه أتم تجهيز معاهدة الصلح مع الفرس باضافة قلعة درتنك للدولة العلية وبالجملة فانه كان لصالح الدولة العلية جدا ثم عاد للاستانة وفى هذه الاثناء عاد قرمان القوزاق بالبحر الاسود فاغرقت دوناغة الدولة الكثير منهم وفى هذا العام مات السلطان مصطفى المخلوع مرتين كما تقدم ودفن بمدفنه المؤسس له المتصل بجامع أيا صوفيا وفى سنة ١٠٤٩ دست جمهورية دولة البوندبك دسائسها على افساد أهالى هرسك الالبانيين

والاشقودره فسلط السلطان العساكر الموجودين فى ولايتى بوسنه وهرسك عليها فاضطرت الى الصلح ثم مات السلطان رحمه الله تعالى رحمة واسعة بالغا من العمر ثمانا وعشرين سنة وكان شجاعا مهابا مشابها للسلطان سليم الاول فى العزم والحزم وعلو الهمة ولم يرزق بولد

(أسماء الملوك والامراء المعاصرين للسلطان مراد الاول وجهاتهم)

أوروبا

الروسيا ..... ميخال من قبيلة رومانوف ..... ملك
بلونيا ..... لادسلاس السابع ..... ملك
فلمنك ..... فرادريك هانر ..... ملك
ألمانيا ـ أستريا. فرديناندو من قبيلة هابسبورغ ..... ملك
دانيمارك .... شازل ستواد الاول
اسبانيا ـ برتغال ـ نابولى .. فليب الرابع
اسوج ونوروج. كوستاو الثانى من فاملية غستا ووازا
فرنسا ..... الامبراطور لؤى الثالث من فاملية بوربون .... امبراطور
بروسيا ..... جورزكو بلوم ..... دوق
انكلترا ..... جاق ثم بعد خلعه وأعدامه سنة ١٦٤٩ تحولت جمهورية

آسيا

الصين جلبون .. هيجونغ ثم هواى جونغ
الهند ..... السلطان سليم ثم شهاب الدين جهان شاه
ايران ..... عباس ثم حفيده صفى مرزا ثم حسن شاه

Digitized by Google

١٨ السلطان ابراهيم بن السلطان أحمد خان

﴿ أخو السلطان مراد الرابع ﴾

ولد المشار اليه سنة ١٠٢٤ وجلس سنة ١٠٤٩ وله من العمر خمس وعشرون سنة فبعد المبايعة توزعت العطايا المعتادة أما الصـدر الاعظم مصطفى باشا فانه اهتم فى اقتفاء أثر السلطان مراد فى حزمه ضدّ الاشقياء وأصلح طرق التحصيلات وضرب النقود وقام بالعدل وأرسل ما مير الى الجهات لتنفيذ هـذه الاصلاحات وفى سـنة ١٠٥٠ تجددت المعاهـدات مع الدول الاجنبية بهمة وتدبير ماهبيكر والدة السلطان وفى هذا العام جاء السفراء من الروسيا وايران بالهدايا الكثيرة وشـدّد الصـدر الاعظم فى منع المسكرات وشرب الدخان كليا فاضطر أصحاب الكيف المبتلون به على استعمال النشوق والافيون وفى سنة ١٠٥١ أحرق بعض الجهال بعض الكنائس فى بروسـة فأدبتهـم الحكومة تأديبا صارما وفى سـنة ١٠٥٢ عصت عربان بغداد فأرسلت اليهم فرقة من العساكر فأدبتهم وفى هـذا العام كثرت القلاقل لعـدم وجود أولاد للسلطان مع كونه كان مغرما بالنساء ومضى ثلاث سلاطين قبـله بلا ذرية فخافت الامة من انقـراض السلسلة العثمانيـة لا قدر الله ثم ان الله تعالى منّ على السلطان ابراهيم الحالى بثلاثة أولاد متوالية وهم محمـد وأحمـد وسليمان فانسر الاهالى سرورا زائدا وفى هـذا العام صار استرداد قلعة أزاق من القوزاق وتداخل حسين باشا بن نصوح باشا أمير أمراء الحلب فى أمور مصطفى باشا الصدر الاعظم وكان الاول ذا ثروة هائلة حتى أدت هـذه الخصومة الى عصيانه فهجم على سواس وانتصر على جملة باشوات ثم أراد الحضور الى الاستانة لينتقم من الصدر الاعظم فوصل الى جاميجه بالقرب من اسكدار ووضع خيامه وكلما ذهبت اليه فرقة من العسكر انتصر عليها حتى استولى على أهالى الاستانة الهرج والمرج فطلب الصدر الاعظم فتوى على جواز قتل حسين باشا بسبب خروجه على السلطان ثم أرسل

Digitized by Google

محمد باشا كرجى بمدافع وعساكر الى اسكدار وذهب السلطان الى بستانها أماحسين باشا فلكثرة فرسانه كان قادرا على جعل عالى اسكدار سافلها بحملة واحدة ولكن لم يفعل شيأ من ذلك بل طلب محاكمة الصدر الاعظم شرعا وعرض على السلطان انقياده لاوامره فلم يصغ أحد لطلباته فقام من هناك خفافا الى ساحل البحر الاسود وعبره ووصل الى تار وسجفه فلحقه بستانجى باشى فقبض عليه حيا وأحضره الى الصدر الاعظم فقتله شهيدا فلما بلغ الخبر لاحزابه ظهرت فتنة كبيرة حتى تغلبت الحكومة عليهم وأهلكت جملة من باشوات أحزابه ثم صادرت أموالهم فكانت مليونا من الاقجه وهذه أول مصادرة فى الدولة العلية ثم صارت المصادرات شيأ فشيأ على حالة رديئة وفى سنة ١٠٥٣ ظهر حسين جنجى خوجه أى معلم عالما ببعض أدعية مأثورة فتقرب بها الى السراية حتى صار فى مدة قليلة معلما للسلطان ثم مدرسا ثم نال لقب رتبة قاضى عسكر وصار يتداخل فى كافة أمور الدولة حتى تسبب فى ازالة مصطفى باشا الصدر الاعظم وفى أثناء ذلك مات يحيى أفندى شيخ الاسلام ابن زكريا أفندى فعين بدله أبوسعيد أفندى ولكن بعد هذا صار زمام أمور السلطنة فى يد من لم يكونوا أهلا لها حيث ان السلطان ابراهيم كان محبوسا فى مدة أخيه السلطان مراد وكان أغلب حركاته بخفة وطيش وكان مغرما بحب النساء منقادا لمشورتهن فبهذا السبب زادت مخصصات أهل السراية وخدامها زيادة باهظة حتى صارت مالية الدولة على وشك التفليس وتأخر صرف مرتبات العسكر فكثرت الشكاوى وصار السلطان يغير ويبدل الوزراء والمأمورين حتى ان الولاة يعزلون من قبل وصولهم الى محل ولاياتهم ثم صار نفى محمد كراى خان قريم الى جزيرة رودس وفى سنة ١٠٥٤ عين محمد باشا والى الشام للصدارة العظمى وفى هذه الاثناء قدمت الروسيا وبلونيا الشكاوى فى حق التتر فنظرت الدولة لشكواهما بعين الرعاية وصار التنبيه عليهم بحسن المعاشرة معهما ثم وقع الشقاق بين الشراكسة فعينت الدولة منهم انطوناقا رئيسا فاندفع الشقاق بذلك بينهم وفى هذا العام حصلت فتنة

فى ألمانيا لكون البروتستانيين منها عادوا امبراطورهم وكذلك دولة أسوج جلبت داقوجه حاكم أردل من قبل الدولة العلية اليها لمحاربتهما أوستريا فتداخلت الدولة العلية بمنع المومأ اليه من الحرب والصلح مع أوستريا واصلاح ذات بين الجميع فليتأمل فيما كانت تفعله الدولة العلية من الاصلاح بين الدول وما تفعله الدول معها وفى هذا العام نفى السلطان سفبل أغا أغا دار السعادة الى مصر ومعه أمواله فقابل قرصان مالطة السفينة التى بها الاغا فقتلوه وأسروا حجاجا كثيرين وفيهم محمد أفندى البروسه لى قاضى مكة المشرفة ثم صادفهم أمواج هائلة فاغرقت أغلبهم ولما وصل هذا الخبر الى الاستانة جهزت الدولة لفتح جزيرة كريد لأمن الطريق برا وبحرا برئاسة يوسف أغا القبودان بعد تعيينه سردارا والانعام عليه برتبة الوزارة فى سنة ١٠٥٥ وكان جيشه هذا ثلاثين ألفا وفى ظرف خمسين يوما فتح قلعة خانيه ونظرا لكثرة المنافسات والنفاق بين باشوات الجيش وأرباب الحل والعقد بالاستانة ولامداد دولة فرنسا للكريديين وقيام دولة الونديك ضد الدولة امتدت مدة فتح كريد نهائيا خمسة وعشرين سنة كما يأتى وكان كلما يبلغ السلطان خبر هذه المنافسات يعامل بعضهم أشد معاملة ويجازيه جزاء صارما حتى صار له أعداء كثيرين ثم لما أرسلت دولة الونديك عساكرها الى موره وقتلت من أهاليها آلافا من الاشخاص وبلغ ذلك السلطان أراد قتل الكثيرين من الوزراء والامراء من موظفى الجيش والاستانة فمنعه شيخ الاسلام أبو سعيد أفندى بتدبيراته الحسنة ومن هذه الحركة انتقل جميع سفراء الدول من مساكنهم التى بالاستانة الى بك أوغلو وفى سنة ١٠٥٦ فتحت قلعة رتمو فى كريد بانتصارات عجيبة لامثيل لها فى ذلك الوقت ثم ظهر فى الجيش وباء مات بسببه الكثيرون فاضطر الاسطول الى الرجوع للاستانة ثم عين محمد باشا الصدر الاعظم سردارا وعين صالح باشا دفتردارا وعزل أبو سعيد أفندى شيخ الاسلام وعين بدله أحمد أفندى مفيد واتخذ السلطان يوسف باشا القبودان فاتح بغدادية السابق ذكره صهرا له ثم قتله شهيدا وعين بدله موسى باشا

قبودانا وفى هذه الاوقات أرسلت الدولة لما تمير الحدود شمالا وغربا أوامر بحسن معاشرة دول الحدود حتى لايحصل مشاغبات ولا قلاقل وفى هذا العام جاء رجلان من بلاد الروسيا وطلبا من السلطان ابراهيم اعانتهما على تعيين أحدهما حاكما على الموسكو وفى نظير ذلك يعطيان للدولة العليـة ايالتى قزان وأجـدرخان فمال السلطان الى القبول وعارض الوزراء باللطف والاحتشام حتى تغلبوا على فكره وأعادوا الشخصين قولا منهم انا نحن معاشر العثمانيين ليس من دأبنا افساد ممالك الغير ولا الاغتيال لشئ منها وفى سنة ١٠٥٧ اتخذ السلطان فضلى باشا أحد ندمائه صهرا له وعمـل وليمة عظيمة ابنى عليها فراغ الخزينة ثم عقد السلطان على جاريته المدعوة (تللى) وأجبر رجال الدولة على هدايا جسيمة من فراوى السمور ثم عين فضلى باشا هذا قبودانا وأرسله بالاسطول الى كريد فانتصر على اسطول الونديك وشتت شمل سفنها وحاصر على قلعة قندية وفى سنة ١٠٥٨ عصت عساكر أرضروم وقارص ووالى سواس على باشا ومحمد بن قره حيدر فى ولاية جيد حتى صارت الاناضول فى حالة يرثى لها ويحزن عليها وعلاوة على ذلك ظهر فساد فى بوسنة من تكاسل واليها ابراهيم باشا فاضطرت الدولة الى ارسال فرقة من العساكر اليها وأما دولة الونديك عدوة الدولة العلية المستمرة فانها هجمت بسفائنها على حين غفلة على جزيرة (مدللو) وسدت بوغاز الدردنيل لمنع الامداد الى كريد فقتل صالح باشا الصدر الاعظم شهيدا بلا موجب وعين بدله أحمد باشا والحاصل أنه فى ذلك الوقت كانت الدولة العلية فى حالة خطرة حيث ان الاختلالات والارتباكات عمتا الاناضول والروملى وعـلاوة على ذلك فالسلطان ابراهـيم أكثر من القتل فى الوزراء وفى صرف المصاريف الباهظة بلا موجب منها فرش كشكه من فراوى السمور علاوة على ميله الشخصى الى الخفة والمضاحكة وجولانه فى الاسواق والشوارع ليـلا بالمشاعـل حتى صارت الاهالى فى انتقاد عليـه ثم اشتدت الفتنة وتسببوا فى تبديل الوزراء وقطعوا أحمد باشا الصـدر الاعظم أربا فاهتمت والدة السلطان فى تسكين الفتنـة فلم يتيسر بل خلعوا السلطان ابراهـيم

Digitized by Google

وسجنوه فى خلوة من السراية وأجلسوا ابنه محمدا بالغا من العمر سبع سنين وبعد خمسة عشر يوما من هـذه الواقعـة قام السباهيون وأنكروا عليهم شـدة هذه المعاملة للسلطان فخاف أصحاب الحـل والعقد والاعيان من استفحال الفتنة وحصول مالا تحمد عقباه فبنـاء عليـه قتـل السلطان ابراهيم شهيدا فى محبسه ودفن فى مدفن عمه مصطفى بجوار أبا صوفيا رحمة الله عليـه وكان أولاده ثلاثا محمد وأحمد وسليمان

﴿ أسماء معاصرى السلطان مراد من الملوك والامراء وجهاتهم ﴾

أوروبا

أوستريا وألمانيا. فرديناندو الثالث ..... امبراطور
فرنسا ..... لوى الرابع ..... امبراطور
انجلترا ..... كانت جمهورية
الدانيمارك ... فردريك الثالث ..... ملك
اسبانيا ونابولى . فليب الرابع ..... ملك
البرتغال .... جان الرابع ..... ملك
الروسيا ..... علكس من فاملية رومانوف ..... ملك
ساردنيا ..... شارلى امنويل الثانى ..... ملك
سقسونيا..... البرد
فلنك ..... كيلوم الثانى

آســـيا

ايران ..... صـفى مرزا ثم عباس الثانى ثم حفيـده صـفى مرزا الثانى ..... شاه
الهند ..... جهان أورنك ..... شاه

Digitized by Google

١٩ السلطان محمد خان الرابع

﴿ ابن السلطان ابراهيم ﴾

ولد المشار اليه في ليلة تسعة وعشرين رمضان سنة ١٠٥١ بالاستانة وجلس فى ثامن عشر رجب سنة ١٠٥٨ بالغا من العمر سبع سنين ومدة سلطنته احدى وأربعون سنة وتولت والدته وصايته وأمور ادارة المملكة واسمها (ماه بيكر) وأول حكمها كان مجازاة المتسببين فى فراغ خزينة المالية ثم صار نفى جنجى معلم السلطان المعهود ومصادرة أمواله ودفع منها مليونان من الجنيهات فى العطايا المعتادة للجلوس وفى سنة ١٠٥٩ حصلت فتنة بين أغوات السراية للمزاحمة على ترفيع الرتب والزعامة فبمعرفة السباهيين واليكيجريين صار تسكين الفتنة وتأديب المذنبين ثم اشتدت الفتن والطغيان بالاناضول حتى أن الشقيين ابن حيدر وابن القاطرجى (البغال) قتلا والى الاناضول بجوار (افيون قره حصارى) وفى أثناء ذلك طلب سردار كريد امدادا فارسلت الدولة الدونانمة من ساحل قوجه فوصلت الى كريد بكل صعوبة من تسلط سفن الونديك وفى هذا العام تجددت المعاهدات مع دول أوربا ماعدا الونديك ثم اتفق أخو محمد باشا الصدر الاعظم الاسبق مع ابن القاطرجى المذكور ووصلا باعوانهما الى اسكدار فارسل اليهما فرقة وبسبب الخلاف الواقع بينهما رجعا منهزمين وفى سنة ١٠٦٠ اهتم حسين باشا دلى السرعسكر فى كريد بالحركة الحربية لكن لم تحصل ثمرة من استمرار عصيان اليكيجريين ثم اشتدت الفتن وعم الخلل فى جسم الدولة من تغلب الاوجاقيين حيث كانوا يعزلون الوزراء تباعا ويولون من ليسوا أهلا للوزارة فزادوا فى الاسراف والسفاهة وصاروا يتسابقون على أخذ المناصب بالرشاوى وسرقة الاموال الاميرية ثم سرى الظلم على الاهالى بزيادة الضرائب بما لايحتمل ولا يطاق وازداد البلاء من أعمال أحمد باشا ملك الصدر الاعظم فى قتل أصحاب الثروة بغير موجب لمصادرة أموالهم ثم كثرت الدراويش أرباب الطرق الصوفية الجهال وكل منهم يتملق لاحد

Digitized by Google

الاوجاقيين وهم يحترمونهم حتى كثرت البدع والحكايات الخرافية باسم الدين فاجتمع العلماء أفرادا وأزواجا بالجوامع وصاروا يعظون الناس ويبينون لهم حقيقة الدين واستمروا على ذلك حتى ان الاهالى انقادوا لنصائحهم فى محو البدع من التكايا فاغتاظ الدراويش والاوجاقيون من ذلك وفى سنة ١٠٦١ جاء الخبر من كريد بعصيان اليكيجريين ومغلوبية دوناغة الدولة فتحيرت أفكار العامة فما كان من الاوجاقيين واليكيجريين الا وهجموا على السراية وبمساعدة أغواتها قتلوا ماه بيكر والدة السلطان والوصية عليه شهيدة رحمة الله عليها وما أثرها الخيرية لاتحصى وعلاوة على ذلك فان سياوش باشا الصدر الاعظم قتل جميع الاغوات ومستخدمى السراية ممن كان ينتمى للمرحومة والدة السلطان بزعمه أن ذلك من باب الاحتياط لئلا يقصد أحدهم بالسلطان سوءا فانزعج مابقى من أغوات ومستخدمى السراية فتسلحوا وأخرجوا الراية الشريفة وطلبوا العلماء والعساكر الطائعين وجمعوهم فى أدرنة جامع وقبضوا على أغلب الاوجاقيين والمفتى بهاى ونفوهم أما نفى المفتى فهو لتهمته باعطاء الفتوى بقتل بعض من قتل وقيل غير ذلك وفى سنة ١٠٦٢ عصى حسن باشا أبازه المعزول من ولاية التركمان فجرم الاهالى من قسطمونى الى قرمان وهزم العساكر التى أرسلت اليه ثم اتفق مع ابشير والى بغداد واستوليا على أنقره وقتلا اليكيجريين الذين كانوا موجودين هناك وأما من الخارج فان دولة الونديك استولت على جهات موستار وحاصرت باب بوغاز الدردنيل وفى سنة ١٠٦٣ حصلت مضايقة مالية فوق مايتصور فبناء على لائحة أحمد باشا طرخونجى صار تنقيص مرتبات المستخدمين بما فيهم خدم السراية السلطانية مع زيادة الضرائب فوق طاقة الاهالى وفى هذا العام حصل الحرب بين بلونيا وبين طائفة زابوروق الساكنين فى سواحل نهر أوزى المعروفين (بصارى قامش قوزاق) فافسد الاجانب الموجودون فى بغدان ولاية بغدان وأرادوا انضمامها الى بلونيا فحارب خان قريم بلونيا وانتصر عليها وفى سنة ١٠٦٤ حصلت محاربة بحرية بين الدولة والونديك بجوار جزيرة (بوزجه)

فانتصرت دوناغة الدولة وعادت بغنائم كثيرة وفى سنة ١٠٦٥ تقوّل ابشير باشا العاصى فى جهات الحلب فدعته الدولة لتعيينه للصدارة فلم يحضر مطيعا بل جمع عساكره وجاء بهم للاستانة فجلس للصدارة وعين لجميع المناصب الاخساء من رجاله جبرا ثم كثرت مظالمه وازداد كبرياؤه فحرك بعض الوزراء بعضا من سفهاء اليكيجريين والسباهيين على نهب بيتى الصدر الاعظم وشيخ الاسلام ففعلوا وقتلوا أبشير باشا الصدر الاعظم بقطع رأسه وتحصلوا على زيادة علوفات خيلهم ومرتباتهم وفى هذا العام عصت عربان بصرة وتغوّل حسن باشا أبازه فى جهة حلب بالظلم والطغيان وفى سنة ١٠٦٦ اجتمع الاوجاقيون فى ألاى كشك بالاستانة وصاروا كلما وجدوا أحدا من خدم السراية وأغواتها يصلبونه على الاشجار بجوار جامع السلطان أحمد واستمروا على ذلك مدّة أربعة أيام متوالية وعزلوا الصدر الاعظم وشيخ الاسلام وغيروهما مرتين وفى سنة ١٠٦٧ استولت دولة الونديك على سواحل مورة وبعض جزائر ثم تولى الصدارة محمد باشا كوبريلى وكان ذا تدبير حسن فظهرت الحياة فى جسم الدولة وفى سنة ١٠٦٨ أرسل هذا الصدر النشيط وحيد عصره وفريد دهره العساكر برا وبحرا الى البحر الابيض فشتتوا شمل سفن الونديك وأحرقوا الكثير منها واستردوا جزيرتى (يوزجه ولمنى) وفى سنة ١٠٦٩ عصت حكام أردل وبغدان وافلاق فارسل اليهم خان قريم وكلف بعزلهم فقام بهذه المأمورية أحسن قيام وفتح قلعة (بانوة) ثم أن الصدر الاعظم محا أكثر من عشرين ألفا من عصاة جهة بروسة الذين كانوا يدا لحسن باشا أبازه وفى سنة ١٠٧٠ صار رفع الاختلال كليا من قرمان وبرية الشام ومصر حتى نال الاهالى كمال الرفاهية وقتل أربعة آلاف من عصاة اليكيجريين والسباهيين وأنشأ استحكامات مستجدّة ببوغاز البحر الابيض (الدردنيل) وفى هذا العام عصى حاكم افلاق المعزول وتغلب على العثمانيين الموجودين وقتئذ فى ترغويج وبركوى وابرائيل فارسل اليه خان قريم فحا أغلبهم وهرب بعض رؤسائهم ملتجئين الى أوستريا فقبلتهم

Digitized by Google

فبناء عليـه أرسلت الدولة عساكر الى بلاد المجر وفى سـنة ١٠٧١ أغرت دولة الروسيا طائفة القوزاق فارسل اليها خان قريم وهجم على الروسيين فقتل منهم نحو مائة ألف وعشرة فى مرات كما هو فى التواريخ وفيـه نظر حيث أن هذا العدد كثير وربما كان هذا عدد المحاصرين وبقتل بعضهم وتشتيت الباقى نسب القتل للكل والله أعلم

الاتفاق ٣٥ وفى سنة ١٠٧٢ أمدت فرنسا دولة الونديك لاجل مضادة الدولة العلية فاوجب ذلك امتداد مدة فتح كريد وفى هذا العام مات محمد باشا الصدر الاعظم الكويريلى رحمه الله رحمة واسـعة وتولى بعـده ابنه أحمد فاضـل باشا الكويريلى وفى سنة ١٠٧٣ انتصرت عساكر دولة أوستريا واستولت على قلعة أوبواد وغيرها وفى سنة ١٠٧٤ أرسل خان قريم مائة ألف فارس من عساكر التتر والقوزاق المسلمين الى بلاد أوستريا ففتحوا قلاع لونج ونوغراد وفى هذا العام قام الصدر الاعظم من بلغراد الى قلاع قانيجه وستواد لمنع عساكر أوستريا من الاستيلاء عليها فوجد ان فرنسا أمدت أوستريا بعساكر كثيرين فوقعت حرب هائلة فانتصر عليهما واستولى على قلعتى زرينوار وراب وفى سـنة ١٠٧٥ جاء الامداد من دولتى أوستريا وفرنسا ووقعت الحرب فى صحراء سـنفوتارد فمات من عساكر الدولة نحو عشرين ألفا فعقد الصـدر الاعظم صلحا وفى أثنـاء ذلك كان السلطان محمد فى الصيد فى جبال يانبولى ومعه فريق من الناس أكثر من ألاى ثم عاد الى سراية ادرنه بموكب وفى سنة ١٠٧٦ جهز الصـدر الاعظم أورديا (جيشا) لمحاربة الونديك والفرنساويين لاتمام فتح كريد وقتل الباشوات الذين كانوا يظلمون الناس فى مصر وقبرص وساقز وفى سـنة ١٠٧٧ ظهر شخصان أحدهما كردى فى الموصل وادعى أنه المهدى والآخر يهودى وادعى انه المسيح عيسى فى أزمير فارسل الصـدر الاعظم فرقتين فادبتهما وعزل والى بصرة وفى سنة ١٠٧٨ ذهب أحمد باشا الصدر الاعظم الى كريد فاشـتدت الحركة وامدت فرانسا والبابا ومالطة الونديك والكريديين وفى سنة ١٠٧٩

Digitized by Google

تم فتح كريد وكان السلطان محمد فى يكيشهر عاصمة ولاية ترحاله ففى سنة ١٠٨٠ عاد الى أدرنة وطلبت فرنسا تجديد المعاهدات فأجيبت وفى سنة ١٠٨١ حاربت طائفة القوزاق المعرفون بصاديقا مس بلونيا وفى سنة ١٠٨٢ فتح أحمد باشا الصدر الاعظم قلعة قانيجة وما حولها ثم عقد الصلح مع بلونيا وعاد وفى سنة ١٠٨٣ لما وجدت بلونيا جهة الشمال خالية من عساكر الدولة خابرت حكام افلاق وبغدان وحرضتهم على العصيان فاستردت بهذه الوسيلة بعض المحلات التى سبق أخذ الدولة لها بالعام الماضى وفى سنة ١٠٨٤ استولى الصدر الاعظم على قلعة لازدين وفى سنة ١٠٨٥ ضربت الروسيا بلاد القوزاق المسلمين وتغلبت عليهم وفى سنة ١٠٨٦ عقد الصلح بينها وبين الدولة على شرط تمليك الجهات الكائنة بين نهرى طورله وأوزى للدولة العلية وفى سنة ١٠٨٧ مات النشيط النصوح أحمد باشا الصدر الاعظم رحمه الله تعالى رحمة واسعة فى السنة الخامسة عشرة من صدارته وتولى بعده مصطفى باشا قره وفى سنة ١٠٨٨ حصلت مناوشات بين الدولة العلية والروسيا فاستولت الاولى على قلعة جهرين وفى سنة ١٠٨٩ عقدت المعاهده بينهما بواسطة خان قريم على ترك الحرب وفى سنة ١٠٩١ طردت دونانمة فرنسا سفن طرابلس الغرب لحد جزيرة ساقس ثم عادت وانبنى على ذلك حصول الحركات العدوانية بين الدولتين ولم يحصل حرب وفى سنة ١٠٩٢ دست دولة اوستريا الدسائس فى بلاد المجر حتى حصل فيها الاختلال فعينت الدولة انكروس بك ملكا على المجر ليكون مدافعا عنها فعاندت أوستريا وهاجمت بلاد المجر فغضب الصدر الاعظم مصطفى باشا وفى سنة ١٠٩٣ ذهب الى هناك وانتصر على أوستريا انتصارا باهرا حتى وصل الى ويانا عاصمتها وحاصرها لكن لابطائه فى الهجوم عليها لم تحصل ثمرة حيث ان ملك بلونيا هجم على بلاد الدولة فاضطر الصدر الاعظم على ترك المحاصرة والرجوع الى بلغراد ثم اتحدت دولة الونديك أوستريا وبلونيا على محاربة الدولة فالونديك فى جهة هرسك وموره وأوستريا فى جهة بوسنه وبلونيا فى جهة حدودها قاصدين

الاتفاق ٣٦

بذلك ارتباك حال الدولة واذلالها وفى سنة ١٠٩٤ اضطر الصدر الاعظم الى تقسيم الجيش ثلاث فرق فالفرقة التى امام جيش بلونيا انتصرت عليه حتى شتت شمله واما الفرقتان الثانيتان فقد أبليا بلاء حسنا وفى سنة ١٠٩٥ حصل هياج فى الجيش بدعوى ان السلطان محمد لم ينظر لصالح الدولة ولا لصالح الاهالى وانه مغرم بالصيد الذى لا يليق اشتغال مثله به وتآمروا على خلعه فخلعوه وجلس أخوه السلطان سليمان أما أولاد السلطان محمد الرابع فهما السلطان مصطفى الثانى والسلطان أحمد الثالث وسيأتى زمن توليتهما ان شاء الله تعالى

﴿أسماء معاصرى السلطان محمد من الملوك والامراء وجهاتهم﴾

اوروبا

ألمانيا وأسترياً . فردريك الثالث ثم لويولو الاول ..... امبراطوريه

فرنسا ..... لوى الرابع عشر ..... ملك

انجلترا ..... شارل الاول ثم قرومول ثم شارل الثانى ثم خاق الثانى

برتغال ..... الفونس السادس ..... ملك

روما ..... علكساندر ..... ملك

روسيا ..... علكس ثم فودور الثالث ثم كازمير الخامس وبترو الاول وهو بطرس الكبير بالاشتراك فى الحكومة

بروسيا .... فردريك الاول ..... دوق

بلونيا ..... جان كازمير ثم ميشل ثم جان ..... ملوك

فلمنك ..... كيلوم الثالث ..... ملك

اسوج ..... شارل العاشر ثم شارل الحادى عشر

دانيمارك .... فردريك الثالث ثم فرستيان الخامس

ايران ..... الشاه عباس الثانى

Digitized by Google

٢٠ السلطان سليمان خان الثانى

(ابن السلطان ابراهيم)

ولد المشار اليه سنة ١٠٥٢ وجلس فى شهر ذى الحجة سنة ١٠٩٩ بالغا من العمر ٤٧ سنة ومدة سلطنته ثلاث سنين وكسور وقد تقدم ان هياج الجيش أوجب خلع السلطان محمد فالاوجاقيون بالاستانة لم يكتفوا بذلك بل أجمع اليكجريون فى آت ميدان والسباهيون فى ميدان السلطان أحمد ونصبوا الخيم وصاروا يتداخلون فى أمور الدولة بعزل هذا ونفى ذاك وتجريم الآخر وقتل ونهب بيوت غيرهم حتى فى ذات يوم هجموا على الباب العالى وقتلوا سيواش باشا شهيدا عند مدافعته عن حرمه حال هجومهم عليها فهاج أهالى الاستانة وأعيانها وتسلحوا واتحدوا مع خدم السراية واجتمعوا تحت الراية الشريفة ثم هجموا على هؤلاء الاشقياء فقتلوا منهم كثيرا وهرب الباقون الى قشلاقاتهم منقادين طائعين ظاهرا وسكنت الفتنه ثم عين اسماعيل باشا للصدارة العظمى لكن الدولة قد ابتليت خارجا باستيلاء أوستريا على قلعة أكرى والونديك على جهات مورا وعصى عثمان باشا يكن (١) سر عسكر الاناضول واستقل ثم عبر البحر الى رومللى ودخل قهرا الى بلغراد ثم عصت العساكر الموجودة بكريد وطمشوار واستولت على بلاد بوسنه وجميع ما حولها فاتخذت الدولة خلع السلطان محمد وجلوس السلطان سليمان وسيلة لعقد الصلح مع أوستريا موقتا للكف عن الحرب وفى سنة ١١٠٠ عزل سليمان باشا الصدر الاعظم وعين بدله مصطفى باشا تكفورطاغلى ثم أن السلطان سليمان اهتم بالتجهيزات الحربية برا وبحرا حتى أن دونانمة الدولة طردت عسكر الونديك من جهة أغريبوز وكذلك عساكر التترشتت شمل القوزاق وخربوا كثيرا من بلاد الروسيا حيث أنهم كانوا اعتدوا ثم طلب خان قريم للحضور للاستانة للمشورة فى أمر عثمان باشا يكن العاصى

(١) معنى يكن ابن أخت أحد السلاطين

Digitized by Google

فاستقر الرأى على التنفير ضده وضد أعوانه فبناء عليه أعدمت أعوانه العصاة بالاناضول ومنع من ذلك الوقت اتخاذ صاريجة وسكبانة (١) بطرف الباشوات وفى سنة ١١٠١ قرر أركان وأعيان السلطنة السنية تعيين مصطفى باشا بن كوبريلى الشهير للصدارة وكان حازما نشيطا نصوحا للدولة كعائلته الكوبريليين وقد مر ذكر بعض مآثرهم الجميلة فاهتم المذكور بالتجهيزات الحربية وطلب حضور حاكم أردل لانضمامه فى الجيش وكانت أوستريا استولت على جميع قلاع بلاد الصرب فرتب الصدر الاعظم الجيش فرقا واسترد كثيرا من القلاع فلم تشغل هذا الرجل الهمام فريد عصره ووحيد دهره المشاغل ولا المحاربات الخارجية عن رفع المظالم عن الاهالى وتجديد نظامات جديدة عادلة وسن قانونا لكيفية تحصيل الاموال الاميرية بطريق الراحة للاهالى حتى تمكن من زيادة الايرادات السنوية ثم جمع بذلك عساكر كثيرة وحارب المتغلبين على الدولة بهمة عالية فاسترد من الونديك جزيرة مورا وما حولها ومن أوستريا وألمانيا بلاد الصرب ومن الروسيا وبلونيا بلاد تران سيلوانية وجميع ضائعات الدولة فجزاه الله عن الاسلام خيرا ثم فى سنة ١١٠٢ عاد الأمن فى بلاد مصر وقبرص وأدب بعض عصاة العساكر بهما ثم قوى حدودات هرسك وبلاد الارانطه وملأها بالعساكر لقطع طمع الونديك من تلك الجهات واستمر على تجديد الاعمال الصالحة حتى اندهشت الدول من سطوته وعلو همته لكن بالاسف قتل شهيدا فى معركة كما سيأتى وفى هذا العام مات السلطان سليمان بغير ذرية وكان موته فى أدرنة رحمه الله تعالى رحمة واسعة

﴿ أسماء الامراء والملوك المعاصرين للسلطان سليمان الثانى وجهاتهم ﴾

أوربا

أوستريا وألمانيا. فليب وقيل ليوبولد الاول ..... امبراطور

(١) هما اسمان للعساكر الذين يتخذونهم الباشوات والولاة قبل ذلك خلاف عساكر الحكومه

الروسيا ..... ايوان الخامس من عائلة رومانوف بالاشتراك مع بترو الاول وهو بطرس الاكبر الشهير

انكلترا ..... جلك أورانثر الثانى من عائلة سطوارت ثم كيلوم الثالث من عائلة داسوه

فرنسا ..... لوى الرابع عشر من عائلة بورلون

فلمنك ..... كيلوم الثالث

بلونيا ..... جان سوبيه سكى

بروسيا ..... فردريك الاول

اسبانيا ..... شارل الثانى

برتغال ..... بيترو الثانى من عائلة برا كانس

ساردنيا ..... ويغوراث الثانى

ولم أقف على اسم سلطان الهند

---

٢١ السلطان احمد خان الثانى

﴿ ابن السلطان ابراهيم ﴾

ولد المشار اليه سنة ١٠٥٢ وجلس فى ٢٦ رمضان سنة ١١٠٢ بالغا من العمر خمسين سنة ومدة سلطنته ثلاث سنين وثمانية أشهر وخمسة وعشرون يوما وكانت مبايعته فى أدرنة وكان الصدر الاعظم مصطفى باشا الهمام فى حرب مستمر مع دول الشمال خصوصا ألمانيا وأوستريا حتى حصلت واقعة هائلة بعد جلوس السلطان أحمد المذكور بلغ فيها عساكر الدولة خيمة الامبراطور لكن بمهارة سر عسكر الاعداء حصلت مقاومة عنيفة وقع الصدر الاعظم فيها شهيدا رحمه الله رحمة واسعة وعين بعده خليل باشا السردار وقد مات بهذه الواقعة نحو نصف الجيش من الطرفين وبموت الصدر الاعظم انهزم جيش الدولة فحاصر الاعداء قلعة وارادين وحاصر عساكر بلونيا قلعة قامنجة وفى سنة ١١٠٣ ذهب جيش

Digitized by Google

ألمانيا و أوستريا الى الصرب فقاومهم العثمانيون هناك وفى أثناء ذلك جاء السفراء من بخارى وايران وطلب الامبراطور الصلح بواسطة سفراء دولة هولنده لكن لجسامة طلبات الامبراطور لم يقبـل السلطان بل استمرت الحرب وفى أثناء ذلك حصلت فتنة فى مكة المكرمة بين الاشراف والسادات من جهة المزاحمة فى امارة مكة فعزل الصـدر الاعظم وعين بدله الحاج على باشا وفى سـنة ١١٠٤ قام الصدر الاعظم المذكور من أدرنة وقبل وصوله للجيش استولى الاعداء المتفقون على قلعة يانوه وشرعت فى محاصرة بلغراد أما من جهة بوسنة فان دولة الونديك لم تزل مستمرة على محاربتها حتى صار جيش الدولة أربع فرق على أربع دول ثم تحركت دولة الروسـيا أيضا فارتبك أمر الدولة وملت عساكرها من استمرار الحروب وفى هذا العام مات السلطان محمد خان الرابع المخلوع فى سنة ١٠٩٩ ودفن فى ساحة جامعه بالقرب من (باغجه قبوسى) أى باب البستان بالاستانة رحمه الله تعالى وعفى عنه وفى هـذا العام لم تقتصر الحال على ماحصل للدولة من الكرب باتحاد الدول عليها واستمرار الحروب بل حصلت فتنـة بالشام فارسلت اليها الدولة فرقة من العساكر لايجاد الأمن بها ثم حصـل حريق هائل بالاستانة بادئا من أيازمه قبوسى أحرق السليمانية وات بازارى وغيرهما وفى سنة ١١٠٥ أرسل الجيش الى بلغراد فى أول فصل الربيـع فحاصر قلعة وارادين أما الونديك فانها اسـتولت على حصار غبلة واستولت بحرا على جزيرة ساقز من اسـتقلال العساكر التى أمامها وانتصرت عساكر التتر قيادة خان قريم على عساكر بلونيا وفى سنة ١١٠٦ بلغ ظلم سعد بن سعيد أمير مكة عنان السماء من سلب ونهب أموال الحجاج وقتلهـم فكلفت الدولة والى الشام بايجاد الأمن بالحجاز وأمدته بمال ورجال وحصلت منازعات بين الاوجاقيـين فى سواحل البربرية فى جهـة المغرب فاصلحت الدولة ذات بينهم وطلبت جميـع سفنهم الى جزيرة ساقس وفى هـذا العام جاء السفراء من انكلترا وهولنـده لينصحوا الدولة بالصلح على ترك الحرب بدون استرداد شئ مما اسـتولى عليه الاعداء من بلاد الدولة فلم يقبـل

Digitized by Google

السلطان أما فرنسا فانها كانت تحرض الدولة العليـة سرا على استمرار الحرب وتعد بتسليط أعداء ألمانيا عليها وكان ذلك لصالحها لا لصالح الدولة العلية وفى هذا العام مات الشاه سليمان شاه ايران وتولى بعده ابنه حسين شاه وفيـه توفى السلطان فى أدرنة وشيعت جنازته الى الاستانة ودفن بجوار الجامع السليمانى بجوار مدفن أبيه ولم يكن له ولد رحمه الله تعالى رحمة واسعة

﴿أما معاصرو السلطان أحمد فهم المذكورون فى عصر أخيه السلطان سليمان﴾

---

٢٢ السلطان مصطفى خان الثانى

﴿ابن السلطان محمد الرابع﴾

ولد المشار اليـه سـنة ١٠٧٤ وجلس فى سـنة ١١٠٦ بالغا من العمر اثنتين وثلاثين سنة وبعد جلوسه بيومين كتب جوابا بخط يده شديد اللهجة للباب العالى مضمونه ان أسلافه من مدة طويلة اختاروا الراحة ولم ينظروا باهتمام الى نظام الدولة وانه بعـدئذ يستولى بنفسه الادارة العمومية وسـيكون موجودا بميادين الحرب وفى الحال اهتم بالتجهيزات الحربية ولم يفرق العطايا المعتادة لخلو الخزينة من النقود فاظهر الاوجاقيون عـلامات الثورة فوعـدهم ان ذلك يكون بعـد الانتصارات واسترداد الممالك الضائعة واخراج الاعداء منها حيث ذلك مفروض على جميع الامة وبعد ذلك تكون العطايا والهدايا والانعامات وفى سنة ١١٠٧ ذهب بنفسه مع الجيش وهجم على عساكر ألمانيا وأوستريا وانتصر عليهم ودخل بلاد المجر وفتح قلاع ليبوة ونتسل وغيرهما واسترد بلغراد ونيجو وقرلسبورق ثم حصلت الواقعة الحربية المشهورة بمحاربة لغوس وقتل من الطرفين أكثر من خمسة عشر ألفا وانهزمت الاعداء وعاد السلطان الى الاستانة منصورا مؤيدا وحصل للأمة السرور وفى أثناء هذا الحرب انتصر حسين باشا القبودان ابن عم

Digitized by Google

الكوبريليين على سفن الونديك فى جزيرة ساقس ثم دخلت عساكر قريم التتر فى بلاد بلونيا وأحرقوا جهات كثيرة وفى سنة ١١٠٨ قام بطرس الكبير
الاتفاق ٣٧ بعد ان صار ملكا على جميع الروسيين والقوزاق بمائة وستين ألفا بعد ان تحالف مع ألمانيا وأوستريا على دوام الحرب ضد الدولة العلية ثم حاصر قلعة ازاق وأوقد النيران فى البلاد المجاورة فاضطرت الدولة العليـة الى جمع أغلب قوتها أمام عساكر الروسيا فاشتدت الحرب مدة ثلاثة أشهر فمات من عساكره نحو ثلاثين ألفا فيئس من الانتصار وعاد الى بلاده وقد ولد فى هـذه الايام السلطان محمود الاول ابن السلطان مصطفى الحالى وعصت عـربان بصرة ومنعوا مرور سفن الدولة من نهر شاط فارسلت الدولة امدادا لعساكر بغـداد لتأديبهـم وجهزت دونانمة جديدة فى بصرة وقد تقـدم جمع أغلب قوة الدولة أمام الروسيين فبذلك كرت عساكر ألمانيا وأوستريا والونديك وبلونيا كل منهـم هجم على مايليه من حـدود الدولة فذهب السلطان بنفسه فاولا شتت شمل عساكر بلونيا ثم حصلت موقعـة عنيفة بجوار نهر بغا فانهزمت عساكر ألمانيا وأوستريا شر هزيمة وطردوا من الحدود مشتتين وعاد السلطان منصورا على قصـد العودة الى الاستانة فبلغه ان بطرس الكبـير حاصر قلعة ازاق بقوة جسيمة تقـرب من مائتى ألف مقاتل وعقب ذلك استولى عليها واسـتولت دولة الونديك على مورة ومنها ذهبت الى جهات أتينه وأستفه ثم اهتم السلطان اهتماما زائدا فى انشاء مراكب فى سواحل البحر الابيض والبحر الاسود ونهر الطونة وزيادة المعامل لصب المدافع والقلل وأنشأ فى أدرنة وأرضروم وأزمير ومصر ضربخانات لضرب النقـود وزيدت رسومات الدخان للاسـتعانة على المصاريف الحربية وفى سنة ١١٠٩ اضطرت الدولة العلية الى تفريق العساكر أمام هـذه الاعداء الكثيرة ثم حصلت واقعة عنيفة بين عساكر ألمانيا وأوستريا بقيادة البرنس أوجنة السرعسكر وبين فرقة من عساكر الدولة العلية فقتل فيها الالاف العديدة من الطرفين منهم أكثر أمراء ووزراء الدولة ودخل عساكر الاعداء فى ولاية بوسنة وأحرقت سراى الحكومة

فيها فعزل السلطان الصدر الاعظم وعين بدله حسين باشا القبودان ابن أخى محمد باشا الكوبريلى فاهتم المشار اليه بتنظيم واردات الدولة ومصروفاتها فجمع بهذا التدبير خمسين ألفا من عساكر البيادة وأربعين ألفا من السوارى وذهب بهم الى محاربة ألمانيا وأوستريا أولا ولما وصل الى صوفية توسطت دولتا انكلترا وهولندة قيل ان ذلك كان بايعاز من امبراطور ألمانيا فابدى بطرس الاكبر وبلونيا أيضا عدم قبول الصلح لكن لملل الامبراطور وعساكره من دوام المحاربة ولعلمه بحصول الفائدة له من هذا الصلح تغلب برأيه على المتفقين فطلب من جميع أوربا المسالمة العمومية أما الدولة العلية فكانت مضطرة الى الصلح لحرج موقفها وخطر مركزها فتم الصلح على مايأتى

﴿ شروط الصلح ﴾

منها ان الدولة العلية لا تطلب بعد ئذ ويركو وهدايا من احدى الدول وان دولة ألمانيا وأوستريا تتصرف فى الاراضى الكائنة أمام أنهر طونه وصوه وأوتا واسترداد مورة والجزائر السبعة واليونان والدلماجيا للونديك وان تكون حدود بلونيا نهر طورله بترك بورولياوا وقران لها وتكون معافاة من اعطا ويركو لخان قريم ومنها ترك قلعة ازاق للروسيا ففى هذه الحالة تكون ضائعات الدولة العلية مايأتى ـ بلاد المجر ١ ـ ترانسلوانيا ٢ ـ دلماجيا ٣ ـ قران ٤ ـ مورة ٥ ـ الجزائر السبعة ٦ ـ قلعة ازاق ٧ ـ فعاد السلطان والصدر الاعظم حسين باشا الى الاستانة موقتا للمكالمة مع السفراء الكبار الذين جاؤا لهذا الامر من جميع الدول لاتمام الصلح وفى سنة ١١١٠ ولد للسلطان ولد سماه محمدا وفى سنة ١١١١ ولد له آخر وسماه حسينا ولما تمت الامور الخارجية والمشاغلات الحربية بماذكر اهتم السلطان والصدر الاعظم بالاصلاحات الداخلية والنظامات الحربية وأنشأ كاتيب وجوامع وكبارى وقشلاقات ونحو ذلك من الاساسات الخيرية وتأمين الحجاج من تعديات العرب عليهم وفى سنة ١١١٣ جمع سليم كراى خان

أخو خان قريم الغازى الكثيرين من طوائف نغاى وبوجاق وأظهر هناك الفساد فاحالت الدولة تأديبه على محافظ أوزى فانهزم والتجأ الى الاستانة وفى سنة ١١١٣ اهتم حسين باشا الصدر الاعظم بضرب النقود الفضية فى سلانيك وتعمير القلاع وفى هذا العام أفسد قسيسوا الجزويت فيما بين الارمن لدخول فريق منهم فى مذهب الكاثوليك وعدم رضا الآخرين بذلك فاستفحلت الفتنة فاضطرت الدولة الى عزل بطريق الارمن ونفى بعض من القسيسين المذكورين وقفل مكتبهم الموجود بارضروم وفى سنة ١١١٤ عين مصطفى باشا دالطبان للصدارة وصار فيض الله أفندى المفتى الذى كان معلما للسلطان يتداخل فى أمور الدولة فعزل مصطفى باشا الصدر الاعظم وتولى بدله محمد باشا رامى وفى هذه الايام ولد ولد للسلطان سماه مرادا وكان السلطان اذ ذاك فى أدرنة وفى ذات يوم اجتمع الاوجاقيون بسبب سير المفتى المذكور بما يخالف رغبتهم وأخرجوا الراية الشريفة من السراية ومعهم ستون ألفا خارج الاستانة فقام السلطان من أدرنة بما معه من العسكر وعند ماقرب منهم انضم عسكره اليهم فلما رأى ذلك خلع نفسه ودعا أخاه أحمدا وأجلسه وفى سنة ١١١٥ مات مصطفى بعد خلعه بخمسة أشهر رحمه الله رحمة واسعة وكان له من الاولاد السلطان محمود الاول والسلطان عثمان الثالث ولم يذكر شيأ عن الآخرين ولم أقف ان كانوا باتوا فى حياته أولم تذكرهم التواريخ لعدم توليتهم السلطنة

﴿أسماء معاصرى السلطان مصطفى الثانى من الامراء والملوك وجهاتهم﴾

أوربا

الروسيا ..... بطرس الكبير
اسوج ..... شارل الثانى عشر من عائلة دبون
فلنك ..... جمهورية
أوسترياوألمانيا ليوبولد الاول من عائلة بسبورغ

فرنسا ..... لوى الرابع عشر
بروسيا ..... فردريك الاول
الوندبك .... جمهورية
اسبانيا..... فليب الخامس من عائلة بوربون
دانيمرك ..... فرستيان الخامس ثم فره دريك الرابع
انكلترا ..... كيلوم الثالث
ساكسونيا.... شارل الثانى عشر من عائلة البرت

---

٢٣ السلطان احمد خان الثالث

(ابن السلطان محمد الرابع)

ولد المشار اليه فى سنة ١٠٨٤ وجلس سنة ١١١٥ بناء على طلب أخيه السلطان مصطفى كما تقدم بالغا من العمر احدى وثلاثين سنة ومدّة سلطنته ثمان وعشرون سنة وكسور وابتدأ بمحو آثار المفسدين من اليكيجريين ورئيسهم أى أغاهم ثم عزل الوزراء والمستخدمين المتعينين بمعرفة وواسطة الاوجاقيين فانطفأت نيران المظالم وفى سنة ١١١٦ بنى قلاع باطوم وبغداد جك وطمرق لتأمين وتقوية الحدود وفى هذا العام عصت قبيلة منتفك وأفسدت فى جهات بصرة فارسل اليهم فرقة لتأديبهم وفى سنة ١١١٧ أظهرت دولة الروسيا المحبة والتودد للدولة وبعد البحث اتضح انها مهتمة بالتجهيزات الحربية سرا فلم تدخل هذه الغفلة على الدولة بل جهزت دونانمة عظيمة وساقتها الى البحر الاسود ثم اهتم السلطان باتخاذ الاسباب فى حسن معاشرة الدول لكن لنوايا الروسيا ضد الدولة العلية بانواع السوء لم تفد الاسباب الودية بل ظهرت منها العداوة ظاهرا وباطنا على مايأتى وكانت استولت على أغلب ممالك دولة أسوج وتصادف حصول شقاق بين دول الغرب بخصوص المنازعة فى وراثة تخت اسبانيا وفى سنة ١١١٨ أفسد قسيسوا

جزويت بين الارمن لدعوتهم للدخول فى مذهب الكاثوليك فانبنى عليـه نفى الكثـيرين من الارمن الكاثوليكيين المفسدين وسجن بعضهم وفى هـذا العام طردت دونانمة الدولة قرصان مالطه فى البحر الابيض وسفن القوزاق من البحر الاسود فالتجأ الفارون الى الغازى كراى خان قريم فغضب السلطان وعزله وعين بدله قبلان كراى وفى سنة ١١١٩ هجم قبلان المذكور على طائفـة قبارطاى (وهم طائفة من الشراكسة مما يلى الروسيا) فمن سوء تدبيره عاد مغـلوبا وفى سنة ١١٢٠ لما رؤى من حاكم بغدان المساعدة للروسيا سرا والتودد الزائد عزل وعين بدله وفى سـنة ١١٢١ انتصر بطرس الكبير على قارلوس الثانى ملك اسوج فهرب الاخير والتجأ الى قلعة بندر من ممالك الدولة العلية وفى سنة ١١٢٣ جعل بطرس الكبير قبول الملك المذكور اهانة له وعداوة من الدولة العلية فطلب منها طرده وعزل رئيس القلعة المذكورة ترضية له فردت عليـه الدولة الطلب فقام فى الحـال بجيشه الجرار على بلاد الدولة فارسلت الدولة محمد باشا البلطجى الصدر الاعظم لمقابلته فاسرع المشار اليه بالسير حتى التقى مع بطرس الكبير فى جهة قالجى فاشتبكت الحرب واشتد لهيبها فانتصر الصدر الاعظم وكاد ان يحصره هو وعائلته فارسل بطرس كترينا زوجته للصـدر الاعظم طلبا للصلح والامان فقبل على شروط منهـا رد قلعة ازاق التى كانت للروســيا بناء على معاهدة ســنة ١١٠٩ وهدم الاستحكامات التى أنشأتها الروسـيا على ساحل البحر الاسود وعدم جواز استحكامات بدلها مرة أخرى وعــدم التعرض لملك اسوج فى عودته الى بلاده وعدم جواز مرور دونانمتها فى البحـر الاسود ودفع ثمانيـة آلاف جنيه ذهبا غرامة حربيـه خلاف ما أعطى للصـدر الاعظم مما لم أقف على مقداره وما كان ذلك ممنوعا بل كان من ضمن العادات وفى سنة ١١٢٤ افترقت وزراء الدولة وأصحاب الكلمة فى أمر الصلح المذكور ففريق استصوبه والآخر خطأ الصدر الاعظم قولا منهم انه كان ممكن القبض على بطرس وعائلته وارسالهم للاستانة العلية وبعد مجادلات تغلب رأى الاخير وترتب عليـه عزل

ونفى الصدر الاعظم وفى سنة ١١٢٥ ظهرت من دولة الونديك علامات الخداع بالسعى فى التجهيزات الحربية سرا وكذلك الروسيا من قبل جفاف نسخ المعاهدة فاضطرت الدولة الى الصلح مع دول الشمال وفى سنة ١١٢٦ دست دولة الونديك الدسائس فى طائفة الالبانيين الذين هم على مذهب اللاتين وأهالى الجبل الاسود فثاروا ضد الدولة وكذلك حصل شقاق بمصر بين الامراء المعروفين بالمماليك وكذلك ظهرت بالشام الفتن والفظائع فاضطرت الدولة الى ارسال فرقتين الى مصر والشام وساقت باقى الجيش ضد الونديك ففتح جزيرتى اشنديل واكنة وفى سنة ١١٢٧ ثارت أروام رومة من ظلم دولة الونديك ورغبوا فى الرجوع للدولة العلية وقد تقدم ان هذه الجهة كانت ألحقت بدولة الونديك بناء على معاهدة سنة ١١٠٩ فاتخذت الدولة اظهار عداوة الونديك لها ونقضها العهد واستغاثة الاروام بها وسيلة لقبول استغاثاتهم فذهب الصدر الاعظم على باشا الداماد (أى الصهر) فاستولى على قلاع كوردوس وانابولى ومطون وقورون ومسترة ومنكشة وجبل مانية وغيرها حتى ميناء سودة بالكريد التى كانت باقية بها الونديك وكذلك فى حدود هرسك صار تخريب ممالكها وفى سنة ١١٢٨ اتحد وتحالف امبراطور ألمانيا وأوستريا مع الونديك وقدما الاحتجاج على الدولة بانها هى التى خرقت حرمة المعاهدة المنعقدة فى سنة ١١٠٩ مع انه من البين ان الونديك هى الناقضة بافعالها المتقدمة آنفا وساق الامبراطور عساكره الى الحدود فذهب الصدر الاعظم للمقابلة فقدم له أغلب أمراء المجر الشكوى من ظلم الامبراطور لهم فوعدهم بتخليص بلادهم من يده لكن انتصر عسكر الامبراطور على جيش الدولة بهمة باش وكيله البرنس أوجن بعد وقوع على باشا الداماد شهيدا واستولى على بلاد الافلاق وفى سنة ١١٢٩ أرسلت الدولة جيشا جديدا هناك وانتصرت دونانمة الدولة فى نهر طونة على سفن الاعداء حتى شتتت شملها لكن انتصرت الاعداء برا بجوار بلغراد واستولت على قلعتها ولم ينهزم نعمان باشا الكوبريلى لكن لقلة فرقته انسحب أخيرا ثم عين ابراهيم باشا

الاتفاق ٤٠

Digitized by Google

الداماد للصدارة العظمى وفى هذا العام لما رأى بطرس الكبير اشتغال الدولة بهذه الحروب واتمام التجهيزات الحربية قدم مذكرة للدولة العلية يطلب منها تعديل معاهدة الصلح السالفة الذكر وامتيازات لرعاياه خصوصا فى القدس الشريف فاعطته الدولة الامتيازات مضطرة لداعى الحالة وفى سنة ١١٣٠ انتصرت دوناتة الدولة على سفن الونديك ثلاث مرات متواليات فطلبت الصلح مضطرة فتوسطت دولتا انكلترا وهولانده وفى سنة ١١٣١ الموافقة سنة ١٧١٨ ميلادية تم الصلح على اعادة قلاع ايموجه وبره وزه ونيجة وجزائر اليونان وسورة للدولة العلية وفى سنة ١١٣٢ اهتم بطرس الكبير بتفريق فرنسا عن مسالمتها مع الدولة العلية وذهب بنفسه الى باريس فشعرت الدولة العلية بالمضار التي ربما تنتج من هذه السياحة فارسلت محمد أفندى سفيرا الى باريس لتقوية وثائق العلاقات وفى سنة ١١٣٣ قابلته فرنسا بالتبجيل والتعظيم غير انه لم يحصل أدنى ثمرة من هذه المأمورية وذلك لغموض سياسة فرنسا وقتئذ حيث انها كانت تريد تخليص ممالك دولة أسوج التى اغتصبتها الروسيا منها وذلك لا يمكن الابقهر الروسيا فالحت فرنسا على محمد أفندى السفير بان تتحارب الدولة العلية مع الروسيا ولما كان بطرس الكبير حليفا لامبراطور ألمانيا وأوسترنيا ودولة الونديك لم يقبل السفير المذكور الحاحات فرنسا بذلك وأما بطرس الكبير فانه اتخذ حصول الاختلالات الجسيمة فى بلاد ايران وضعف حكومتها فرصة لتوسيع بلاده الآسياوية اضعافا حيث استولى على البلاد الكائنة غربى بحر الخزر وفى سنة ١١٣٤ ضعفت دولة ايران ضعفا كليا فاستقلت بكوات بلاد الكرج وكذا الافغانيون بقندهار وقتلوا الشاه حسين واستولوا على أغلب بلاد ايران ثم حصل الخصام والمنازعات فى شروان بين الشيعيين والسنيين وطلبوا من الدولة العلية انتخاب أحد منهم واليا عليها والحاقها بممالك الدولة فقبلت منهم هذا الطلب لكون شروان كانت لها من قبل مدة من الزمن أما الروسيا فانها تغولت فى جنوب بحر الخزر فاضطرت الدولة العلية الى ارسال عساكرها الى هناك

وكانت الروسيا قد استولت على جهات تارخو ودربنده لحد باكو وأما الدولة فانها استولت على قلاع وجهات كورى وتفليس وكنجه وشماخ وجميع بلاد الكرج وقره باغ وشروان وهنا يتأسف كل مسلم من استقرار تفرّق دول الاسلام وغلطاتهم الكثيرة التى ترتب عليها استقلال البعض واستيلاء الاجانب عليه بعد معاناة تلك المشاق وفى سنة ١١٣٥ غش بطرس الكبير الشاه طهماسب الذى نصب نفسه شاها على ايران بغير أمر قانونى بقوله له لو تركت لى جهات كيلان ومازندرانى واستراباد مع ما استوليت عليه من قبل أساعدك على حفظ مركزك واسترداد ما أخذته الدولة العلية منك اليك فقبل ذلك منه ومكنه من هذه البلاد ولما بلغ الدولة ذلك أرسلت دونانمة عظيمة بالبحر الاسود وجيشا لبلاد ايران وفى سنة ١١٣٦ استولت الدولة العلية على ولايات أردلان وسنة وكرمان شاه وهمدان وأورستان بواسطة والى بغداد واستولت أيضا على جهات سلماس خوى ومراغة وأردبيل بواسطة عبد الله باشا الكوبريلى ثم ان بطرس الكبير حرّض امبراطور ألمانيا وأوستريا على محاربة الدولة بناء على المحالفة القديمة بينهما وفى هذه الاثناء صار أشرف خان أحد أمراء ايران أميرا على جانب من بلاد العجم مع وجود الشاه طهماسب فى مركزه وذلك من استفحال الاختلال فى بلاد ايران ثم ان فرنسا توسطت بين الروسيا وألمانيا وأوستريا من جهة وبين الدولة العلية من جهة أخرى فى الصلح فاستقر الرأى على ذلك ومضمونه ان الجهات الكائنة فى سواحل بحر الخزر تكون للروسيا وبلاد الكرج وشروان وقره باغ وأذربيجان أعنى يكون الخط الفاصل مستقيما من همدان الى أردبيل فجميع البلاد الواقعة غربية تكون للدولة العلية وفى نظير ذلك تساعد الدولة العلية الشاه طهماسب على حفظ باقى بلاده من الاغتيالات الروسية وفى سنة ١١٣٧ مات بطرس الكبير واستولت بدله على البلاد الروسية كترينا الاولى فدست الدسائس فى بلاد العجم على مضادة الدولة العلية وجددت المحالفة سرا مع امبراطور ألمانيا وأوستريا على محاربة الدولة العلية وأما السلطان احمد

الاتفاق ٤١

الاتفاق ٤٢

Digitized by Google

ووزراؤه فانهـم وجهوا أفكارهـم الى استمرار المسالمة وتبادل المساعـدة مع دولة ايران لكن دسائس الروسيا وشـدّة عداوة الايرانيين للدولة العلية تغلبتا فما كان من عساكر ايران الا انهم هجموا على حـدود الدولة فاضطرت الدولة الى المقابلة بالمثل فارسلت ابراهيم باشا الصـدر الاعظم بالجيش وفى سنة ١١٣٨ أرسل أشرف خان المذكور سفراء ومعهـم بلاغ بانه لايصح الحرب بين دولتـين مسلمتين وكان ذلك من باب الدسيسة ليس الا كما يعلم مما سيأتى وفى سنة ١١٣٩ شتتت عساكر الدولة شمل الطوائف العصاة المساعدين لعساكر ايران وهم من عربان هويرة وشاهسون والاكراد والافغان والارمن وكان من مات منهم وجرح يقرب من ستين ألفا ثم ان أشرف خان حضر فى ميدان الحرب ودس دسائس فى الجيش العثمانى ونادى فيه باعلى صوته كيف تزعمون انكم مسلمون وأنتم تقتلون المسلمين اخوانكم أفهـل تشفع لكم أمراؤكم يوم القيامة فما كان من عساكر الدولة الا انهم صغوا لقوله وألقوا السلاح تاركين ميـدان الحرب فجأة فاحتل الايرانيون بغير حرب الولايات العشرة السابق أخذها منهم بموجب صلح سنة ١١٣٦ وعلاوة على ذلك فانهم أخـذوا قلعتى سلطانية والابهر وفى سـنة ١١٤٠ ألقى قسيسوا الافرنج الفتن فى الارمن وعشموهم باستقلالهم وتعين واحد منهم ملكا فبناء عليه ثاروا ثورة واحدة وعثوا فى الارض فسادا ففى الحال شتتت الدولة شملهم ونجا من هرب من رؤسائهم الى الونديك ثم عفى السلطان عن الباقين وفى سنة ١١٤١ جمع الشاه طهماسب من طوائف جمشكزك واقشار وسائر التركمان خمسة وعشرين ألفا وتغلب على الافغان ثم دخل مدينة أصفهان عاصمة ايران وقتئذ وجمع منها أيضا عساكر كثيرة وذهب بها الى تبريز لرد ممالك مورثه اليه وفى سنة ١١٤٢ أرسل السفراء الى السلطان فى الاسـتانة بذلك فعقد السلطان المجالس وجرت مذاكرات كثيرة بشأن ذلك وفى الاثناء أتى الخبر بدخول عساكر الشاه فى الحدود العثمانيـة فاضطرت الدولة الى تجهيز جيش كاف ولمصادفة ذلك لفصل الشـتاء مضت أربعة أشهر ولم يرسل الجيش فاسـتولى الشاه على قلاع تبريز وهمـدان وكرمان شاه

وفى سنة ١١٤٣ حصلت بالاستانة فتنة عظيمة بسبب مانسب لابراهيم باشا الداماد الصدر الاعظم من التأخير عن ارسال الجيش فقام باترون خليل الاوجاقى وجمع عشرين من زملائه وقام اليكيجريون وحملوا القزانات على عواتقهم علامة على الاختلال والثورة على حسب عوائدهم وكان السلطان احمد فى اسكدار فعاد الى السراية وعقد مجلسا فى دائرة الخرقة الشريفة للمشورة فى هذا الامر واذا بالعصاة هجموا على السراية وحاصروها وطلبوا بغير امهال رؤس الصدر الاعظم والقبودان باشا والكتخدا بك فسلموهم اليهم ولم يتركوا محاصرة السراية ففى الحال أحضر السلطان ابن أخيه السلطان محمود الاول وأجلسه للسلطنة واختار هو لنفسه العزلة فى خلوة من السراية قولا منه انى لاأحب نزول قطرة من الدم فى نظير مابقى لى من الحياة الدنيا وكان عمره يومئذ ٥٩ سنة وله من الاولاد السلطان مصطفى الثالث والسلطان عبد الحميد الاول

﴿ أسماء معاصرى السلطان احمد من الامراء والملوك وجهاتهم ﴾

أوروبا

أوستريا وألمانيا. شارل السادس ..... امبراطور
انكلترا ..... الملكه آنا من فاميلية ستوار
اسوج ..... شارل الثانى عشر
دانيمرك ونوروج فردريك الرابع ..... ملك
اسبانيا ..... فليب الخامس ..... ملك
فرنسا ..... لوى الخامس عشر
بروسيا ..... فره دريك كيلوم الاول ..... ملك
فلنك ..... جمهوريه رئيسها هنسبوس
روسيا ..... الامبراطور بطرس الكبير ثم كترينا الاولى
الوندبك ..... جمهورية رئيسها دوجه

سلردنيا ..... فرفنور آمه ده ..... ملك
بلونيا ..... فردريك أوكست ..... ملك
برتغال ..... بدور الثانى
نابولى وسجليا . كانتا على امبراطور
ألمانيا وأستريا . شارل السادس ..... امبراطور
ايران ..... الشاه حسين ثم محمود خان ثم طهماسب الثانى

٢٤ السلطان محمود خان الاول

ولد المشار اليه فى سنة ١١٠٨ وجلس فى سنة ١١٤٣ بالغا من العمر خمسا وثلاثين سنة ومدة سلطنته ٢٥ سنة وقد تقدم ذكر الفتنة الكبرى التى انبنى عليها تنازل السلطان أحمد عن السلطنة وكان الاوجاقيون العصاة قد غيروا وبدلوا فى الوزراء والمأمير فبهمة بشير أغا (أغا دار السعادة) عين للصدارة العظمى عثمان باشا توبال (١) وبهمتهما محى أثر خمسة عشر ألفا من الاشقياء المذكورين وقد تمكن السلطان من بث الامن فى الاستانة وفى سنة ١١٤٤ أعلن السلطان الحرب على شاه العجم وان كان متواليا من قبل لاستيلاء الشاه على الجهات المتقدم ذكرها بغير اعلان حرب فارسل على باشا بن الحكيم فاقتتل مع عساكر ايران بقيادة (نادر قولى خان) بجوار كوريجان من ملحقات همدان فقتل من الايرانيين نحو ثلاثين ألفا وانهزم عسكرهم شر هزيمة واسترد على باشا الجهات التى استولى عليها الايرانيون أخيرا فارسل نادر شاه سفراء لطلب الصلح فتم الصلح بتعديل الحدود واسترداد بعض جهات أخرى لكن لبقاء ولايات ابرونيل و أذربيجان وأردلان وهمدان ونهاوند للايران غضب السلطان وعزل جميع الوزراء (تنبيه) لصعوبة المواصلات وطول واتساع ممالك الدولة العلية كان السلاطين

(١) أى الاعرج

يفوضون الامور للولاة والسرداريين وأمثالهم فيما يفعلون من حرب وصلح وغير ذلك وما تم فى هذا الصلح وغضب السلطان لذلك فهو من هذا القبيل

الاتفاق ٤٣ وفى سنة ١١٤٥ خابرت الروسيا سرشاه الايران بالاتفاق ضد الدولة ثم أرسلت مذكرة للدولة تدعى بها ان الاراضى الكائنة بجوار نهر تومان الساكن بها قبيلة القبارطاى من الشراكسة كانت لطائفة القوزاق ويلزم اعادتها اليهم وهذه كانت احتجاجات لجر المشاكل فقط فاهتمت الدولة العلية للاحتياط بالتجهيزات الحربية وفى أثناء ذلك أنزل نادر قولى خان القائد الايرانى السابق ذكره الشاه طهماسب الثانى عن كرسى المملكة ونصب نفسه شاها ثم خلع شاه كرمان وهجم على بغداد وحاصرها وأظهر حكمه على جميع ايران مستقلا وفى سنة ١١٤٦ ذهب عثمان باشا توبان الصدر الاعظم سر عسكرا فترك قولى خان الايرانى محاصرة بغداد وقابل عثمان باشا المذكور فى ساحل نهر الدجلة وكان عساكر الدولة متفرقين فى بعلة حدود معظمها فى حدى الروسيا وايران فوقعت حرب هائلة وانهزم جيش ايران لكن أتت فرقة ايرانية امدادا وهجمت على عثمان باشا فوقع شهيدا وانهزم عسكره وفى سنة ١١٤٧ وصل نادر قولى خان الشاه المذكور الى شهرزور ولما لم ترد اليه أخبار بانتصارات الروسيا على الدولة العلية طلب الصلح فارسلت الدولة فتح كراى خان قريم الى شروان بجيش التتر لجلب أميال سرخاى خان وشمخال للدولة العلية كما كانا وهما أمراء الداغستان فلم ينجح لسبب محاربة الروسيا والايران لهما بمحو نفوذ الدولة العلية عنهما واستقلال بلادهما استقلالا تاما وعاد فتح كراى بعساكره الى قريم أما الروسيا فانها لم تشأ هجومها على بلاد الدولة مباشرة بل احتلت بلونيا ونصبت من قبلها أحد الامراء من محاسيبها ملكا لها ثم حاصرت قلعة ازاق من أملاك الدولة العلية المستردة بناء على صلح محمد باشا البلطجى مع بطرس الكبير سنة ١١٢٣ وفى سنة ١١٤٩ فرح نادر شاه من اعلان الدولة العلية للروسيا بالحرب وارسال نحو ثلثى جيشها أمام الروسيا فاخذ عساكره وذهب الى جهات اردبيل وقره باغ

Digitized by Google

واستولى على قلعة بايزيد وانتصر على عساكر الدولة ثم استولى على تفليس
الاتفاق ٤٤ وروان وشروان وجميع بلاد الكرج ثم طلب الصلح وفى هـذه الاثناء قام
امبراطور ألمانيا واوستريا وهجم على بلاد الدولة قياما بشروط المحالفة بينه وبين
الروسيا والاستيلاء على بلاد الدولة فى هذه الاوقات الحرجه ولما رأت الدولة
العلية هذه المصائب فضلت المصالحة مع ايران بترك أغلب الجهات التى استولت
عليها حديثا وفى سنة ١١٥٠ قسمت الدولة العليه جيشها بين حدود الروسيا
وألمانيا وفى أثناء ذلك احتلت الروسيا بلاد قريم وانتصرت على عساكر الدولة
التى كانت بجوار قلعة أوزى وأما أوستريا فانها انتصرت على عساكر الدولة
واحتلت الصرب باكثر من مائتى ألف عسكرى وحاصرت قلعة نيش فحصل
حرب هائل بينهم وبين أحمد باشا الكوبريلى والى روملى فاضطرت عساكر أوستريا
الى الانسحاب وترك القلعـة ثم أرسلت أوستريا جيشا آخر الى حـدود البوسنة
واسـتولت على بعض حصار غير مهم وكان معها نحو الثلاثين ألفا من الالبانيين
والصربيين فما كان من على باشا بن الحكيم واليها الا انه أفناهم ولم ينج منهم الا
القليل ولقرب فصل الشتاء توسطت فرنسا فى الصلح وأساسه هو ترك أغلب البلاد
التى احتلت فيها الاعـدا فطاولتهم الدولة العلية فى المخابرات حتى مضى فصـل
الشتاء وفى سنة ١١٥١ عادت الحرب كما كانت فانتصرت الدولة على الاعداء
فى بوسنة وقتلت منهم كثيرا واسـتردت قلاع بلغراد وسمندرة وأورشوة وبعض
جهات من ولاية بانان وفى سـنة ١١٥٢ انتصرت الدولة على الروسيا برا فى
جوار نهر بروط وكذلك فى أورقبو وبحرا فى بحر ازاق بتدمير دونانمتها لكن أرسلت
الروسيا سبعين ألفا من جيشها مع القوزاق بطريق بلونيا واستولوا على قلعتى
خوثين واياش وفى أثناء ذلك انتصرت فرقة من عساكر الدولة على أوستريا فملت
الدول من الحرب ورغبت فى الصلح بواسطة فرنسا أما الدولة العلية فانها ملت
أكثر منهن ولكن أظهرت الصبر والجلد حتى تساهلت الدول المحاربة والواسطة
وقد تم الصلح على شرط ان بلغراد والصرب والافلاق ترد للدولة من مستوليات

Digitized by Google

ألمانيا وأوستريا وعلى هدم قلعة ازاق وانجلاء عساكر الروسيا عن سواحل نهرى أوزى وبراد والقبرطاى وداسن وعدم جواز سفن حربية للروسيا فى البحر الاسود وعلى تعيين قنصل لها بالاستانة وفى سنة ١١٥٣ تجدّدت المعاهدات التجارية بين الدولة وبين دولتى فرنسا وأسوج وفى هذا العام حصل قحط عظيم من توالى الحروب ثم ان نادر قولى خان شاه ايران خرج عن الاطوار اللائقة لسكرته مما ناله من الصلح الاخير من استرداد بعض الممالك كما تقدّم فى سنة ١١٤٩ فارسل سفيرا كبيرا وبرفقته أربعة آلاف من خدمه وحاشيته الى الاستانة ليطلب التصديق على مذهبه الخامس الجعفرى وتخصيص ركن مخصوص له بالحرم الشريف فردّه السلطان بجواب مبهم مؤداه ان علاقة الدولتين فى غاية من الصفاء وفى سنة ١١٥٤ مات امبراطور ألمانيا وأوستريا وجلست وارثته الامبراطورة مارجزبانه فلم تصدّق الدول عليها فحصل بينها وبين بعضهن عداوة وعرضت أغلب الدول على الدولة العلية العذر عن الصلح الماضى وانتهاز هذه الفرصة للانتقام من دولة أوستريا وألمانيا العدوّة القديمة فلم يقبل السلطان محمود هذا العذر وقال ان سلاطين الدولة جميع أعمالهم مملوءة بالشهامة والشرف والصداقة والمروءة لا كاعمال اللصوص والقرصان وبالفعل صادق على امبراطورية الامبراطورة (ومن العجب ان هذا الجيل الفائق الحد لم يثمر ولم ينقص شيأ من العداوة المستمرة من دولة أوستريا وألمانيا للدولة العلية) وفى سنة ١١٥٥ توهم نادر شاه ان عدم مهاجمة الدولة العلية على أوستريا وألمانيا فى حال حرج موقفها من عدم تصديق الدول على امبراطوريتها ومهاجمة أغلبهم عليها ماهو الا لفرط ضعفها من استمرار الحروب السالفة فطلب ثانيا التصديق على المذهب الخامس كما سبق وطلب أيضا ولايات كردستان والعراق وهجم على حين غفلة على مدينة بغداد وفى سنة ١١٥٦ أرسل السلطان الخلع على كل من سرخاى خان وشمخال وأوسمى أمراء دغستان السالفى الذكر فى سنة ١١٤٧ وجهز جيشا بقيادة سر عسكرى ديار بكر وبغداد فانتشبت الحرب بينهما وبين الشاه بالقرب من نهر الزاب

Digitized by Google

فانهزم عسكر الشاه واضمحـل وفر هو هاربا ولكن افتكر ان جميع قوة الدولة العليـة مع السر عسكرين المذكورين ومن جهـة أخرى فانه خاف من الشعب الايرانى ان يعتـبره مهـانا فاهتم بالتجهيزات الحربيـة واتحـد مع بكوات الامة الكرجية وأما أحوال الاستانة فان حسن باشا عين للصـدارة العظمى وكان غيورا حازما فسعى فى الاصلاحات الداخلية وجهز مائة ألف من العساكر فى جهات القارص وديار بكر وبغداد وفى سنة ١١٥٧ هجم نادر شاه ومعه بكوات الكرج على روان وانتصر على والى جلدر ثم اتفق مع العربان وبعض الاكراد حتى أبلغ عسكره مائتى ألف وهجم بنفسه على قلعة قارص وهنالك اشتبكت الحرب وامتدت خمسة أشهر وكانت الحرب فى أغلب الوقائع سجالا وأخيرا اشـتد وطيسها وحمى فانتصرت عساكر الدولة وانسحب الشاه راجعا بما بقى من جيشه وفى سنة ١١٥٨ اقتفى أثره أحمد باشا الجنه جى وفى هذه الاثناء انضمت عساكر التتر مع خان قريم الى باقى الجيش الذى بقارص ثم وقع الحرب بقرب روان بين الشاه وبين محمد باشا يكن السر عسكر وبعد برهة وقع السر عسكر شهيدا وتفرقت عساكره فبناء عليه أرسل مذكرة يطلب فيها جهات وان والموصـل وبغداد وبصره يعنى ان هـذه الولايات كانت للايران قديما وما زال غـيرها تحت يد الدولة العلية فلما بلغ ذلك السلطان قال ان دماغ هذا الشاه مملوء بالفساد فامر فى الحال بجمع عساكر روملى والاناضول وأرسلهم الى ديار بكر فكان جيشا عظيما عديم النظير فلما رأى الشاه هذا الجيش الهائل سحب طلبانه وطلب الصلح فوقع الصلح على أساس وشروط معاهدة السلطان مراد الرابع وذلك فى سنة ١١٥٩ وفى سنة ١١٦٠ اشتدت منازعة الدول فى وراثة الامبراطورية وصار كل منها يرسل السفراء الى الاستانة ويطلب المشاركة والمحالفة حتى وعد بعضهم برد بلاد المجر للدولة العلية فلم يقبل السلطان محمود قائلا انى لا أحارب أحدا بادئا بالتعدى وفى هذا العام أعدم نادر شاه أمراء عساكر ايران فطلب أهالى تبريز وكرمان شاه وهمدان عساكر الدولة لاحتلال بلادهم فلم يتحوّل السلطان محمود عن عهده قولا منه ان فى ذلك نوعا من الغدر

Digitized by Google

ولا بد من حصول سفك دماء بين المسلمين فى ذلك ثم جدّد المعاهدة مع أوستريا وفى سنة ١١٦١ أراد اليكيجريون بالاستانة وبغداد احداث فتن وأظهروا بعض الوقاحة فى الاسواق ففى الحال تمكن السلطان من تأديبهم تأديبا صارماثم اشتغل بابنية جوامع وكتبخانات وقشلاقات وغيرها من العمارات الخيرية وفى سنة ١١٦٢ صار تأديب عربان بغداد وقرصان البحر الابيض وخلاص المسلمين الذين وقعوا أسراء فى يد القرصان الموجودين فى بلاد ايطاليا وفى سنة ١١٦٣ ملئت بلاد الغرب بالثورات والفساد وذلك لظهور من يدعى الوهابى فى نجد وعصيان بنى تميم فارسل السلطان للولاة بالموصل وبغداد والرقة بتأديبهم وفى سنة ١١٦٤ ظهر الفساد بالاناضول وبوسنة من طائفة الاكراد وغيرهم ففى الحال أطفئ لهيبه وخمدت ناره وفى هذا العام شكى بعض الدول للدولة العلية من تشتت ما زبهم وذلك ان الروسيا أرادت الاستيلاء على بلاد أسوج الشمالية فاضطربت أحوال الدول وحرضت فرنسا الدولة العلية على محاربة الروسيا وان دولة بروسيا ستحاربها بالاتفاق مع الدولة فلما أحست الروسيا بذلك أرسلت لائحة تبرئ نفسها من هذه الاشاعة أما الدولة العلية فانها لم تصغ لاقوال فرنسا بل أظهرت علنا الحياد التام وانها ليست مع أحد من الدول ضد الاخرى وفى سنة ١١٦٥ حصلت منازعات بين الشريف مساعد أمير مكة وبين الشريف محمد بن عبدالله فقدّم الاول الشكوى فى حق الثانى فارسلت الدولة مندوبا عاليا فاصلح ذات بينهما وفى أثناء ذلك ظهر فى ملاطية من عشائر مللو وتجرلو ومن يدعى ابن قلندر الشقى العصيان والفساد وكذا ظهر فى هزار غراد وروسنجق وقرمان وما حولهن وكذا ظهر قرصان مالطة فى البحر الابيض فارسلت الدولة العساكر لتأديب الجميع فشتتت شملهم وأسرت القرصان ثم ان السلطان محمود استشعر بوجوب الاهتمام فى تزايد القوى البحرية فامر بانشاء ثلاث سفن جسيمة كل منها بثلاثة عنابر مع استمرار انشاء غيرها وفى سنة ١١٦٦ حصلت فتنة من اليكيجريين بالاستانة منشؤها ان بشير أغا دار السعادة عامل العلماء بما لايليق بهم فسكنت الفتنة بقتل

هذا الاغا وفى سنة ١١٦٧ استمرت راحة الاهالى مع عدم حصول اختلال بهمة السلطان ووزرائه مع ان اليكيجريين كانوا يسعون دائما فى ايجاد الاختلال ثم ظهرت فتنة فى أواخر السنة بسبب ان قسيسى الافرنج كانوا لايقترون عن دس الدسائس بين الارمن تارة وبين الاروام أخرى وانه من ظلم البطارقة وارتكاباتهم ثارت الاروام وهجموا على بيت بطريقهم ونهبوه وأعقب ذلك حصول زلزلة عظيمة هدمت الاستانة حتى الاسوار (١) ولولا خروج الاهالى فى الفلوات لماتوا وفى سنة ١١٦٨ مرض السلطان فكتم الاطباء حالة مرضه خوفا من حصول الفتن حتى ان كافة الاوامر السلطانية كانت تصدر كما كانت فى حال صحته ثم لما اشتد به المرض فى ذات يوم وكان يوم جمعة لم يشأ تأخيره عن صلاة الجمعة ولاعن اجراء الموكب المعتاد فذهب وبعد الصلاة عاد وهو راكب جواده والعساكر مصطفة من الجانبين واذا بالاجل المحتوم أتاه فاستشعر به وقال لمن بجانبيه من الوزراء والامراء ان الاجل قد أتى على ماأظن فيلزم ان تحافظوا علىّ راكبا من غير ان يشعر أحد فقاموا بامره حتى انه لما وصل باب السراية مات راكبا رحمه الله رحمة واسعة ودفن فى تربته المخصوصة ببكى جامع ولم يكن له ولد

﴿أسماء معاصرى السلطان محمود الاول من الامراء والملوك والحكام وجهاتهم﴾

اوروبا

نابولى وسجلية .. دون قارلوص من فاميلة بوربون
فلمنك ..... جمهوريه رئيسها كيلوس الرابع
بروسيا ..... فردريك الثانى من فاميلة هوهنجولو
انجلترا ..... جورج السادس من فاميلة هانور
اسبانيا ..... فرديناندو من فاميلة بوربون

(١) هكذا ورد وربما جاء تهويلا للامر والا فلا يعقل أن جميع الاستانة هدمت عن آخرها فليتأمل

Digitized by Google

فرنسا ..... لؤى الخامس عشر من فاميلة بوربون أيضا
روسيا ..... ايوان الخامس
أسوج ..... فردريك
ألمانياوأوستريا. شارل ثم مارجزبا ..... امبراطوره
وندیك..... جمهورية رئيسها دوجة
ساردنيا..... وفنورامه ده
برتغال ..... بدور الثانى
دانيمرك ونوروج. فردريك الرابع
ايران ..... الشاه طهماسب الثانى ثم عباس خان ثم نادر قولى خان

٢٥ السلطان عثمان خان الثالث

﴿ ابن السلطان مصطفى الثانى ﴾

ولد المشار اليه سنة ١١١٢ وجلس سنة ١١٦٨ الموافقة سنة ١٧٥٤ ميلادية بالغا من العمر ٥٦ سنة وفى أول جلوسه اهتم بابقاء كافة المعاهدات والمصالحات ثم اشتغل بالاصلاحات الداخلية وقفل كافة الخمارات بالاستانة ومحا ما يخالف الشرع من البدع ونهى عن مشى النساء فى الاسواق بالزى المفتوح واخترع للرعية أزياء متنوعة الاجناس فى الملابس وفى هذا العام حصل نزاع فى القدس الشريف بين الاروام واللاتينيين بسبب اخراج اللاتينيين عن محافظة وملاحظة الكنائس ببيت لحم وحاول الاروام محلهم فتكدرت العلاقات بين الدولة وبين بعض الدول خصوصا دولة فرنسا ثم انتهى الامر بنفى بعض المتسببين فى هذا النزاع وفى سنة ١١٦٩ عين على باشا ابن الحكيم للصدارة فغير وعزل أغلب أصحاب المناصب ثم حصل بالاستانة حريق هائل أحرق منها الربع ثم عزل ونفى الصدر الاعظم المذكور بعد مرور ٥٣ يوما من صدارته لكن

Digitized by Google

دسائسه ومساعيه لم ينقصا حتى أن الصدارة تبدلت ثلاث مرات فى مدة وجيزة ولتغلب أحزابه أعيد للصدارة ثانيا وأعقب ذلك حصول حريق آخر بادئا من تيمورقبو واستمر مدة ٣٦ ساعة حتى احترق الباب العالى وثلثا المدينة فاضطر السلطان لان يمر خفية بنفسه حتى عرف الحقائق وسمع الشكاوى الكثيرة من الناس فى حق على المذكور فأمر بقتله فقتل وعين بدله محمد سعيد أفندى وأنعم عليـه برتبة الوزارة وفى هـذا العام عصى أمراء الاكراد فى موش وبطليس وملاس وخوشاف واستولوا على قلاعها فساقت الدولة والى أوضروم اليهم فأدبهم وانتصر عليهم وفى هـذه الاوقات جاءت السفراء من دول أوروبا للتهنئة بالجلوس وتم بناء الجامع الذى كان جارى بناؤه فى مدة السلطان محمود من مـدة ثمان سنين وفى سـنة ١١٧٠ ظهر ابن قره عثمان فى ولاية آيدين بالعصيان فقبض عليه وأعدم أما السلطان فانه عزل محمد سعيد باشا الصدر الاعظم وعين بدله مصطفى ماهر باشا وبعد زمن قليل عزله وعين بدله راغب باشا وفى سنة ١١٧١ عصت عربان الشام وقطعت الطريق على الحجاج وأعقب ذلك وفاة والدة السلطان ومحمد أكبر أولاد السلطان أحمد الثالث ثم أراد السلطان عزل راغب باشا الصدر الاعظـم واذا بالاجل المحتوم أتاه رحمه الله تعالى رحمة واسعة ولم يكن له ولد ومن الغريب أنه مع كون مدة سلطنته ثلاث سنين غيرت فيها الصدارة سبع مرات ومدفنه بجامع لالى

﴿ أسماء معاصرى السلطان عثمان الثالث من الامراء والملوك وجهاتهم ﴾

أوستريا وألمانيا . فرانسوا الاول ..... امبراطور
بروسيا ..... فردريك الثانى
اسوج ..... فردريك أدولف
روسيا ..... ايوان السادس
فرنسا ..... لوى الخامس عشر

Digitized by Google

انكلترا ..... جورج الثانى
برتغال ..... جوزيف الاول من فاميلية برغش
بلونيا ..... ساتسلاس لفتونكس
نابولى وسجلية .. دونقار لوص من فاميلية بوربون
فلنك ..... جمهورية رئيسها كيلوس الرابع
اسبانيا ..... جورج السادس من فاميلية بوربون

٢٦ السلطان مصطفى خان الثالث

ولد المشار اليه فى سنة ١١٢٩ وجلس سنة ١١٧١ الموافقة سنة ١٧٥٧ ميلادية بالغا من العمر ٤٣ سنه ومدّة سلطنته ١٦ سنه فابقى راغب باشا فى الصدارة واهتم بتأديب عربان الشام وفتح طريق الحجاز للحج ودفع طائفة نفاى التى تجاوزت الحدود الشمالية وكان تجاوزها بدسائس روسيا حيث ان امبراطورتها كترينا الثانية كانت شديدة العداوة للدولة العلية وهى ليست من العائلة الملوكية بل كانت زوجة بترو حفيد بطرس الكبير فتحايلت على خلع زوجها بدعوى أنه لم يتبع وصية جده بطرس الكبير فى معاداة الدولة العلية والسعى فى الاستيلاء على الاستانة باستمرار الاتفاق مع أوسترايا والمانيا ثم أنها لم تكتف بخلع زوجها بل تسببت فى قتله حتى أنها تستقل بذلك وكانت ماهرة فى الخداع والحيل فاستقلت بالرأى والحكم وسعت لدى انجلترا والدانيمارك والبروسيا وأوسترايا مع المانيا وأسوج للاتفاق معها على اعادة الامبراطورية بالاستانة ومحو دولة فرنسا ومعنى ذلك هو طرد العثمانيين من أقاليم أوربا واعادة امبراطورية الرومية فى الاستانة ومن العجيب أن بطرس الكبير لم يوص باعادة الامبراطورية الرومية بالاستانة مع أن كترينا المذكورة خدعت الامة الروسية

Digitized by Google

فى خلع وقتل زوجها بحجة انه لم يتبع وصية بطرس كما تقدم بل وخدعت أوربا بدعواها ان الغرض هو رفع شأن المسيحيين بطرد العثمانيين من أوربا واعادة الامبراطورية بالاستانة مع أن حقيقة الامر غير ذلك بل كان غرضها الوحيد هو أخذ الاستانة وأوروبا التركية للروسية (لاقدر الله ذلك) لا للدروام فبهذه الحيلة قادت كترينا المذكورة أوربا لتنفيذ أغراضها وفى الحال قامت الاتفاق ٤٥ الدول المتفقة وفى مقدمتهن كترينا بدس الدسائس واشتعال نار الاختلال والثورة فى البلقان وموره وأما فرنسا فكانت همتها متوجهة الى تحريض الدولة العلية على محاربة الروسيا قائلة لها ان هذه الفتن من الروسيا التى هى العدوة الوحيدة للدولة العلية وكان غرضها من ذلك اشتغال الروسيا عنها أما رجال الدولة فهم الصدر الاعظم محمد باشا ابن محسن (١) فقد نهى الدولة عن محاربة الروسيا وصمم على ذلك مع استمرار التجهيزات الحربية فتغلب أصحاب الرأى السقيم على عزله من الصدارة أما السلطان مصطفى فانه لم يحزم ولم يتدبر فى هذا الامر المهم كما يجب بل اشتغل بنظامات وتعديلات الداخلية وروا ج التجارة والصناعة وتجديد بعض المعامل وطرد الكسالى والمعروفين بالعكامين من الاستانة وارسالهم الى بلادهم لمشغوليتهم بالزراعة وفى سنة ١١٧٢ حصل بين السادات والاشراف بمكة المشرفه الفتن والغوغاء حتى نتج عن ذلك ان العربان قطعوا طريق الحج فارسلت الدولة عبديا باشا بفرقة من العساكر فاعاد الامن وفى سنة ١١٧٣ حصل مثل ماتقدم فى مكة من عربانها فاهتمت الدولة بالتنكيل بالاشقياء القاطعين للطريق وفى هذا العام زلزلت الارض بالشام حتى خربت منها جملة مدائن فأرسلت الدولة نقودا كثيرة مع مأمورين لتعمير ماهدم وفى سنة ١١٧٤ شدد السلطان بمنع المسكرات وعدم خروج أحد بغير زيه فانكب الناس على استعمال

(١) هكذا فى الاصل وقدتقدم أن الصدر الاعظم هو راغب باشا ولم يأت ذكر عزله وسيأتى أنه هو الصدر الاعظم ومات فى وظيفة الصدارة كما يأتى قريبا وربما عزل راغب باشا وعين بدله ابنه محسن ثم أعيد راغب باشا فليتأمل

Digitized by Google

الافيون والترياق وفى سنة ١١٧٥ أظهرت الروسيا مافى ضميرها من السوء فارسلت القوزاق الى الحدود العثمانية بغتة فقتلوا من كان موجودا فى بالطة من العثمانيين والبولونيين ولما ورد هذا الخبر للاستانة اهتمت الدولة بالتجهيزات الحربية وفى سنة ١١٧٦ أظهر محمد باشا راغب الصدر الاعظم همته الفائقة فى التجهيزات الحربية وكان مدبرا حازما متيقظا فجعل فى حدود الروسيا نصف الجيش أو أكثر والباقى فى حدود أوستريا وألمانيا بخلاف الموجودين فى حدود الونديك غير أنه بالاسف توفى فى هذا العام وفى سنة ١١٧٧ طغت طائفة الياماق فى بغداد فعزل واليها وأرسل غيره ذا كفاءة وأعقب ذلك توقف حاكم كرجستان بناء على اشارة الروسيا عن عدم دفع الويركو المعتاد دفعه للدولة العلية ووعدته بمساعدة عسكرية فارسلت اليه الدولة عساكر فطلب الحاكم المذكور من الدولة العفو ودفع لها الويركو وفى سنة ١١٧٨ اشتدت الدسائس الروسية فى البلاد الممتازة التابعة للدولة العلية مثل كرجستان والافلاق والبغدان والجبل الاسود والقريم وغيرها مثل موره بناء على اتفاق الدول كما تقدم فكانت همة الدولة العلية فى السياسة الخارجية فى ذلك الوقت ضعيفة جدا بالنسبة لعصرنا هذا وفى هذا العام مات ملك بلونيا وحصل بها اختلال وأراد العقلاء من أمرائها دخول بلادهم تحت حماية الدولة العلية مع استقلالها فقبلت الدولة ذلك لعدم استيلاء احدى الدول العظام عليها خصوصا الروسيا لكن دسائس كترينا أثرت على أفكار الاكثرين من أمرائها حيث وعدتهم بالمساعدة لتكون بلونيا دولة كبيرة فاغتروا بذلك وقبلوا دخول عساكرها فى بلادهم ثم اتفقت كترينا مع بروسيا سرا على مقاسمة بلونيا بينهما فبناء عليه دخلت عساكرها هناك ونصبت من يدعى بونيا توسكى ملكا على بلونيا وفى سنة ١١٧٩ لامت كترينا حاكم كرجستان على دفع الويركو للدولة العلية وعرضت عليه قبول عساكرها فى بلده لمنع العثمانيين عنه فبناء على هذه الخدعة قبل فارسلت الدولة العلية فرقة من عساكر الاناضول لعزل دانيال سلون حاكم كرجستان المذكور وتعيين طهماسب أحد أقربائه

Digitized by Google

بدلا عنه لحفظ بلاده من اغتيال الروسيا وقبل أن يتم ذلك دخلت فيها عساكر الروسيا كما سيأتى وفى سنة ١١٨٠ قطع العربان بجوار مكة المشرفة الطريق على الحجاج فاضطرت الدولة الى ارسال جانب من العساكر هناك مع حرج الحالة وفى هذا العام زلزلت الارض بالاستانة فانهدم كثير من الابنية من ضمنها جامع الفاتح فحصلت مضايقة كبيرة من عدم وجود نقود لاعادة ماتهدم وفى سنة ١١٨١ ثارت أهالى قارص وقتلوا واليهم وكثرت القرصان الاجنبية فى البحر الابيض خصوصا فى مياه قبرص وروودس فاضطرت الدولة الى تشغيل جانب من اسطولها لدفع هذا الصادع وفى هذا الوقت كان أمراء مصر فى شقاق مستمر وكان ذلك من شواغل الدولة وفى سنة ١١٨٢ عصى الجبل الاسود بدسائس الروسيا بواسطة أحد قسيسيها وهجموا على بوسنة فذبحوا العساكر المستحفظين هناك فاضطرت الدولة العلية الى تقسيم عساكرها فى جهات متعددة منها خوتين برفقة الصدر الاعظم حمزة باشا امام عساكر الروسيا المحتلة بلونيا ومما ذكر يرى ان الروسيا فى هذه المدة المديدة كانت تحارب الدولة العليـة بتقويم البلاد عليها بغير اعلان حرب من الطرفين ومساعدتها لهم ثم اشتبكت الحرب بغتة بين عساكر الروسيا وبين عساكر قريم المستحفظين فى بالطة فحرر الصدر الاعظم عقد اتفاق مع الروسيا بتصديق الدول المتفقة مضمونه أن الروسيا تتعهد بسحب عساكرها من بلاد بلونيا وعدم تداخلها فى شؤنها وابقائها دولة مستقلة كما كانت فامتنعت الروسيا من التوقيع على عقد الاتفاق حالة كونها كانت تظهر انها لاتتداخل فى أمر بلونيا فغضب الصدر الاعظم وسجن سفير الروسيا فى يدى قله وأعلن الحرب من قبل التجهيزات الحربية الكافيـة وقيل ان ذلك كان فى سنة ١١٨٣ ثم اشتبكت الحرب بجوار قلعة خوتين فقتل كثير من عساكر الاعداء ثم طاف نهر طورله فتشتتت عساكر الدولة واستولت الاعداء على القلعة وكذلك بخيانة الافلاقيين والبغدانيين استولت الاعداء على بلادهم هذا ما كان من هذه الفرقة وأما الفرقتان الموجودتان فى حدود كرجستان وبلاد القبارطاى فانهما

Digitized by Google

عجزتا عن استدامة المقاومة فاستولت الاعداء على تلك الجهات لان الدولة العلية كانت مضطرة لتفريق جيشها فى سائر الحدود ومحاربة العصاة فى جهات متعددة كما تقدم وفى سنة ١١٨٤ تعرض الاميرال الكونت أورلوف مع عصاة مورا الى قلعتها فانتصرت عساكر الدولة عليهم وقتلوا الكثيرين منهم لكن جاءت سفن الروسيا من بحر بالطق ومرت على جبل طارق فاحرقت سفن الدولة بجوار جشمة فاظهر المسيحيون فى أزمير السرور من حرق سفن الدولة فاغتاظ بعض المسلمين وقتلوا بعضا منهم فى سواحل أزمير أما من جهة الشمال فقد وقعت حرب هائلة ولسوء نظام العسكر تشتتت واستولت الاعداء على قلاع اسماعيل وكلى وبندرواق كيرمان وابرائيل وفى سنة ١١٨٥ وصلت دونانمة الروسيا الى جزائر لمنى وبوزجة فاهتمت الدولة بتقوية استحكامات بوغاز البحر الابيض (الدردنيل) ثم ان حسن باشا الغازى القبودان أظهر همة عالية فى طرد سفن الروسيا من البحر الابيض وأعقب ذلك ان الروسيا طلبت الصلح وترك الحرب على شرط ان يكون بينهما بدون مدخل الدول المتفقة فاخذت الدولة هذا الطلب فرصة لتفريق أوستريا وألمانيا عنها لتجمع عساكرها جميعا فى وجهها فنجحت مبدئيا ووعدت بلزومها الحياد فلما أرادت الدولة اتمام هذا المشروع أسرعت كترينا بعرض تقسيم بلونيا بينها وبين أوستريا وألمانيا وبروسيا فقبلوا وفى أثناء ذلك عصى بعض اليكيجريين فاستولت الروسيا على بلاد قريم ونصبت عليها خانا جديدا من قبلها فهاجر الكثيرون منها الى الاناضول ولما تم تقسيم بلونيا فى سنة ١١٨٦ بين الثلاث دول أرادت الدولة جمع بعض عساكر امدادا لاجبار الروسيا على صلح شريف فما كان من اليكيجريين الا انهم عصوا عن الحرب ولم تنفعهم نصائح الوزراء ولا الامراء وفى سنة ١١٨٧ انتصرت فرقة عثمانية بجوار روسجق فلما انتشر خبر عصيان العساكر اضطربت أحوال الدولة فعزم السلطان على النفير العام وأراد الذهاب بنفسه الى الجيش الموجود فى نهر الطونة واذا بالاجل المحتوم أتاه رحمه الله تعالى رحمة واسعة ومن مآثره بناء الجامعين

Digitized by Google

لالى وجامع ايازمه ولم يكن له من الاولاد سوى السلطان سليم الثالث

﴿ أسماء معاصرى السلطان مصطفى الثالث من الامراء والملوك وجهاتهم ﴾

روسيا..... بترو ثم بعد خلعه وقتله زوجتـه كترينا من فاميلية هولتين فوتورب

أوستريا ..... فرانسو الاول ثم جوزيف الثانى

ألمانيا وبروسيا . فردريك الاول من فاميلية هوهنجولار

فرنسا ..... لوى الخامس عشر

انكلترا ..... جورج الثانى ثم جورج الثالث

اسبانيا ..... شارل الثالث

برتغال..... جوزيف الاول

اسوج ..... كوستاو الثالث

بلونيا ..... بوميا أونونياتوسكى (وفى مدته تقسمت بلونيا كما تقدم)

نابولى وسجليا . فرديناندو الرابع

---

٢٧ السلطان عبد الحميد خان الاول

ولد المشار اليه سنة ١١٣٨ وجلس سنة ١١٨٧ ومدة سلطنته ١٦ سنة ولم يصرف العطايا المعتادة لعدم وجود نقـدية بالخزينة فاجتهـد هو ووزراؤه فى الحصول على الصلح لكن لما رأت كترينا من اليكيجريين الشـقاق والامتناع عن الحرب مع مصادفة وفاة السلطان مصطفى توهمت انها تستولى على الاستانة فامتنعت عن الصلح واهتمت بتقوية جيشها وفى سنة ١١٨٨ اجتهد الوزراء والضـباط فى تحريض العسكر على الحرب ولو دفعة واحـدة ليتم الصلح لكون الاعـداء يريدون أخذ الاسـتانة وتكلموا بالمواعظ الحماسية والنصائح الدينية

Digitized by Google

فوقعت الحرب بقرب نهر الطونة فاضطرت العساكر الروسية الى الانسحاب ثم ظهر فى الجيش من الشقاق والنفاق مالا يوصف ثم ان كترينا تيقنت عدم امكانها الاستيلاء على الاستانة من الواقعة الاخيرة فقبلت الدخول فى الصلح والسبب الاعظم فى قبولها الصلح مسألة أخرى وهى ان الدولة العلية كانت أرسلت فى أوائل هذا العام دولة كراى خان الرابع خان قريم والحاج على باشا جانيكلى الى طمان لجلب قبائل النوغاى وأقوام الشراكسة لاستخلاص قريم من يد الروسيا فقاما بهذه المأمورية أحسن قيام وجمعا كثيرا من هؤلاء الاقوام وانضم اليهم أهالى قريم فانتقموا من الاعداء وانتصروا عليهم مرارا متوالية وبالاسف لعدم معاونة الدولة جيدا بما حصل من انتصاراتهما المتوالية وعدم قيام اليكيجريين بواجباتهم الحربية أسرعت الدولة بالصلح المسمى بمعاهدة قينارجة باسم الجهة التى حصلت بها المعاهدة وكان مضرا بها جدا حيث كان من جملة استقلال قريم ومن المعلوم أن الاستقلال هو من موجبات الضياع وقد حصل كما سيأتى ومن المصائب الكبرى ان أمراء بلاد المسلمين المتازة والمستقلة لايتعظون بما يشاهدونه من الوقائع الماضية الموجبة لضياع بلادهم حيث ان واقعة قريم كانت كافية لان تكون موعظة للجزائر وتونس وأمثالهما وانما يتذكر أولو الالباب وكان من ضمن الصلح ترك قلاع أذان وتيفلن وقليرون ويكى قلعة وكرش والجهات الكائنة فى نهرى تن وداوزى ثم بعد اتمام هذا الصلح عاد محمد باشا ابن محسن الصدر الاعظم بالجيش ولما وصل الى قرين أياد مات رحمة الله تعالى عليه وأحضرت جنازته للاستانة ودفن بالقرب من أبى أيوب الانصارى رضى الله تعالى عنه وعين بدله للصدارة العظمى محمد باشا عزت وفى سابع ذى الحجه مات شيخ الاسلام مصطفى أفندى ابن الدرى وكذا مات شيخ الاسلام الاسبق محمد سعيد أفندى ومن مضرات هذا الصلح خلاف ما ذكر أن كرجستان تركت للروسيا مرور سفنها التجارية بالحرية التامة بالبحر الاسود واعطاء بعض امتيازات لبلاد افلاق وبغدان تحت حماية

الروسيا وفى ســـنة ١١٨٩ اهتمت الدولة بالاصلاحات الداخلية وقطع دابر الفساد الذى كان عم البـــلاد فارسلت برا وبحرا العساكر الى عكة ومنها الى الشام ومصر لاصلاحهما وتاديب الامراء المصريين وفى هـذا العام جاء بعض أمراء قريم الى الاستانة فضيفتهم الدولة فى سراية طوله بغجه وقد عزل الصدر الاعظم بسبب ما حصل بينـــه وبين شيخ الاســـلام من الضغائن ومن أفعال اسماعيل چلبى صهر الصدر الاعظم وعين بدله محمدأغا درويش كتخداى الصدر العالى وأنعم عليه برتبة الوزارة وبعد اثنين وعشرين يوما عزل شيخ الاسلام وعين بدله محمد أفندى أمين ابن صالح وفى هذا العام ظلم وغدر حاكم بايندر الذى هو عوض محمـد أغا وعجز الولاة عن تاديبـــه فعينت الدولة القبودان حسن باشا الغازى فظفـر به وبأعوانه فى قرب أكرى دره فأعـــدم وفى سنة ١١٩٠ استفحل أمر عبـد الكريم خان وكيل ممالك الايران فى جهـة شيراز بعد زوال سلطنة طهما سب ونادر قولى خان كما تقدم فطالت يده على جهة بغداد وبصره فارسلت الدولة اليه أربعين ألفا ليتحدوا مع بيكوات العشائر مثل عشيرة قره كجيلو وميروس مما هو أكثر من خمسة عشر بيكا وعشيرة ثم عزل الصدر الاعظم وعين بدله محمد باشا درندلى وفى سـنة ١١٩١ ظهر ان حركة ايران من دسائس الروسيا حيث انه لما اشتبكت الحرب بين الدولة وبين ايران طلبت الروسـيا طلبات نقضا للعهد وفى سـنة ١١٩٢ توالت انكسارات الايرانيين واشتدت طلبات الروسيا فارسلت الدولة مذكرات لسفراء الدول بتبيان حقوقها وفساد طلبات كترينا ثم أرسلت من باب الاحتياط خمس سـفن حربية الى قريم وعزل الصـدر الاعظم وعين بدله محمد أغا أغا اليكيجريين وأنعم عليه برتبـة الوزارة ثم ان الروسـيا دست الدسائس فى مورة فثارت الاروام فارسلت الدولة فى سنة ١١٩٣ القبودان حسن باشا الغازى فشتت شمل العصاة ثم أن الروسيا قدمت طلبات بخصوص القريم والافلاق وبغدان لايمكن قبولها فعزل الصدر الاعظم وعين بدله السيد محمد باشا السلحدار وفى سـنة ١١٩٤

Digitized by Google

أباد سليمان باشا والى بغداد وبصره أكثر من خمس وعشرين ألفا من عربان وطوائف الاشقياء المتقدم ذكرهم وأرسل رؤس أكثر رؤسائهم الى الاستانة وفى أثناء ذلك طلبت الروسيا قنصلين لها فى أفلاق وبغدان فلم تقبل الدولة بل قبلت قنصلا فى سلستره فقط وفى سنة ١١٩٥ مات السيد محمد باشا الصدر الاعظم وعين بدله محمد باشا عزت الصدر الاعظم الاسبق وأعقب ذلك استفحال شرور الروسيا فى ظلم بعض طوائف المسلمين الذين صاروا تحت يدها من جهة والافساد بين أمراء قريم من جهة أخرى حتى عزلت دولة كراى خان قريم نقضا للمعاهدة وعينت بدله شاهين كراى فلم يقبل الاهالى ذلك فبناء على هذه الوسيلة الفاسدة ساقت عساكرها فى الحال الى قريم وفى سنة ١١٩٦ احتلتها أما شاهين كراى صنيع الروسيا فانه هرب الى جهة طمان فاتخذت الروسيا هروبه اهانة لها فقتلت الكثيرين من عائلة الخان والوفا من أعيان المسلمين فيها أما شاهين كراى فانه ندم على انقياده للروسيا أولا فالتجأ الى جزيرة رودس فقطع الاهالى رأسه وفى سنة ١١٩٧ اتحدت كترينا مع امبراطور ألمانيا يوسف الثانى وطلبا من الدولة تغيير الحدود وفى سنة ١١٩٨ ردت الدولة هذه الطلبات واهتمت بالتجهيزات الحربية وفى سنة ١١٩٩ اشتد الخلاف وأعلن المتفقان بنقض العهد واعلان الحرب وانضم اليهما أوستريا فاهتم رجال الدولة بايجاد طرق للاتفاق مع احدى الدول فلم يجدوا غير أسوج نظرا لما سبق من استيلاء الروسيا على أغلب بلادها كما تقدم وفى سنة ١٢٠٠ ذهب القبودان حسن باشا الغازى الى بحر أوزى وسد بوغازه ثم هجم على قلعة قلبرون فدمرها أما الجيش الروسى فانه عبر نهر الطونة وكذلك جيش أوستريا هجم فى الحدود الغربية الشمالية فاضطرت الدولة الى تقسيم جيشها قسمين أما القسم الذى أمام جيش أوستريا فانه انتصر انتصارا باهرا واذا بامداد من جيش روسى أتاه واستولى على قلعة خوتين وفى سنة ١٢٠١ حاصر جيش المتفقين قلعة أوزى فلعدم متانة استحكاماتها استولوا عليها وقتلوا خمسا وعشرين ألفا ذبحا وكان جيش الاعداء ثمانين

الاتفاق ٤٦

ألفا وفى سنة ١٢٠٢ اجتهد يوسف باشا الصدر الاعظم فى تعليم الاوجاقيين ورجالهم الفنون الحربيـة ولكنهم عصوا وفى سـنة ١٢٠٣ اغتم السلطان عبد الحميد الاول من هذه الحالة فمرض وبعد قليل مات بالغا من العمر ٦٦ سنة رحمه الله رحمة واسعة بمنه وكرمه وله من الاولاد مصطفى الرابع ومحمود الثانى

﴿أسماء معاصرى السلطان عبد الحميد الاول من الامراء والملوك وجهاتهم﴾

فرنسا ..... لوى السادس عشر من فاميلية بوربون
الروسيا ..... كترينا الثانية
انجلترا ..... جورج الثالث من فاميلية هانور
اسبانيا ..... شارل الرابع من فاميلية بوربون
البرتغال ..... بدرو الثانى من فاميلية براقانس ثم مارية
أسوج ..... كوستاو الثالث
بروسيا ..... فره دريك
دانيمرك ونوروج قرستيان الرابع من فاميلية أوندن بورغ
أوستريا ..... جوزيف الثانى
نابولى وسجليه .. فردناندو الرابع من فاميلية بوربون
فلندك ..... كيلوم الخامس
ساردنيا ..... أمه ده الثانى
الصين ..... هيوان جونغ
الهند ..... دارشكوه الثانى

Digitized by Google

٢٨ السلطان سليم خان الثالث

﴿ابن السلطان مصطفى الثالث﴾

ولد المشار اليه سنة ١١٧٥ وجلس فى ثانى عشر رجب سنة ١٢٠٣ الموافق سنة ١٧٨٨ ميلادية بالغا من العمر ثمانيا وعشرين سنة ومدّة سلطنته تسع عشرة سنة وكسور وكان غيورا على المملكة فطينا نبيها متيقظا فاستبشر الناس بتوليته وقد تقدّم ان الحرب لم تزل على قدم وساق وان اليكيجريين عصوا يوسف باشا الصدر الاعظم فاجتهد السلطان فى التجهيزات الحربية وعزم على الذهاب بنفسه الى الحرب لاعادة سطوة الدولة كما كانت فلم ترض الوزراء ولا الوكلاء بذهابه ونصحوه بان الجيش غير مأمون الثبات ثم تسببوا فى عزل القبودان حسن باشا الغازى الذى كان من أعظم رجال زمنه وعين بدله حسين باشا الكريدلى فقام بالدوناغة فى شهر القعدة من هذه السنة فى البحر الاسود بخمس عشرة سفينة حربية صغار الحجم وبوصوله الى قرب قلعة (أوزى) كمن بالمراكب وأرسل المركب المسمى قانجه باش الى قريب القلعة خدعة لاخراج مراكب الروسيا من المينا فانخدعوا وأسرعوا بمطاردة هذه السفينة بفرقتين وبجملة سفن حربية صغار الحجم وكثير من العساكر البحرية فلما قربوا من الكمين اشتبكت الحرب فلم ينج من سفن الاعداء الا القليل ولاشتداد البرد عاد الى الاستانة أما من جهة البر فان يوسف باشا الصدر الاعظم أرسل أربعة آلاف عسكرى أمام جهة قلاصة من ملحقات بغدان فاشتدت الحرب وكانت تلفيات العدو كثيرة لكثرته وكانت النتيجة احراق بلدة قلاصة وما حولها بمعرفة الروسيين وانسحابهم وما بقى من الاربعة آلاف عاد الى الصدر الاعظم هذا ومن جهة أخرى فان أربعة آلاف بيادة وخمسة آلاف سوارى انتصروا فى اجوت على عساكر أوستريا وفى شهر شوّال من السنة الحالية عرضت دولة أسوج على الدولة الاتفاق بشرط أن الدولة العلية تدفع لها عشرين ألف كيس فوقعتا على المعاهدة بذلك وفى أثناء ذلك عزل

Digitized by Google

يوسف باشا الصدر الاعظم وعين بدله حسن باشا سر عسكر ودين ثم حصلت موقعة حربية بين عشرين ألفا عثمانيين بقيادة عثمان باشا الكرد وبين فرقة من عساكر الروسيا وأوستريا وكانت النتيجة انتصار الاعداء بضياع مهمات حربية وكان ذلك من سوء تدبير الباشا المذكور وفى سنة ١٢٠٤ أرسل حسن باشا السردار ستين ألفا بقيادة مصطفى باشا كمانكش الى محل يسمى بوزاوه للانتقام من الاعداء وأخذ ثار عثمان باشا المتقدم ذكره وهو على أثرهم فوقعت الحرب بشدة ومن سوء التدبيرات الحربية وعدم الاحتياطات تغلبت عساكر الدولتين وفى الثالث من المحرم سنة ١٢٠٤ اشتبكت الحرب بين حسن باشا الغازى القبودان السابق سر عسكر جهات اسماعيل وبين الجنرال بوتمكين الروسى الشهير بعساكره الكلية فانتصر حسن باشا الغازى انتصارا فائقا على انتصاراتهما السابقين لكن بالأسف أن الروسيا انتصرت بالاستيلاء على اق كرمان فى جهات أخرى واستولت أوستريا على بلغراد هذا وهذا فى نقطة الصدر الاعظم فبناء عليه عزل وعين بدله حسن باشا الغازى القبودان المشار اليه ولكن للأسف لم يمض قليل من وزارته حتى توفى فى ١٤ رجب سنة ١٢٠٥ بداء الحمى وعين بدله حسن باشا روسجقلى أما دولة أسوج فانها نقضت العهد واصطلحت مع الروسيا وأما من جهة البحر فان السيد على باشا القبودان الجزائرلى انتصر مرارا فى البحر الابيض على الاعداء وفى ٢١ من شهر صفر استولت الروسيا على قلعة كلى وفى ٢٣ منه استولت على سنه وفى ٩ ربيع الاول استولت على طولجى وفى ٢٨ منه على ايساقجى وفى ١٦ ربيع الآخر الموافق ١١ كانون الاول حصلت واقعة مهيلة ويقال أن الدم سال على الارض كالسيل وأخيرا من كثرة عسكر الاعداء استولت الروسيا على قلعة اسماعيل فبناء عليه فى ليلة التاسع من جمادى الآخرة أعدم حسن باشا الروسجقلى الصدر الاعظم وبعد بضع عشرة يوما عين يوسف باشا الصدر الاعظم الاسبق وقيل أن قتل الصدر الاعظم فى غير محله حيث كانت عساكر الاعداء كثيرة جدا وقيل أنه أخطأ فى المناورات والتدبيرات الحربية

Digitized by Google

وفى سنة ١٢٠٦ حصل اختلال عظيم فى داخلية فرنسا وتغيرت سياسة بعض الدول منها أوستريا فأنها رغبت كف الحرب عن الدولة العلية فاتحدت انجلترا وبروسيا معها وتداخلوا فيما بين الدولة العلية والروسيا فى الصلح ومضمونه ترك بلاد قريم وقوبان وبسارابية للروسيا واعادة الباقى للدولة وفى سنة ١٢٠٧ نتج من احتلال فرنسا قتل ملكها وزوجته ومحو الملوكية وتحويلها الى الجمهورية ورئيسها الجنرال نابليون بونابرت الشهير وكان أول سياسته اظهار المودة والتقرب للدولة العلية وتعظيم شأن السلطان سليم فارسل له سفيرا ومعه مهندسون وضباط وطوبجيه ومعلمون ومصابب ومسابك للترسخانة بادوات وآلات كثيرة وبعض مدافع أما السلطان سليم فانه عزم على عمل عظيم وخطر جسيم وهو ترتيب جيش الدولة على نظام جديد وذلك من المحاضر المعمولة من السرداريين والصدور العظام ورؤساء الجيش ومقدار تلك المحاضر لايحصى وكلها متحدة المعنى وهو عدم امكان مقاومة الاعداء بهذا الجيش الفاسد النظام وكان السلاطين السالفون يخشون الدخول فى ذكر هذه المسألة الخطيرة خوفا من اليكيجريين حتى قال يوما الصدر الاعظم للسلطان مصطفى الثالث أفندم أن هذا الجيش لا ينفع فى هذا العصر وضرورى من ايجاد النظام الجديد فاندهش السلطان ونظر يمينا وشمالا هل موجود فى محضره من يفشى هذا القول لليكيجريين ثم قال ان جيشنا عظيم يريد بذلك اخفاء هذا الخبر وغمز الى الصدر الاعظم بالسكوت وبعد هذا المجلس طلب الصدر الاعظم بمفرده وقال له انك قلت قولا عظيما يخشى منه الخطر وأما أنا ففى حيرة من قبل توليتى السلطنة بسنين عديدة فى مسألة اختلال الجيش ولكن خوفا من الخطرات العظيمة أخفى هذا الداء فى جوفى كالقروح ثم سأل يوما أحد رجال الدولة يكيجريا ماذا تقول فى النظام الجديد على قبول الاستفهام باللطافة فكان جوابه أننا ما كفرنا ولن نكفر يريد بذلك التفهيم أن اتخاذ النظام الجديد ضرب من الكفر وحيث ان كلامنا هذا مبنى على الايجاز فتكفى هذه العبارة لتصور الانسان درجة كراهة اليكيجريين للنظام الجديد وخطارة مركز

Digitized by Google

الدولة فى هذه السنين العديدة فاقتحم السلطان سليم معمعة هـذا الخطر وشكل ألايا ببادة على أسلوب النظام الجديد فى لوند چفتلك برئاسة عبد الرحمن باشا انما كان ذلك مكتوما عن الخاص والعام ولزيادة التكتم كانت المصروفات المخصصة لذلك البعض من طرف السلطان والبعض من موارد سرية وفى سـنة ١٢٠٨ حصل من بونابرت مناقشات ومنازعات مع أغلب حكومات أوربا وفى سنة ١٢٠٩ اشتد الخلاف والعـداء بين فرنسا وانجلترا حتى أراد رئيس الجمهورية بونابرت قطع طريق انجلترا على الهند وفى سنة ١٢١٠ اهتم السلطان سليم بالاصلاحات الداخلية وتقوية الحربية برا وبحرا وأنشأ دونانمة عظيمة منتظمة وفى سنة ١٢١١ أمر السلطان بتعليم اليكيجريين الفنون الحربية فى القشلاقات على أسلوب النظام الجديد لكن على غير اسمه خوفا من الفتن والخطرات كما تقدم وفى سنة ١٢١٢ حصل بين البكوات بمصر المعروفين بالمماليك الشقاق وظهر فى نجد الفتن والعصيان من قبيلة الوهابيين حتى دخلوا الحرمين الشريفين وقتلوا ألوفا عديدة من المسلمين وقطعوا طريق الحج حتى منعوا تاديته وكذلك عصى على باشا دبه دلنلى فى البانيا وحرك أهالى مورة بالعصيان وفى سنة ١٢١٣ ذهب بونابارت الى مصر بعساكر كلية وكتب جوابا لاهالى مصر والعلماء مضمونه أنه آت لتأديب المماليك وأنه مؤمن بالله ورسوله وصديق للسلطان سليم الى آخره فوقع بينه وبين المماليك محاربات ومناوشات عديدة ولتفرق كلمتهم وسوء نظامهم انهزموا فى أواخر كل الوقائع حتى احتلت عساكر فرنسا القاهـرة فلما بلغ ذلك السلطان سليم اندهش وغضب فى آن واحد أما اندهاشه فمن تكرار اظهار بونا بارت الاخلاص والمودة له وبتشيره بجواباته عقب كل انتصار قبل أن يصـل اليه الخبر بالوقائع الفرنساوية وتعظيم السلطان بجوابات معنونة بوكيل محمد رسول الله صلى الله عليـه وسلم بهـذه الالفاظ تماما وأما غضبه فلدخول العساكر الاجنبية فى بلاده ثم أرسل يوسف باشا الصدر الاعظم الى الشام ومنها الى مصر بعساكر برا وبعد وقائع حربية انتصر يوسف باشا على الفرنساويين حتى طلبوا الصلح فاصطلحوا على شرط أن يعطى

Digitized by Google

ميعادا احدى و أربعين يوما لجمع عساكره والجلاء عن مصر بشرط أنه لا يحصل اهانة ولا استهزاء من أهالى مصر لهم فبناء على هـذا الاتفاق أخذ يوسف باشا أغلب العساكر الى الشام وبقى هو بشرذمة قليلة فلما اجتمعت عساكرهم واستعدوا للقتال أرسل قائدهم بلاغا للصدر الاعظم يقول فيه أنكم خالفتم شروط الصلح حيث أن أهالى مصر أهانوا عساكرنا مرارا عديدة كما قدمنا لكم الشكوى فى أوقاتها فلذا لا نخرج من مصر لتأديب من استهزؤا بنا وبالفعل هجم على مصر فدافع الصدر الاعظم بشرذمته القليلة باعانة من بعض الاهالى فلم يقدر على مقاومة الجيش لكثرته عددا وعددا فعاد الى الشام ودخل الفرنساويون مصر

الاتفاق ٤٧ وفى سنة ١٢١٤ خان حكام أفلاق وبغدان الدولة العلية واتحدوا مع الروسيا فعزلتهم الدولة فاخذت الروسيا هذه المسألة وسيلة وفرصة لاحتلالها المملكتين المذكورتين فغضب السلطان وأمر بمحاربة الروسيين هناك وترك الفرنساويين بمصر موقتا وفى سنة ١٢١٥ حصلت مناوشات ومحاربات كانت فى الغالب سجالا وفى سنة ١٢١٦ تداخلت انجلترا بين الروسيا وبين الدولة فأقنعتها الروسيا بترك الدولة العلية موقتا واتحادهما معها لمحو فرنسا فقبلت وسحبت عساكرها واتفق الثلاث ثم أرسل السلطان يوسف باشا الصدر الاعظم الى مصر بجيش من طريق الشام وكذلك أرسلت انجلترا فرقة من جيش ببعض مراكب حربية الى مصر للاتحاد مع الصدر الاعظم بناء على الاتفاق المذكور فانتصر الصدر الاعظم برا وانجلترا بحرا على الفرنساويين وأجلوهم عن مصر ولمعلومية هذه الوقائع لاخواننا المصريين من التواريخ العربية وفى مقدمتها تاريخ الجبرتى اكتفينا بما ذكر وبعد ذلك أسرع بونا باوت بمصالحة السلطان سليم فقبل منه السلطان لكن لما كانت أغراض انكلترا موجهة الى محو فرنسا

الاتفاق ٤٨ كما تقدم غضبت هى والروسيا على السلطان سليم واتحدتا عليه فهجمت الروسيا على بلاد الدولة برا وبحرا وأما انجلترا فانها أدخلت مراكبها فى بوغاز الاستانة وطلبت من السلطان تسليم استحكامات جناق قلعة أى بوغاز الدردنيل

Digitized by Google

ودونانمـة الدولة اليها وتسليم بلاد افلاق وبغدان للروسـيا وان يتفق معهما على محاربة فرنسا والا تضرب الاسـتانة بمدافع السفن فحصـل اضطراب فى السراية السلطانيـة لطائفة النساء والخـدم وأما السلطان سليم فانه كان ثابت الجاش فلما وصلت هـذه المذكرة للباب العالى ذهب رئيس الكتاب الذى هو بمثابة ناظر الخارجية فى عصرنا هذا الى سبستيان سفير فرنسا بالاستانة وأخبره بذلك وقال له أن هذه العداوة من هاتين الدولتين ماهى الا بسببكم فقال له السـفير أن خوفكم من هـــذه المراكب لا يليق بالدولة وعظمتها القديمـة لان هـذه السفن لاتضرب الاستانة ولو سلمنا جدلا أنها تضربها فتأثير ضربا تها كتأثير بعض الحرائق التى تحصل بالاستانة فى كل سـنة ومع ذلك يلزم تركيب المدافع على طوابى البوغاز وها أنا أرسل المهندسين من طرفى أما السلطان سليم فانه عقـد مجلسا وطلب من أعضائه ابداء آرائهم وبعد قال وقيل وتشعب الاراء حيث ان بعضهم قال اننا نقبل الطلبات بعد تحويرها رجع السلطان القول الاخير وقال أن الثبات يلزم والعمل ألزم فأمر فى الحال بتركيب المدافع بالطوابى ليلا وعدم اظهار شئ من ذلك نهارا فاجتهدوا فى ذلك وذهب سفير فرنسا بنفسه بمن معه لمباشرة هذه الاعمـال وبعـد ثلاثة أيام طلب الاميرال الانجليزى بالحاح وشدة المجاوبة عن طلباته فاتخذ السلطان سليم التسويف مسلكا حتى تم تنظيم الاستحكامات ثم أرسل للاميرال الانجليزى خبرا بصفة مجاوبة عن طلباته مضمونه أن الدولتين كانتا فى سلام ومراكبكم كانت على باب بوغاز الاستانة فدخولك فى البوغاز بغتة وتهديد الاستانة بالضرب وطلب تسليم استحكاماتنا ودونانمتنا لكم مغاير للانسانية فلذا لاأجاوب مالم تخرج بسفنك من البوغاز فلما رأى الاميرال تغيير الاحوال وكثرة المدافع فى برى البوغاز انسحب بسفنه من أمام الاستانة ولما وصل بها الى چناق قلعة ضربت مدافع الاستحكامات سفنه فاغرقت منها سفينتين بستمائة واربعون نفسا

الاتفاق ٤٩ وفى سنة ١٢١٧ أو سنة ١٢١٨ اتحدت دونانمة انجلتره والروسيا فاحرقتا سفن الدولة التى كانت راسية فى أوارون وفى سنة ١٢١٩ أرسلت الدولة دونانمتها

الى بوغاز الدردنيل واشتبكت الحرب مع الدونانمة الروسية التي أتت لسد البوغاز وبعد قتال انسحبت سفن الروسيا أما سفن انكلتره فانها ذهبت الى سواحل الشام واسكندرية واستولت على الاخيرة وفى سنة ١٢٢٠ وقعت حرب بينها وبين العساكر المصريين فى رشيد وقيل كان ذلك سنة ١٢٢١ فانتصر المصريون عليها وذهب محمد على باشا واليها الى هناك ثم انسحب الانكليز منها ومن اسكندرية ولمعلومية هذه الوقائع من التواريخ العربية اقتصرنا عن التطويل فى ذكر تفاصيلها (تنبيـــه) وقائع البضع سنوات الماضية ذكرت فى بعض التواريخ على وجه مخالف فى التقديم والتأخير والمقصود بالذات هو معلوميـة الوقائع ليس الا وقد تقدم أن السلطان سليم شكل ألايا على النظام الجديد فى لوند جفتكك وفى وقت قريب بلغ ثمانيـة آلاف نفر ثم شكل أيضا ألايا فى اسكدار وكان ذلك مكتوما عن اليكيجريين حسب الامكان فلما اشتدت الحرب بين الدولة والروسيا أمر السلطان سليم بارسال عساكر النظام الجديد الى مواقع الحرب فذهب بهم عبد الرحمن باشا فانتصروا على ضعفيهم من فرق الروسيا مرارا ولما بلغ ذلك السلطان سليم فرح جدا واهتم فى زيادتهم لكن للاسف لما أشيع هذا الخبر بين اليكيجريين انبعثت فيهم روح الغيرة والحسد وحصل بينهم قال وقيل وفى سنة ١٢٢٢ أشتدت القلائل منهم فارسل السلطان للسردار جوابا مضمونه انه أشيع حصول الغيرة فى اليكيجريين من النظام الجديد فكيف يتصور ذلك حيث أنهم خواص رجال الدولة والفضل لهم فى رفعة شأنها أما النظام الجديد فما هو الا فريق من الامة بتعليم مخصوص فى فن الحرب لاستعانة الجيش به على مقاومة الاعداء الكثيرة الغالبين فى أكثر الوقائع الحربيـة منذ أكثر من قرن حتى سلخوا من أملاك الدولة بلادا وقلاعا غير قليلة فلعدم حصول أدنى وساوس بين أخص أولادنا اليكيجريين يلزم تفهيمهم ذلك فلم يثمر هذا لدى الاشقياء منهم بشئ بل زادوا طغيانا وتمردوا ولقد كان أساس هذه الارتباكات الدسائس الاجنبية وقد قلنا فى أول هـذا الكتاب أن أصـل كل بلاء هو اشتغال الناس

Digitized by Google

بلغو القول وفارغ الكلام بلا تروّ ولا تعقل اما من الدسائس الاجنبية فان المسيو سبستيان سفير فرنسا قال فى أثناء وجود سفن انكلترا أمام الاستانة لحسين أغا البهلوان أغا اليكيجريين ان حضور هذه السفن هو بناء على طلب من بعض رجال الدولة الميالين الى الانكليز فلجهل الاغا المذكور اعتقد صحة ذلك وصار يقول فى المواقع العسكرية أن الانكليز والمسكوفنيا وأن سلطاننا الاعظم يتعب فى غير جدوى وان هؤلاء الخائنين بعد أن يسلموا الاستانة للاعداء يكونون ملوكا يقرع بذلك أصحاب الكلمة المقربين للسلطان وصار يكرر ذلك علنا فلما بلغ ذلك رجال سفارة الانكليز قيل أن بعضهم قال للاغا المشار اليه أن حضورنا بالسفن للاستانة هو بدعوة من بعض رجال الدولة وأن سفن الروسيا كادت أن تأتى من البحر الاسود الى الاستانة وبعد اجتماعها بسفننا يصير رفع اليكيجريين واقامة العسكر النظام الجديد بدلهم لكن من حسن حظهم لم يتم ذلك فما كان من الاغا المذكور الا أنه اشتعل لهيب الغيظ فى فؤاده حتى عم ذلك جميع اليكيجريين وأما السلطان سليم فانه كان حليما سليما ذا مروءة شفوقا ميالا للصفح والعفو وكان لا يكتم شيئا عن رجاله فنتج من هذه الاقوال الفارغة خلعه ثم قتله وقتل الكثيرين من الاكابر على ما يأتى ومصيبة الدولة من لغو النظام الجديد فلذا أكرر القول بانه اذا فشى الكلام الفارغ فى الامم يكون سببا لكثرة مصائبها فمنعهم من ذلك يكون من حسن السياسة ثم أنه زاد غيظ اليكيجريين وصاروا يحقرون عساكر النظام الجديد ويرمونهم بالكفر ومن سوء طالع ذلك الوقت ان موسى باشا الكوسه قائم مقام الصدارة العظمى والشيخ عطا الله الاعرج شيخ الاسلام كانا يكرهان النظام الجديد ويكتمان ذلك عن السلطان سليم ويخبران الاشقياء باسراره ويخبرانه باخبارهم بخلاف الواقع حسبما يوافق سياستهما خصوصا موسى باشا الملازم للسلاطين بمقتضى منصبه وكان هذا الباشا يقول لليكيجريين هل يجوز اختلاطكم بمن دخلوا فى زى الافرنج وخرجوا عن دينهم يعنى بذلك عساكر النظام الجديد فاشتعلت نار الحماقة

والغيظ فيهم فاجتمعوا فى آت ميدان بزعامة من يقال له (قباقجى) فاختبأ أهل الحشمة والادب فى بيوتهم وقفل التجار دكاكينهم وأرسل الاشقياء المنادين بتعليمات الكبراء مثل موسى باشا وقالوا فى مناداتهم لايتأخر أحد عن أشغاله ولا يحصل منا ضرر لاحد انما قيامنا هو لراحة عباد الله ونظام الدولة فبناء عليه اطمأن الناس وفتحوا الدكاكين ومن خوف الاشقياء من عساكر النظام الجديد حيث كان موجودا منهم فى جهات اسكدار نحو ثلاثة آلاف تجمعوا بكثرة وفى الواقع لو ساعدت المقادير السلطان وأحضر عساكر النظام الجديد لحراسته لهابه الاشقياء وتفرقوا ولكن ماقدر يكون ثم أنهم أرسلوا للسلطان يطلبون منه (ابراهيم أفندى نسيم الكتخداى والحاج ابراهيم أفندى ناظر البحرية ومميش أفندى كتخداى ركاب الهمايون وأحمد أفندى صفى وكيل رئيس الكتاب أى ناظر الخارجية وأحمد بك دفتردار الايراد الجديد (١) وأبا بكر أفندى أمين الضربخانة ويوسف أغا كتخداى والدة السلطان وأحمد أفندى كاتب السر من رجال أندرون (٢) الهمايون وأحمد بك مابينجى وشاكر بك البوستانجى باشى ولطف الله أفندى من المدرسين) مع لغو النظام الجديد فعرض موسى باشا هذا وهذا على السلطان فلغا النظام الجديد على أمل اكتفاء الحال بذلك ونادى المنادى فى الاستانة بما ذكر فما كان من موسى باشا الا انه عرض على السلطان ثانيا انه غير ممكن تفرق الاشقياء الا باعدام من ذكروهم فحزن السلطان لذلك حزنا عظيما حيث كان يحبهم مثل نفسه ثم قال لموسى باشا ان ابراهيم أفندى الكتخداى والحاج ابراهيم أفندى وأحمد أفندى كاتب السر بينى وبينهم العهد فاصرف نظرا عنهم وخلص مايمكنك خلاصه من الباقين وأمر من بقى الى الله تعالى فما صدق موسى باشا بسماعه هذا القول الا وحجز مميش أفندى وأحمد أفندى صفى وبكر أفندى وخنقهم فى الباب العالى وشاكر بك فى سراى الهمايون وأرسل رؤسهم الى الاشقياء وكان غرضه الوحيد

(١) الايراد الجديد هو الواردات المعدة لمصروفات النظام الجديد
(٢) اسم لخدمة السراية السلطانية ومعية السلطان

Digitized by Google

هو اعدام ابراهيم أفنـدى الكتخداى فارسل وراءه جواسيس فعرفوه انه يريد الاختفاء فاخبر الاشقياء فلحقوه وقبضوا عليه وبكل احتقار واهانة أحضروه الى آت ميـدان فتبعه على أغا أحد أتباعه وقال لهم أيها الاخوة والرفقاء لاتقتـلوا سيدى واقتـلونى بدله وتحضن بسيده وقاية له وكان العهد والميثاق بين الاشقياء انهم لا يقتلون أحدا ولا يمسون بسوء غير هؤلاء الاحد عشر شخصا فاجتهدوا فى تفرقه عن سيده ولما لم يتفرّق قتلوهما بالخناجر والسيوف فوقع من ابراهيم أفندى الكتخداى كيس مملوء بالجواهر النفيسة و بعض دنانير فاخذوه وسلموه لموسى باشا من غير أن يأخذوا منه شيأ لوضعه فى بيت المال كالاصول المتبعة فى ذلك الوقت فلم يضعه فى بيت المال بل أخذه لنفسه و بهـذا تعلم درجة سفاهته وخيانته ثم انه لما تحصل الاشقياء على أغراضهم من قتل من ذكر والغاء النظام الجديد قالوا اننا نريد المحافظة على السلطان مصطفى الرابـع والسلطان محمود الثانى أولاد جنتمكان السلطان عبد الحميد الاول حيث لم يبق من سلالة آل عثمان غيرهما و بعرضهم ذلك على السلطان سليم قال لاباس من حضور أحد الاوجاقيين مع أحد العلماء العظام الى السراية ليحفظاهما لكن استنكف العلماء العظام ذلك عدا محمد أفندى حافظ الدرويش إمام السلطان فانه قبل وحضر مع من يدعى عثمان أغا رئيس السكبانيين (١) الأسبق الى السراية و بعـد ذلك أرسل السلطان سليم جوابا بخط يده للباب العالى معناه (انى لم يكن لى ذرية وأما مصطفى ومحمود أولاد عمى فانهما أولادى ولم يكن لهما أحـد أولى بهما منى فاذا أنا معاذ الله قصدت لهما سوءا أكون سببا لانقراض ذرية آل بيتنا واضمحلال الدولة فهل يدخل هذا فى مخيلة المجانين فضلا عن العقلاء فلا يرينا الله ذلك أبدا وأطال الله عمرهما) فلما قرئ هـذا فى الباب العالى بكى العلماء الموجودون هناك ثم انه فى ثانى يوم الذى هو يوم الجمعة ٢١ ربيع الاول من سـنة ١٢٢٢ وقت الصـباح اجتمع أرباب الدولة مع شـيخ الاسـلام بوجود عارف أغا سكبان باشى للمشاورة

(١) نوع من العسكر

Digitized by Google

فقرروا أن المسألة انتهت بالغاء النظام الجديد وقتل من قتل فيلزم فض هذه الجمعية وكل انسان يلتفت لما هو مطلوب منه مع اعطاء الخلع والبخاشيش لذويهم فقال شيخ الاسلام عطاء الله الاعرج يلزم سؤالهم أى الاشقياء هل بقى لهم شئ من الطلبات فذهب بعض الحاضرين للاستفهام منهم فلما سمعوا هذا القول دخلوا فى ميدان المشاورة والجدال ثم قام فريق منهم منفعلا وذهب الى شيخ الاسلام المذكور وقال له ان السلطان سليم غير مستقل الرأى وسلم زمام الدولة للناس من الظلمة وهم يظلمون الاهالى فوافقه على ذلك بعض الحاضرين وطلبوا الفتوى من شيخ الاسلام بخلعه فافتاهم به وأما باقى الحاضرين منهم مصطفى بك عزت وحفيد أفندى ومنيب أفندى ومراد زاده أفندى عارضوا فى الخلع وأوسعوا المباحث معهم وطلبوا أشياء معينة يترتب عليها الخلع وقالوا ان السلطان أجابكم بكل طلباتكم فاتركوا مسألة الخلع فوافق على ذلك من العصاة مصطفى أغا قزغانجى وأراد اقناع رفقائه فما كان من بابوردلى من رفقاء القباقجى الا أنه قال ما معناه انه دخلت النفسانية فيما بين السلطان وعبيده وبعد الآن لا يقدر أن يكون علينا سلطانا ولا نقدر على القيام بعبوديته فالأوفق أن تعمل رابطة متينة لهذه المسألة فبينما هم فى هذه المحاورة واذا بالعساكر المجموعة فى آت ميدان قد قرؤا الفاتحة على اجلاس السلطان مصطفى فبوصول هذا الخبر لمجلس شيخ الاسلام قال ماذا نعمل فقال له العصاة ان حضرتكم والعلماء تذهبون لاجلاسه فقال لهم أنا لا أذهب وحدى وأريد عسكرا فقالوا له يكفى خمسمائة نفر قال لا يكفى فقالوا له نحن الآن ألفان ولحين وصولنا للسراية نكون عشرين ألفا فبناء عليه قام شيخ الاسلام بالالفين وأكد عليهم بان لا يدخل فرد واحد من العسكر الى السراية فبناء عليه وضعوا رايتين بالقرب من باب السراية فذهب هو ورفقاؤه الى الباب العالى وهناك قابلهم موسى باشا بكل بشاشة ولطافة وفرح فرحا شديدا فقال شيخ الاسلام لمنيب أفندى اذهب مع سكبان باشى أغا وبعد مقابلة أفندينا السلطان سليم أعرضا عليه ان جميع العبيد يريدون استراحتكم واجلاس

Digitized by Google

أفنـديتنا السلطان مصطفى فقال منيب أفنـدى عافونى تكرما منكم من هذه المأمورية فعرضوا ذلك على حفيد أفندى قاضى عسكر الاناضول فقال على الرأس والعين وقام ومعه الاغا المذكور وذهبا الى السراية فوجداها مغلوقة الابواب فعادا وأخبراهم بذلك فحرروا تذكرة وأرسلوها الى السراية بعنوان أغا دار السعادة ومضمونها أنه لايمكن تفريق هذا الجمع حتى يتم اجلاس السلطان مصطفى للسلطنة فاخـذها الاغا وأعطاها للسلطان سليم فلما قرأها قال ذلك تقـدير العزيز العليم فقام وأحضر تاج السلطنة وسلمه للسلطان مصطفى وأما العسكر فانهم كانوا مشتغلين بتجهيز الالغام لقلع الابواب ظنا منهم عـدم اجابة طلبهم ولا تسل عما حصل من الغوغاء حتى انهم وجدوا أحمد بك مختار المابينجى فقبضوا عليه وقتلوه ثم ذهب شيـخ الاسلام وموسى باشا والعلماء الى السراية وذهب الاولان الى المحـل المعد لانتظارهما وعرض الاول الكيفية على السلطان سليم وقرأ نصف الآية (تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء) فاظهر له السلطان سليم المحبـة والاحترام وفى الحقيقة ما كان يعلم لحد تلك الساعة عداوة الشيـخ له ولا خيانته ولا عداوة وخيانة موسى باشا فالواجب على السلاطين معرفة أحوال رجالهـم خصوصا المقربين اليهم حق المعرفة باى طريق كان ثم انهما بايعا السلطان مصطفى وتلاهما غيرهما كالمعتاد وبعـد ذلك طلب الاوجاقيون ورجالهـم العطايا والبخاشيش مع أن بعض السـلاطين السالفين محوا هـذه العادة الذميمة الموجبـة أن يتمنى سفهاء اليكجريين جلوس سلطان جـديد كل يوم حيث انهـم عبيـد الدنانير والدراهـم ففرق لهـم السلطان مصطفى مائة وثمانين ألف قرش ومن طرف أختـه السلطانة (أسماء) عشرين ألف قرش ثم فى الايام التاليـة قتلوا الكثـير من رجال الدولة من حزب السلطان سليم أما أمور الدولة فانها اختلت بالكلية لانها صارت فى يد الاوجاقيين فكان خلع السلطان سليم مصيبة على الدولة حتى نتج منه مصائب ومشاكل داخلية وخارجية فمن المصائب الداخلية خلاف ماذكر عدم تنفيذ أوامر السلطان مصطفى مطلقا وأما الخارجية فان

نابليون بونابارت امبراطور فرنسا غضب على خلع السلطان سليم وغير سياسته مع الدولة واتفق مع اسكندر الاول امبراطور الروسيا وعرض عليه تقسيم بلاد الدولة وأخيرا لم يتفقا وأما الجيش المحارب فانه لما بلغه واقعة الاستانة حصل فيه فتور كلي لانه لما أراد السلطان مصطفى ابقاء ابراهيم باشا حلي الصدر الاعظم والسردار كما كان لم يقبل وعين مصطفى باشا جلبي اليكيجرى الاصل بدله فصارت أحوال الجيش في فوضى ولم يكن هناك ضابط قادرا على قيادته فطلب رجال الدولة مصطفى باشا البيرقدار للجيش فذهب في الحال من بلده روسجق بخمسة آلاف فارس الى سلستره فسكنت الفوضى في الحال خوفا منه لكونه كان مهابا وكان يظن أن الصدارة والسردارية تكون له فلما بلغه تعيين مصطفى باشا جلبي سالف الذكر ووصل هناك فعلا غضب في نفسه ولما ظهر من الصدر الاعظم العظمة والكبرياء احتقره واستمال اليه الجيش فاغلظ له السردار في المعاملة لانه لم يعرف شيئا من السياسة ولا المداهنة لكون أصله من اليكيجريين كما ذكر فلم يقبل البيرقدار هذه الاحوال وعاد الى روسجق وبعد ذلك عاد الجيش الى حالته الفوضوية ثم ان بعض من بقي من رجال حزب السلطان سليم دعوا مصطفى باشا البيرقدار سرا للاستانة لخلع السلطان مصطفى واعادة السلطان سليم فجاء ومعه بضعة آلاف من العسكر فدخلها ليلا وأرسل نفرا لقتل القباقجي فقتلوه ورموا جثته في الشارع وفي يوم الخميس السابع والعشرين من جماد الاول سنة ١٢٢٣ ذهب البيرقدار بمن معه من العسكر الى الباب العالي وقبل هذا التاريخ بمدة قليلة أراد موسى باشا الاعتزال من وظيفته ليذهب بغنائمه المنهوبة من مال الدولة وأموال المقتولين فقبل استعفاؤه وعين بدله طيار باشا الذي كان من ألد أعداء السلطان سليم ثم لما علم الاوجاقيون بوجود البيرقدار بالاستانة وان قتل القباقجي هو بأمره اختفى كل منهم من شدة الخوف ثم طرد شيخ الاسلام من منصبه وأبعد كل من كان على شاكلته من أرباب الوظائف المفسدين كما سيأتي هذا ما كان من أمر البيرقدار وأما ما كان من أمر الجيش

Digitized by Google

العمومى فانه قرب الى الاستانة بالراية الشريفة فاستعد السلطان مصطفى لاستقبالها كالعادة فتشاور حزب السلطان سليم فى كيفية خلع السلطان مصطفى واجلاس السلطان سليم ثانيا فاتفقوا على رأى أحدهم رامز أفندى على انه بخروج السلطان مصطفى لاستقبال الراية الشريفة يصير توقيفه فى قصر داود باشا ثم يذهبون الى السراية لاجلاس السلطان سليم بدون حصول تهلكة فلما عرضوا ذلك على مصطفى باشا البيرقدار لم يقبل وقال مامعناه لايليق أعمال هذه السفالة لمن يكون له شرف وانسانية فقال قائل منهم لم أقف على اسمه أن توقيف السلطان لدى مقابلة الراية الشريفة لايوافق وحيث ان المتغلبين أزيلوا فيلزم اغفال المقربين للسلطان ثم يعقد مجلس بحضور نفس السلطان للنظر فى هذا الامر واتفقوا على ذلك ثم انه لمخالطة السيد على باشا القبودان للاوجاقيين المتغلبين طلب البيرقدار عزله فلم يرض أغلبهم لصلاحه الظاهر حتى أن والدة السلطان مصطفى أرسلت للصدر الاعظم جوابا تقول فيه عنه أنه مخلص لولدى وقادر على حفظه فلا تعزله فارسل الصدر الاعظم للبيرقدار بان يبقى هذه المسألة وفيما بعد يجرى ماهو الصالح للدولة بما يرضى البيرقدار فغضب وأرسل له رسولا يخبره بان اتفاقهم مبنى على ازالة جميع المتغلبين فتحير الصدر الاعظم وغضب غضبا شديدا لانه لم يعلم سر المسألة فاخبر بان المسألة هى خلع السلطان مصطفى واعادة السلطان سليم ولكون ذلك غير موافق لمشربه أرسل الخبر للسلطان مصطفى فلم يهتم بذلك ثم انه أحضر اليه أحد قرناء السلطان وقال له ان الامر سيمضى ثم لاينفع الندم فليأذن لى السلطان بقتل رفيق أفندى ورفقائه (وهم الذين من حزب السلطان سليم والمدبرون كيفية اعادته للسلطنة) ثم يصير سد أبواب الاستانة ونتفق مع الاوجاقيين على طرد البيرقدار ومن معه فقال نذير أغا وغيره من القرناء ان البيرقدار خادم الدولة والسلطان فلا نتبع الاوهام فكان لسان حال الصدر الاعظم حينئذ يقول (لقد أسمعت لو ناديت حيا ولكن لاحياة لمن تنادى) ثم ان رفيق افندى ورفقاءه علموا قول الصدر الاعظم وما انتهى عليه

Digitized by Google

الحال فاخبروا به البيرقدار فى الحال ونصحوه بان التأخير فى العمل وخيم العاقبة وفى يوم الخميس ٤ ربيع الآخر ذهب البيرقدار ومعه أزيد من خمسة عشر ألفا من العساكر الى الباب العالى وطلب ختم الهمايون المعتاد اعطاؤه للصدور العظام من الصدر الاعظم الحالى بعنف وخشونة فتحير فى أمره ثم اعطاه له فسلمه البيرقدار لاحد الجالسين ثم أرسل الصدر الاعظم مع بعض فرسان عسكره الى الجيش خارج الاستانة ثم طلب شيخ الاسلام والوزراء الى الباب العالى فبحضورهم قال لشيخ الاسلام لنا أمر يتعلق بالدين والدولة ويقتضى الذهاب الى دار السلطنة هيابنا فاندهش الشيخ وأبطأ فى حركته وقال له هل أنت ابن عرب قم فقام مندهشا من هيبته فلما وصلوا الى باب السراية الاوسط طلب مرجان أغا باش أغا السراية وقال له أن عموم رجال الدولة والعلماء وأعيان روملى والاناضول يريدون اعادة جلوس السلطان سليم فلذا جئناهنا فأخرجوا السلطان سليم لاجلاسه ثم أرسل أيضا شيخ الاسلام الى السلطان مصطفى ليخبره بذلك فلما أخبره غضب غضبا شديدا وقال له انت متفق معهم حتى أتيت هنا أمامه لخلعى والله لاقطعنك أربا فاراد الشيخ الاعتذار فلم يقبل وقال له امش من أمامى واذهب واصرف الباشا والا أفعل فيك مالا يفعل فى أحد فلما عاد وأراد التظلم مع الباشا لم يمهله أن قال له يارجل يامنافق غيرت المسألة فى داخل السراية فاذهب عاجلا وانه هذه المسألة فذهب ولم يتجاسر على مخابرة السلطان مصطفى ثم عاد وقال له أنه لم يقبل النصيحة وأن الباب صار سدّه ففى الحال شرع الباشا البيرقدار فى كسر الباب لدخول العسكر واحضار السلطان سليم وأما السلطان مصطفى فانه جمع عنده أتباعه وشاورهم فى الامر فقالوا اذا أعدم السلطان سليم ومحمود لم يبق أحد من السلالة فطبعا لم يكن اذ ذاك وجه لخلعك فأعطنا رخصة بالدخول على سراية الحريم لهذا الغرض فأذن لهم فقام منهم عبدالفتاح وسليم آبا ونذير أغا ومحمد ابن الدالى أيوب وعلى البغدادلى ومصطفى من الجنانيه ومعهم أربعة عشر نفرا من البلطجية والجنانية وأما مرجان أغا باش أغا السراية فانه لم يحضر السلطان

Digitized by Google

سليم كتنبيه البيرقدار عليه كما وأنه لم يشارك من تعرض للجناية ظاهرا أى فعلا ولكن كان على رغبته حتى أن سكوته مع كونه رئيسهم ومسموع الكلمة وكلهم طوع أمره يعتبر شريكا لهم ثم أنهم قتلوا السلطان سليم بالسيوف والخناجر والبلط ولما انتهوا من ذلك ذهبوا لقتل السلطان محمود واذا بجارية كرجية أحضرت طبقا مملوءا رمادا فى يدها وكلما يريد أحد منهم الدخول لقتل السلطان محمود تنثر فى عينيه الرماد واحدا بعد واحد حتى لحق بها عنبر أغا وعيسى أغا فاخذاه فى السطوح وفى أثناء ذلك رمى سليم آبا المنحوس بخنجر على بعد بقصد قتل السلطان محمود فاصابه فى ذراعه فجرحه ثم صدمه أحد الابواب فى حاجبه الايمن فانجرح أما مصطفى باشا البيرقدار فانه دخل ببعض عسكره بعد كسر الباب فتصادف دخوله وقتل السلطان سليم فى لحظة واحدة أما القاتلون فانهم أبرزوا جثة الشهيد بقرب الباب توهما منهم أن البيرقدار عند مايراها كذلك يقطع الامل ويذهب من حيث أتى فجاء توهمهم بالعكس اذ أن البيرقدار لما رأى الجثة على هذه الحاله حزن فوق مايتصور وقال واى أفندم أقطع هذه المراحل وأجيء للاستانة لاجلسك ثم أراك بهذه الحالة فوالله لاقتلن رجال الاندرون الخائنين عموما انتقاما ثم حضن الجثة فلحقه رامز أفندى أحد رفقاء رفيق أفندى الآتى الذكر وقال له أمان أفندم الآن ليس وقت البكاء والماضى مضى والغرض خلاص الدولة من التهلكة وحفظ السلطان محمود فلما سمع الباشا ذلك ذهبت منه السكرة وجاءت له الفكرة ففى الحال نهض مسرعا ونادى بأعلى صوته أن ابحثوا عن السلطان محمود فجرت العساكر فى كل جهة وصوب أما رجال الاندرون وبالاخص القاتلون فانهم اختبؤا وأما الباشا البيرقدار فانه من شدة غضبه وشغفه على رؤية السلطان محمود كان يمر حول السراية واذا بالسلطان محمود أنزلوه من السطوح بغاية الصعوبة فجاء وأمامه أحمد أفندى حافظ امام أول السلطان ومن تحت أبطيه كل من محمد بك وطاهر أفندى فقال الباشا بصوت مزعج من هذا فاندهش الجميع وسكتت الغوغاء والاصوات دفعة واحدة

ثم أسرع أحمد أفندى الامام المومى اليه وقال له أفندم هذا السلطان محمود وقد بايعته على الخلافة واتمام المصلحة الخيرية موقوف على همتكم فقال الباشا خطابا للسلطان محمود (آه أفندم كنت أتيت لاجلاس ابن عمك فرأيته ويالبتى كنت فاقد البصر حتى لا أراه بهذه الحالة والآن أتسلى نوعا بمبايعتك وسأقتل الذين قتلوه وجعلوه بهذه الحالة وهم طائفة الاندرون فسأقتلهم جميعا بالسيف) فقال له أحمد أفندى الامام أفندم ماذنب طائفة الاندرون حيث القاتلون معلومون فافندينا السلطان يأمر بالبحث عنهم واحضارهم ويجازيهم فحينئذ قال السلطان محمود مخاطبا للباشا البيرقدار (ياباشا أنا أرسلهم لك وأنت اصرف عساكرك من السراية وانزع أسلحتك وتذهب الى أودة الخرقة الشريفة) فزعق الباشا على عساكره بقوله اخرجوا فخرجوا جميعا بغير أن يتلفظ منهم أحد فتعجب الحاضرون من حسن طاعتهم بهذه الدرجة فبقى عنده بضعة أنفار وتفرق الباقون وخلعوا أسلحتهم ونزع هو أيضا سلاحه عدا بالته المرصعة التى كانت بوسطه فنظر اليها وقال للسلطان محمود ان هذه تذكار ابن عمك فلا أقدر ان أنزعها فرخص له السلطان فى حملها فذهبوا على هذه الحالة الى مكان الخرقة الشريفة فامر السلطان الباشا بتناول الطاتلو والقهوة حسب الرسومات فى أرسلان خان (١) ودخل السلطان محمود بمفرده أودة الخرقة الشريفة وقد ذكر المرحوم جودت باشا فى تاريخه أن شجاعة ومهابة مصطفى باشا البيرقدار المشار اليه بلغتا حد الوصف لكن السلطان محمود كان أهم منه فى الشجاعة والهمة مع زيادة الذكاء والعلم الواسع لان سنه كان أربعا وعشرين سنة ولم يسبق له مخالطة مع عظماء الرجال والجيش فضلا عما به من الجراحتين وعقب خلاصه من يد الجلادين قال فى مخاطبته له اؤمر عسكرك بالخروج وانزع أسلحتك ولنذهب الى أودة الخرقة الشريفة فهذا لايصدر الا من شجاع وذى همة انتهى وفى أثناء زيارة السلطان محمود الخرقة الشريفة صار البيرقدار يمشى

(١) محل خارج أودة الخرقة الشريفة كان معدا لعرض الامور على السلاطين وصدور أوامرهم فيه وكان يقال له وقتئذ عرضخانة

Digitized by Google

واذا بالسلطان مصطفى أقبـل فى أودة العمامة فقال انى لم أتنازل عن السلطنة فمن الذى أجلس محمودا فقال البيرقدار من هذا هل هو السلطان مصطفى قولوا له ليذهب الى منزله والا فهو يتسبب لأمر يصدر منى يترتب عليه اللعنة الى يوم القيامة فقام أحد أفندى الامام مع بعض رفقائه نحو السلطان مصطفى وقال له ان قسمتكم فى السلطنة قد انتهت فاستريح وشرف بمحل الحريم الهمايونى فعزم على ذلك واذا بوالدته أتت الى باب الوسط باكية معربدة وأخذت تسب البيرقدار فقال مصطفى باشا نحن معاشر العثمانيـين لانمس النساء ولا نؤاخـذهن وكانت العادة عند جلوس أحد السلاطين ان تنتظر الساعة السعيدة للمبايعة فيها ولكن لوجود هـــذه الاهوال لم تنتظـر وانما وافق ذلك يوم الخميس رابـع جمادى الآخرة الساعـه ٩ والدقيقـة ٤٠ والطالع كان سعد الاكبر فى ٢٨ درجة فى برج القوس فقال المنجمون الخـيرة فيما اختاره الله وفى أثناء ذلك رأى البـيرقدار مرجان أغا فقال له أنت السبب فى قتل السلطان سليم لعدم فتحك الباب ثم سبه وقال للسلطان ائذن لى بقتل قاتلى السلطان سليم والمتسببين وظهر فى وجهه شدة الغضب فقال له السلطان ياباشا العجلة من الشيطان والتأنى من الرحمن فاضطر الباشا الى كظم غيظه ثم أمر السلطان بابقاء جميـع المأمورين كما كانوا ثم دخـل للحريم وأمر بالبحث عن القاتلين وسجن البوسـتانجى باشى وأمر بالبحث عن الباقين فاحضروا واحـد بعد واحـد وكانوا هربوا جميعا أما السلطان سليم فانه لم يتيسر دفنه فى ذلك اليوم بل فى ثانى يوم من قتله الذى هو يوم الجمعة وقد اجتمع لدفنه مصطفى باشا البيرقدار الذى صار صـدرا أعظم وشيـخ الاسلام والوزراء والعلماء فدفنوه فى جامع لالى نوّر الله قبره ورحمه رحمة واسعة ثم اهتم السلطان محمود بالبحث عن كل من كان له يد فى هذه الفتنة واحضاره حتى بلغ من قتل منهم فى البضعة أيام التالية ثلثمائة نفر منهم موسى باشا القائمقام السابق المعلوم أمره وأما الشيـخ عطا الله شيـخ الاسلام السابق فصار نفيه وعوفى من القتل اكراما للعلم الشريف

Digitized by Google

٢٩ السلطان مصطفى الرابع

﴿ ابن السلطان عبد الحميد الاول ﴾

ولد المشار اليه سنة ١١٩٣ وجلس سنة ١٢٢٢ وقد تقدمت الوقائع والفتن الداخلية وأما الوقائع الخارجية فان بونابارت امبراطور فرنسا غير سياسته مع الدولة كما ذكر وعرض على الروسيا وأوستريا تقسيم بلاد الدولة العلية وقال انه يستحيل إبقاء الدولة العلية كما يشاهد من أحوالها فجعل له بلاد البوسنة والبانيا بما فيها يانية وبلاد اليونان وترحالة ومكدونيا وللروسيا البغدان والافلاق والبلغار ولاوستريا الصرب وقيل ان الاستانة اختلفوا فيها حتى قيض الله للدولة السلطان محمود فبدأ فيها بتغيير أحوالها من الخطر الى الصلاح ومن الضعف الى القوة ولم يحصل فى مدة السلطان مصطفى شئ يذكر غير ماذكر وفى سنة ١٢٢٣ صار توقيف السلطان مصطفى وجلوس السلطان محمود كما تقدم

﴿ أسماء الامراء والملوك المعاصرين للسلطان سليم والسلطان مصطفى ﴾

اسبانيا ..... فرديناند السابع
برتغال ..... ماريه
الروسيا ..... كترينا الثانية ثم باولوص الاول ثم اسكندر الاول
فرنسا ..... الامبراطور نابليون بونابارت الاول
ساردنيا ..... وقتورا مانويل الخامس
أسوج ..... كوستاو الرابع
دانيمارك ..... قرستيان السابع
ألمانيا ..... فرانسو الثانى
بروسيا ..... فردريك كيلوم
نابولى ..... فرديناند الرابع

Digitized by Google

أوستريا ..... جوزيف
الونديك ..... جمهورية
انكلترا ..... جورج الثالث
فلنك ..... كيلوم
الصين ..... هيوان دانغ
الهند ..... دلمراشكوه

---

٣٠ السلطان محمود عدلي الثاني

(ابن السلطان عبد الحميد الاول)

ولد المشار اليه سنة ١١٩٩ وجلس سنة ١٢٢٣ الموافق سنة ١٨٠٨ ميلادية بالغا من العمر ٢٤ سنة ومدة سلطنته اثنتان وثلاثون سنة وكان محبا للسلطان سليم وأفكارهما متطابقة فاهتم بايجاد النظام الجديد باسم سكبان احتراسا من تجديد الفتن من اليكيجريين لكن لفرط شجاعة الصدر الاعظم وعدم المامه بفن السياسة وحسن الادارة بكتم مايلزم كتمه والمداراة أحيانا وشدة كراهة اليكيجريين له عادت الفتن كما كانت وذلك انه عقب الواقعة الماضية الهائلة المقتول فيها السلطان سليم تخابر اليكيجريون في أمر قتل الصدر الاعظم فاجتمع فريق منهم ولصقوا ورقة مكتوبا فيها (روملليدن كادى برچتاق بيرام ابرتسى ياقلج أو ينايه چق يابجاق) ومعناه أتى من روملى شكلى وسيلعب بعد العيد سيف أوسكين لكن لم ينتظروا الى بعد العيد كما قالوا بل في ليلة الثلاث الموافق ليلة القدر حاصروا الصدر الاعظم في الباب العالى بعائلته واما الصدر الاعظم فانه أدخل حرمه وجواريه في الغرف الداخلة ودافع هو ومماليكه بحالة مدهشة وقتل كثيرا منهم واستمر ذلك الى اليوم الثاني الساعة ٨ نهارا ولما لم يأت له امداد من خارج وتصادف اشتعال النار في

المخزن الموجود فيه الجبخان لم يسلم نفسه ولا أحدا من اتباعه لهم حيا فحرقوا جميعا ثم هجم الاشقياء على السراية وطلبوا اجلاس السلطان مصطفى فوجدوه ميتا وفى موته خلاف قيل انه مات بالسكتة وقيل انه مات خنقا والله سبحانه وتعالى أعلم وبعدحصول مضاربات ومناوشات بينهم وبين من قابلهم فى أمر المدافعة عن السراية انصرفوا بعد ان قتلوا الكثيرين من رجال الدولة أما من خصوص الخارجية فان الروسيا لازالت مستمرة على الحرب والسطو على بلاد الدولة وأما السلطان محمود فانه فرّق انجلترا عن الروسيا وعقد صلحا معها ثم استعد لمقاومة الروسيا وفى سنة ١٢٢٤ أرسل عساكر بكثرة واشتبكت الحرب بينها وبين الروسيا التى دست الدسائس فى الصرب بالعصيان فصارت الدولة تحارب الروسيا والصرب فى آن واحد ثم حاصرت الروسيا قلعة سلستره فقامت الاهالى مع حاميتها فى الثالث والعشرين من شهر رمضان وخرجوا وهجموا على الاعداء بشدة مستميتين فحمى وطيس المعركة وبعد ان قتل من الاعداء ألف انسحبوا اضطرارا وفى ١٥ منه هجمت الروسيا بجميع قوتها على قرية تاتاريجه وسدّت كافة الطرق الا مدادية فلما رأى جيش الدولة ان أعدائهم يبلغون ضعفيهم تقريبا قاتلوا قتال الموت حتى كانت واقعة هائلة وازداد العناد من الطرفين وأخيرا انسحبت الاعداء مغلوبين والموتى من كل طرف يبلغون عشرة آلاف وفى رواية أن قتلى العثمانيين ألف غير الجرحى والله أعلم وفى سنة ١٢٢٥ زاد اهتمام السلطان بالتجهيزات الحربية واذا باليكيجريين بالاستانة ثاروا كعوائدهم وسفكوا دماء الابرياء فاشتغل السلطان باطفاء نار هذه الفتنة فلهذا وشدّة ثوران البلقان تمكنت الروسيا من الاستيلاء على قلعتى هزارغراد وسلستره ثم أرسل الجنرال فامنسكى قائد الجيوش الروسية جوابا شديد اللهجة للسردار مضمونه أن الدولة العلية اذا لم تسرع بالصلح فلا بد من وقوعه فى جوار الاستانة فارسل السردار ذلك الجواب الى الباب العالى فامر السلطان بعقد مجلس عمومى للشورى فى جامع محمد الفاتح وأخيرا تقرر بدعوة كافة المسلمين ببلاد الدولة للجهاد لانه فضلا عن قلة

عساكر الدولة فانها غير منتظمة وغير مطيعـة فعزم السلطان على القيام بنفسه للجهاد وفى جمادى الآخرة انتصرت عساكر الدولة على الروسيا مرارا فاضطرت الروسيا الى الانسحاب عن محاصرة وادنه وانسحبت أيضا مقهورة فى ٣ رجب عن روسجق ثم ان الدولة أخذت فرقة من العساكر لاستيفاء تاديب الصرب فادبتهم تأديبا شافيا وفى أثناء ذلك عادت الروسيا لمهاجمة روسجق فاستولت عليها وأسرت كثيرا من العساكر وفى سنة ١٢٢٦ حصل الصلح فى مدينة بكرش ولم أقف على مضمونه انما ردت البلاد من الروسيا الى الدولة وكانت مدة هذه الحرب ثلاث سنوات وما تم هذا الصلح الا وقد ورد خبر بعصيان المماليك فى مصر على واليها محمد على باشا وعصيان الوهابيين بالحجاز وقطعهم طريق الحج فكلفت الدولة محمد على باشا بتأديب الوهابيين واعادة الامن بالحجاز فقام الباشا بهذه المأمورية واستولى على مدينة الدراعية وشتت شملهم وأسر رئيسهم وفى سنة ١٢٢٧ قتل أغلب المماليك بالقلعة ولمعلومية تفاصيل ذلك بالتواريخ العربيه كالجبرتى اختصرنا هنا وفى سنة ١٢٢٨ عاد الصربيون الى الثورة ففى الحال صار تاديبهم وفى أثناء هذه المشاغل الخارجية تكونت فى بلاد الدولة ثورات وفساد من تغلب أكثر أعيان الولايات مع بعض الولاة كعلى باشا تبه دلنلى والى يانيه فاشتغلت الدولة بتأديب ومحو المتغلبين واحدا بعد آخر وفى سنة ١٢٣٣ حصل حرب بين الدولة وايران بدسائس الروسيا فطالت نحو سنتين لظهور الفتن والعصيان فى خلالها وفى هذه المدة كانت أفكار السلطان مشغولة بخصوص أمر اليكيجريين حيث علم علم اليقين أن أمر الدولة لاينجح بهذه الطائفة الباغيـة واذا بالاروام فى بلاد اليونان قد ثاروا على الدولة بدسائس الروسيا ومساعدتها لهم سرا فاستمرت هذه الفتنة بضع سنوات لان الروسيا استمالت اليها دولتى فرنسا وانجلترا للمساعدة فى استقلال اليونان وظهر من اليكيجريين فى خلال فتنة الاروام أمور وحشية من نحو عصيانهم وتهوراتهم وفى سنة ١٢٤٠ اشتدت الفتنة الخارجية والداخلية وفى سنة ١٢٤١ عقد مجلس بامر السلطان فى باب المشيخة بوجود

الصدر الاعظم فقرروا باخذ من يليق من اليكيجريين لتعليمه باسم اشكنجى أى بياده وفعلا بدئ بالعمل وفى ليلة الخميس تاسع القعدة الموافق سنة ١٨٢٨ ميلادية اجتمع اليكيجريون فى آت ميدان كعادتهم وتعرضوا لبعض الاهالى بما لايليق وهجموا على بعض البيوت ونهبوا مافيها وهجموا على الباب العالى فاخرج السلطان الراية الشريفة وجمع تحتها رجال السراية والعلماء وطلبة المدارس والاهالى والطوبجية فى ميدان السلطان أحمد ثم أرسل حسين باشا ومحمد باشا ونعمان أغا الطوبجى اليهم فى قشلاقاتهم ودعوهم الى الانقياد والتسليم فأبوا وتمردوا فأمر السلطان الطوبجية برئاسة نعمان أغا المذكور واليوز باشى ابراهيم أغا الملقب بقره جهنم بضرب قشلاقاتهم عليهم فجعلوا عاليها سافلها وقطع جذور هذه الشجرة الخبيثة ثم قفل جميع التكايا المملوءة باهل الالحاد والضلال الذين نسبوا نفوسهم للحاج بكتاش مع قتل أغلبهم الذين كانوا يستصوبون أعمال اليكيجريين ويعطون لهم العهود فبهذه الاعمال أنقذ السلطان بلاد الدولة الواسعة من التهلكة والخراب وأرسل للولايات بقتل كل من يوجد من اليكيجريين ولم يسلم سلاحه ثم اهتم بجمع العساكر النظامية من الاناضول والروملى باسم رديف عساكر خاصة ومنصورة محمدية وفى زمن قليل بلغ عدد العسكر الجديد سبعا وثلاثين ألفا وعين حسين باشا سر عسكر فبهذا التدبير انتشر العدل فى الولايات وارتاح الاهالى وقطع دابر العصاة ودخلت الدولة فى طور جديد لكن أخذت الاعداء عدم وجود جيش بالدولة فرصة وبالاخص منهم الروسيا فطلب الدول الثلاث الروسيا وفرنسا وانجلترا فى سنة ١٢٤٣ استقلال اليونان واعطاء امتيازات لبلاد الصرب والافلاق والبغدان وهجمت الروسيا على بلاد الدولة وقد تقدم أن جيش الدولة جميعه لا يبلغ سوى ٣٧ ألفا فصارت الروسيا تستولى على بلاد بلا حرب سوى مناوشة الاهالى فاستولت على مدينتى ياش وبكرش وأرسلت فرقة أخرى تبلغ خمسين ألفا الى بلقان ثم اتحدت دونانمة الثلاث دول المذكورة على الدولة العلية فاستولت الروسيا على ايسقاجه وابرانيل وطولجى وكوستنجه ووارنه فى سواحل البحر

الاسود وباقى سفنها مع سفن الدولتين المذكورتين غدرت على دونانمة الدولة فى جهة أنا أورين فاحرقوا من سفن الدولة ومصر عشرة وحاصروا على أربعين فلعدم أخذ الاعداء لها أغرقوا ونجت عشرة سفن فكانت خسائر الدولة فى هذه الواقعة خمسين سفينة ثم استولت الروسيا على أرمنيا وقلاع قارص وأخسخة والقاجق وقامت بلاد البلقان ضد الدولة أيضا وغاية ما أمكن الدولة هو ارسال حسين باشا بعشرة آلاف فلم يمكنه مقاومة الاعداء وأما السلطان فانه كان مهتما بتشكيل العسكر الجديد وانشاء السفن الحربية حتى اذا بلغ الجيش المقدار اللازم يذهب بنفسه الى الحرب لكن ذلك يحتاج الى زمن طويل والاعداء تستولى على البلاد بلا مقاومة حتى بلغت عساكر الروسيا الى مركز جتالجة قريبا من الاستانة فانعقد مجلس عمومى فى باب الفتوى للشورى فى الحالة الحاضرة فتقرر باغلبية الاراء قبول طلبات الدول من نحو استقلال بلاد اليونان وغيرها وفى سنة ١٢٤٥ تم الصلح وفى سنة ١٢٤٦ عصى داود باشا والى بغداد طالبا الاستقلال فعزله السلطان وعين بدله على باشا رضا وأعطى له فرقة من العساكر للقبض على داود باشا فذهب المشار اليه واتحد مع والى الموصل وسائر الولاة المجاورة لبغداد فاشتبكت الحرب فانهزمت أعوان داود باشا وتحصن هو بالقلعة وبعد محاصرته سبعين يوما قبض عليه حيا فطلب العفو بواسطة على باشا فعفى عنه وأرسل بعائلته الى بروسة وبعد مدة عين شيخا للحرم المدنى بناء على طلبه وأما فرنسا فكان مطمح نظرها موجها نحو الاستيلاء على الجزائر فلم تر أحسن فرصة من الوقت الحاضر لضعف الدولة وقلة العساكر فاخذت فى احداث المشاكل بها بواسطة قنصلها الذى حصل بينه وبين واليها أمور ومشاكل فارسلت عساكرها وسفنها وبعد قتال بينهما استولت عليها . وفى سنة ١٢٤٧ تسلطت الاوهام على مصطفى باشا والى اشقودره حتى أنه لم يقبل نصيحة الدولة ثم استأمن أعوانه فامتنعوا الدولة وعاد هو للقلعة فتحصن بها فحوصر عليه فيها ثم طلب العفو من السلطان فعفا عنه وعزل عن الولاية وأعقب ذلك أن عصى محمد على باشا والى مصر

وطلب الاستقلال بتحريك من الاعداء الاجانب وأصحاب الاغراض وفى سنة ١٢٤٨ أرسل عساكره بقيادة ابنه ابراهيم باشا المشهور وحصل بينه وبين العساكر الشاهانية جملة وقائع حربية كانت النصرة له فى غالبها حتى بلغ الى قرب قونية وامتدت هذه الحرب لغاية سنة ١٢٥٤ ومن وقائعها الشهيرة أسر رشيد باشا وذلك انه فى وادى قونية حصلت واقعة بينهما فانهزم عساكر مصر فاتبعهم رشيد باشا وتصادف ظهور ضباب هائل فقصد الصدر الاعظم رشيد باشا ادخال عساكره الى قونية ثم رأى فرسانا مصرية فظنهم أترا كا فدخل فيهم فقبضوا عليه وانهزمت عسكره فبناء عليه وصل ابراهيم باشا الى قرب كوتاهية ثم أرسل السلطان خليل باشا القبودان بحرا الى مصر فقبض على سفينتين مصريتين بقرب قبرص وهربت الثالثة لكن انتصر ابراهيم باشا على حافظ باشا بقرب أورفا برا فاغتم السلطان وأرسل خليل باشا المذكور الى مصر لينصح محمد على باشا بالاقلاع عن سفك الدماء بين المسلمين فلم يفد كما يأتى ثم لم يشغل هذا السلطان الغيور صاحب الهمة العلية هذه المشاكل عن اجراء الاصلاحات الداخلية وتكميل النظامات وتعميم تعيين سفرائه فى عواصم أوربا واصلاح الضربخانة واحداث نقود جديدة وفتح بوستة خانات ووضع أساس أصول الكورنتينة وأنشأ بين غلطة والاستانة كوبريا وبنى جامع الطوبخانة الشريف وأنشأ سفنا كثيرة حتى بلغت مائة متنوعة ثم حصل حريق هائل بالاستانة أتلف عشرة آلاف بيت وفى سنة ١٢٥٥ جاء الخبر عقب هذا الحريق الهائل بان محمد على باشا لم يقبل النصيحة ثم اهتم السلطان بتكثير العساكر واذا بمرض اعتراه فمات به رحمه الله تعالى رحمة واسعة وله من الاولاد السلطان عبد المجيد والسلطان عبد العزيز

﴿ أسماء معاصرى السلطان محمود من الملوك والامراء وجهاتهم ﴾

الروسيا ..... الامبراطور اسكندر الاول ثم نقولا الاول

انجلترا ..... جورج الرابع

اسوج ونروج. شارل الثالث عشر ثم اسقولوا الاول

Digitized by Google

دانيمارك .... فردريك السادس
بروسيا..... فردريك الثالث ثم فردريك الرابع
فلمنك ..... كيلوم الثالث
أوستريا ..... فرنسو الثانى
بلجيكا ..... ليوبولد
ويرتمبورغ ... فردريك الاول
البرتغال ..... جان السادس ثم مارية الثانية ومعها رون ميكل
ساردنيا ..... امنويل الخامس ثم شارل فلكس ثم شارل البرت
اسبانيا ..... جوزيف بونابارت ثم فارديناند السابع ثم قرســتين ثم ايزابله الثانية
فرنسا ..... نابليون الاول ثم لوى الثامن عشر ثم شارل العاشر ثم لوى فليب الاول
يوبان ..... أوتونى الاول
ساكسونيا.... فردريك أوكست
ايران ..... فتح على خان
الصين ..... تاوقوانغ ثم ابنه هيان قونفع
تونس ..... واليها حسين باشا من قبل الدولة
مصر ..... واليها محمد على باشا من قبل الدولة

---

٣١ السلطان عبد المجيد الاول

(ابن السلطان محمود)

ولد المشار اليه فى سنة ١٢٣٧ وجلس سنة ١٢٥٥ بالغا من العمر ١٨ سـنة ومدة سلطنته اثنتان وعشرون سنة وقد تقدم ان الحرب كانت بين محمد على باشا

Digitized by Google

وبين الدولة قائمة ففى هـذا العام اضطر القبودان أحمـد باشا فوزى الى تسليم دونانمـة الدولة الموجودة فى البحر الابيض لمحمد على باشا وذلك من سوء تدبير وأغراض خسرو باشا السر عسكر فعين رشيد باشا للصدارة العظمى وفى هذا العام كتب السلطان الفرمان المشهور بكلخانة مضمونه التأكيـد بمساواة جميع الرعايا وفى سنة ١٢٥٦ اهتم محمد على باشا وابنـه ابراهيم باشا بالحرب وظنا ان موت السلطان محمود وجلوس السلطان عبـد المجيـد يكونان سببا لاتمام انتصاراتهما فارسلت الدولة دونانمـة عظيمة الى مينا وسواحـل اسكندرية وأحالت ادارة ولاية مصر موقتا على محمد باشا عزت فاستولت الدونانمة على قلاع جونيه وصيدا وسوريا وانتصرت عساكر الدولة برا على ابراهيم باشا فلما رأى ذلك مير بشير رئيس المشايخ ترك مساعدة ابراهيم باشا وانضم الى عساكر الدولة وكذلك أهالى ومشايخ جبل لبنان والشيـخ أحمـد بك شيـخ العربان ثم استـولت عساكر الدولة على قلاع صـيدا وعكا وطرابلس وحما وحمص أما من جهـة الدول فان انكلترا وأوستريا والروسيا وبروسـيا قطعوا العلاقات مع محمـد على باشا بل ان انكلترا أظهرت المساعدة للدولة ثم بواسطة المذكورين وتعهداتهم بعدم عصيان محمد على باشا مرة أخرى تم الصلح على ماهو معلوم فبناء عليه عادت دونانمة الدولة السابق تسليمها الى محمـد على باشا الى الاستانة كما كانت وفى سـنة ١٢٥٧ ثارت فى كريد الاشقياء فاعادت الدولة فى الحـال الأمن فيهـا ثم اهتمت الدولة ثلاث سـنين بالاصلاحات الداخلية وساح السلطان لرؤية الفابريقة التى أنشئت لاعمال الجوخ فى أزميد وساح أيضا الى بروسة ومدللو وفى سنة ١٢٦١ فتحت فى الممالك الشاهانية مكاتب كثيره لترقية المعارف وفى سنة ١٢٦٢ أظهر من يدعى بدرهان بك بجوار الموصل العصيان والفساد فارسل اليه عثمان باشا مشير جيش الاناضول فادبه وأعاد الامن وفى سنة ١٢٦٣ أنشئ مدرستان حربيتان بالاستانة لاستخراج ضباط وأطباء وفى سنة ١٢٦٥ أظهر نور الله بك فى كردستان العصيان ثم ندم وذهب الى الاستانة معتذرا للسلطان فعفى عنه وأكرمه وفى سنة ١٢٦٦ ساح السلطان الى جزائر

Digitized by Google

البحر الابيض برسم التفتيش على الاحوال وفى سنة ١٢٦٧ عزل السلطان الشريف محمد بن عون أمير مكة وعين بدله الشريف عبد المطلب وفى سنة ١٢٦٨ أنشئ أربعة قلاع جسام فى طريق الحديدة وفى سنة ١٢٦٩ طلبت الروسيا امتيازات فى الكنائس الموجودة فى ممالك الدولة والتأمينات الكافية وغيرها من الطلبات المبهمة المقصود منها وقوع الحرب من قبل استعداد الدولة وايجاد القوة الكافية لمقاومتها لانها خرجت من حرب الشام مع محمد على باشا كما تقدم وساقت فعلا قوة هائلة الى الافلاق والبغدان ففى الحال أرسلت الدولة عساكرها النظامية والرديف المتقاعدين ففى الوقائع الحربية التى حصلت فى جتانة وقلفات واولتينجه تشتتت شمل عساكر الروسيا خلافا لما كانت تظن من ان قوة الدولة كسوابقها فلما وجدت ما يخالف فكرتها أظهرت التجلد والاهتمام الفائق فى تهيئة جيش عظيم حتى أبلغته ثمانمائة ألف أما السلطان فانه كان أرسل رفيق باشا الى فرنسا وانكلترا سفيرا ليفهمهما اعتداء الروسيا ونقضها بغير حق للمعاهدة المصدق عليها من الدول فنصح كل من فرنسا وانكلترا وسردنيا الروسيا بعدم الحرب فلما لم تذعن ساعدوا الدولة العلية برا وبحرا بمئتى ألف عسكرى فقابلتهم الروسيا بحرا بمائة وثلاثين سفينة حربية متنوعة ولم أقف على مقدار سفن الدول المتفقة التى انتصرت حتى استولت على المدائن والقلاع الموجودة فى سواحل البحر الاسود للروسيا وكذلك انتصر عساكر الدولة والمتفقين على عساكرها بجوار نهر المالو فى جزيرة قريم وفى سنة ١٢٧٠ حصلت بعض تلفيات فى دونائمة الدولة فى واقعة سينوب وفى سنة ١٢٧١ حاصر المتفقون مدينة سواستبول وأغرقوا كثيرا من سفنها وأخربوا قلعتى سمسليان وتوردسود وكانتا من أمتن القلاع ثم اتحدت السفينة المسماة المحمودية والتشريفية مع بعض سفن المتفقين بارسال مقذوفاتها على المدينة المذكورة فهدمت قلعتى قسطنطين وقرنتنة وقتل كترينة وطابية تلغراف وانتج من ذلك حريق هائل فاحرق ثلثها وكانت تلفيات الروسيا هائلة خصوصا من الضباط المشهورين ثم انهزمت عساكرها

فى واقعة ابن كرمان وكذلك حطمت بضع سفائن من سفنها فى بحر الصين وفى سنه ١٢٧٢ عصت عساكر الاكراد فى خربوط فارسلت الدولة فرقة من العساكر فادّبتهم وأعادت الامن وفى أثناء ذلك جاوز أربعون ألفا من الاروام حدود الدولة بدسيسة روسيا فتسلطوا على أرمية ودومكة وترحالة فارسلت الدولة الفريق شاكر باشا بستة آلاف بيادة وآلاى واحد سوارى وبطاريتين من المدافع ومعه عبدى باشا الشركسى بمن معه من العساكر المصرية ولم أقف على مقدارهم فوقعت الحرب فظهرت أولا علامة الانهزام من العساكر المصرية لكن على أثر قدوم شاكر باشا بفرقته انتهت الحرب بهزيمة الاروام ثم عينت الدولة عمر باشا الشهير سردارا على جيشها المحارب للروسيا فكثرت تلفيات الاخير واستولى المتفقون على مدينة سواستبول فعجزت الروسيا عن المقاومة وطلبت الصلح بواسطة فرنسا وفى سنة ١٢٧٣ عقد مجلس فى ويانة فعينت الدولة رشيد باشا الصدر الاعظم من قبلها وعينت عالى باشا للصدارة ثم عقد مجلس فى باريس من دول فرنسا وانكلترا وساردينيا وأوستريا والروسيا وبروسيا فتم الصلح وانسحبت العساكر وفى سنة ١٢٧٤ أنشئت السكة الحديدية بين أزمير وأيدين وفى سنة ١٢٧٥ حصل اختلال فى الصرب فخرج منها حاكمها ميلوش بيك وذهب الى ويانة فعينت الدولة بدله اسكندر بيك فعجز عن استمالة الاهالى اليه فذهب قبولى أفندى من قبل الدولة منسدوبا للتحقيق فتبين بان المدان هو اسكندر بك فعزلته وولت بدله ميلوش بك ثانيا وفى هذا العام وقعت منازعات بين المارونيين والدروز فى جبل لبنان وفى سنة ١٢٧٦ اجتمع ثلاثون ألفا من الدروز فى خان مرج بقيادة شيخهم اسماعيل عطرش واجتمع فوق السبعين ألفا من المارونية فى زاملة فاقتتلوا معهم فقتل منهم كثيرون فبناء عليه ساقت دولة فرنسا دونانمتها الى بيروت واحتلتها بخمسة عشر ألفا من العساكر فلما بلغ ذلك الدولة أسرعت بزيادة قوتها الحربية فى الشام وأرسلت فؤاد باشا ناظر الخارجية المشهور مفوضا فى تسوية هذه المسئلة فقبل وصوله

أطفئت نار الفتنة لكنها سرت فى نفس الشام فهجم أوباش كثيرون من المسلمين على غير المسلمين فلما وصل فؤاد باشا أخذ المجرمين وسجنهم ثم أجرى محاكمتهم كل منهم على قدر جرمه وفى سنة ١٢٧٧ انتهت تسوية هـذه المسئلة والمشكلة بالحالة التى عليها الآن جبل لبنان وانسحب الفرنساويون بمراكبهم وفى هـذا العام توفى السلطان عبد المجيد رحمه الله تعالى رحمة واسعة ودفن بتربته المخصوصة بجوار السلطان سليم وأولاده ثمانيـة السلطان محمـد مراد خان الخامس والسلطان عبد الحميد الثانى حفظه الله ونصره ورشاد أفندى وكمال الدين أفندى وبرهان الدين أفندى ونور الدين أفندى وسليمان أفندى ووجد الدين أفندى حفظهم الله

﴿أسماء معاصرى السلطان عبد المجيد من الملوك والامراء وجهاتهم﴾

انكلترا ..... الملكه فكتوريا
الروسيا .... نقولا الاول ثم اسكندر الثانى
المانيـا ..... كيلوم الاول
أوستريا .... فرانسوجوزيف
فرنسا ..... نابليون الثالث
ايطاليا ..... امانويل
يونان ..... أوتونى
دانيمـارك .... فردريك
البرتغال ..... بدرو
اسبانيا ..... الملكه ايزابله
بلجيق ..... ليوبولد
فلمنك ..... كيوم
نابولى ..... فرانسو
اسوج ونروج . شارلى

Digitized by Google

الصرب ..... ميلوش من قبل الدولة العلية ثم ابنه ميخال
افلاق ..... قوزه بك ثم شارل من قبل الدولة العلية
الجبل الاسود . نقولا بك من قبل الدولة العلية
سيسام ..... فرتيادى بك ثم باولاواكى

آســـيا

ايران ..... محمد شاه ثم نصر الدين
أفغان ..... الامير شير على
الصين ..... هيان قونغ
فاس ..... عبد الله
مصر ..... محمد على باشا ثم عباس باشا الاول
تونس ..... محمد صادق باشا

---

٣٢ السلطان عبد العزيز

ولد المشار اليـه فى سنة ١٢٤٥ وجلس سـنة ١٢٧٧ الموافق سـنة ١٨٦١ ميلادية بالغا من العمر اثنين وثلاثين سنة وفى أول جلوسه أطفئت نار عصيان أهالى الجبل الاسود ثم زار أجداده فى بروسة وبعد عودته اخترع النيشان العثمانى وفى سنة ١٢٧٨ اهتم باتمام السكة الحديدية بين أزمير وكوستنجه وفى سنة ١٢٧٩ ساح السلطان الى مصر وبعودته زينت الاستانة ثلاث ليال وفى هذا العام افتتح المعرض فى ميدان السلطان أحمد المسمى سركى عثمانى وهو أول معرض ثم اهتم بالاصلاحات والتعديلات الداخلية وفى هذا العام عصت أهالى الجبل الاسود ثانيا فارسل لهم عمر باشا السردار وبعد عدة وقائع حربية استأمن أهله فانسحبت العساكر وفى سنة ١٢٨٠ حصل ارتباك فى شأن النقود حيث أن الاوراق التى

Digitized by Google

كانت أنشئت بدل النقود فى زمن السلطان عبـد المجيد اعانة على حرب قريم المعروفة بالقوايم انخفضت قيمتها طاقات فأصبحت القائمة التى قيمتها مائة قرش لا تساوى الا ثلاثين قرشا بالعملة الذهب أو الفضة وتمشى بعشرين قرشا وتصبح بار بعين قرشا وهلم جرا فتشكل البنك العثمانى بناء على رأى فؤاد باشا الصدر الاعظم وأنشئ سهام جديدة باسم القونصليد العثمانى فاستردت الحكومة القوائم المذكورة من الاهالى وأعطت لهـم بدلها نقودا ذهبية وفضية وهـذا هو الاساس لدين الدولة مع المصاريف الجسيمة التى صرفت فى الحروب الروسية القريمية التى دامت ثلاث سنين وفى هذا العام وضعت أصول الموازين المالية كاصول موازين الدول الاوربا وية وصار تعميم المجالس النظامية فى كافة الولايات وأرسلت مفتشون كثيرون للنظر فى سريان الدعاوى وتطبيقها على النظام وفى هذا العام ثارت أهالى كريد المسيحيون بتحريكات أجنبية فارسلت الدولة اليهم عساكر بقيادة مصطفى باشا النايلى الكريدلى الصدر الاعظم الاسبق ثم عمر باشا السردار وعالى باشا الصدر الاعظم وحسين باشا عونى وعساكر من مصر وكانت تأتى اليهم ذخائر ومؤونات وعساكر متطوعة بكثرة من الخارج فاسر حسن بك غمسز أمير ال الدارعة عز الدين السفينة اليونانية المسماة ارقادى وبعد تأديب العصاة وايجاد الأمن عادوا وفى هذا العام سنة ١٢٨١ هلجو من قبائل الشراكسة بضع مائة ألف بيت أو عائلة الى بلاد الدولة لما استولت الروسيا على بلادهم وأما الدولة فانها أعانتهم بالمؤونة بضعة أشهر وبلدوات زراعية وعربات النقل وعافتهم من الويركو ومن العسكرية وفى هذا العام عصت قبيلة عسير باليمن فاستولت على قلعة جذان وبلدة أبى عريش فارسلت اليهم الدولة عساكر وبعد تاديبهم واسترداد القلعـة والبلدة عادت وفى سنه ١٢٨٣ ساد الوباء من الاسكندرية الى الاستانة ومنها الى بعض جهات الاناضول فمات به الكثيرون وأعقب ذلك اشتعال النار بالاستانة فاحرقت جهة خواجا باشا ثم سرت الى المحلات المعروفة بمغال أوغلى وفضلى باشا الى المحل المسمى أوجلر تحت ميدان السلطان أحمد وسرى فرع آخر من ديزواربه الى كدك باشا

وقدرفه وتوجه الى ساحل البحر مع المحلات المعروفة بنيشانجى ومراج اسحاق بما يقرب من ثلثى الاستانة فاعانت الدولة المصابين واكتسبت أيضا من أصحاب المروءة والحمية الاعانات ثم أطفئت وأعقب ذلك ارتفاع الوباء وفى سنة ١٢٨٣ ساح السلطان عبد العزيز الى أوربا ولما عاد الى الاستانة أجريت الزينة من طرف الاهالى ومن مزايا سياسته تعديل مواد الامتيازات الشخصية الاجنبية باحسن مما كانت عليه قبلا لان هذه الامتيازات كانت أعطيت لهم عقب انتصارات الدول فى أوقات حرجة وفى هذا العام فر فوزه بك حاكم المملكتين افلاق وبغدان الى باريس خوفا من الاهالى فعينت الدولة بدله شارل أحد برنسات بروسيا بشروط معلومة فجاء الى الاستانة لتقديم التشكرات للاعتاب السلطانية وفى سنة ١٢٨٤ صار لغو المجلس المعروف بمجلس (والاى أحكام عدلية) وتشكل بدله المجلس الشورى بالاستانة وتشكل أيضا للمجالس النظامية ابتدائية واستئنافية وتميز وأحدث ديوان جسيم بالاستانة باسم (أحكام عدلية) ومعناه بمصر الحقانية وصار تعديل واصلاح كيفية التدريس وزيادة المكاتب وفى سنة ١٢٨٥ دعا اسماعيل باشا خديوى مصر بعض ملوك أوربا لفتح قنال السويس وفى سنة ١٢٨٦ زار الاستانة الامبراطور فرانسوجوزيف امبراطور النمسا وامبراطورة فرانسا وبعض برنسات أوربا فاكرمهم السلطان وفى سنة ١٢٨٧ حدث حريق هائل بالاستانة بادئا من جهة بك أوغلى فكانت الخسائر جسيمة فاعانت الدولة والاهالى المصابين وفى سنة ١٢٨٨ أنشئ عربات ترامواى من الكوبرى الى صماتيه وطوب قبوه ومن قره كوى الى أورته كوى (١) وفى هذا العام مات الصدر الاعظم عالى باشا بمرض الصدر ودفن فى تربته المخصوصة بجوار الجامع السليمانى رحمه الله وكان من أهم رجال عصره وعين بدله محمود نديم باشا ابن نجيب باشا وتنقحت أصول المعاشات وفى سنة ١٢٨٩ عزل محمود باشا المذكور من الصدارة وعين بدله مدحت باشا المشهور ثم عزل وعين بدله محمد رشدى باشا المترجم ثم عزل

(١) محلات بالاستانة

Digitized by Google

وعين بدله محمد رشـدى باشا شروانى زاده ثم عزل وعين بدله أسعد باشا ثم حسين عونى باشا ثم عاد محمود باشا نديم ثانيا وكل هذه التبدّلات حصلت فى ثلاث سنين أعنى لغاية سنة ١٢٩٢ فبذا حصل الارتباك فى أمور الدولة وطلب أهالى بوسنة المسيحيين امتيازات بدسائس أجنبية وعصوا فارسلت الدولة اليهـم فرقة من العساكر ولمساعدة الصرب والجبل الاسود لهم سرا انكشفت أحوالهم فاظهروا جميعا العصيان وفى سنة ١٢٩٣ عزل السلطان محمود نديم باشا الصدر الاعظم وحسين أفندى فهمى شيخ الاسلام وعـين بدل الاول محمد باشا رشدى المترجم وعين بدل الثانى حسين أفندى خير الله

وفى يوم الثلاث ٧ جماد الاول سنة ١٢٩٣ خلع السلطان عبدالعزيز بموجب فتوى وجلس بدله السلطان محمد مراد الخامس فبايعه الناس وكان متأثرا جدا من الاحوال التى رآها قبـل جلوسه مما لايليق حصوله وزاد تأثيرا من دخول حسين عونى باشا السر عسكر عليـه بغير اذنه حين دعاه الى الجـلوس وموت السلطان عبد العزيز فى اليوم السادس من خلعـه مشاعا بان سبب موته قطعه عروق ذراعيه وأعقب ذلك ورود الاخبار بان عصيان بوسنه وهرسك امتـد الى الصرب والجبـل الاسود والبلغار والافلاق وبغدان حيث شهروا السلاح فى وجه عساكر الدولة جهارا وأعقب هذا وذاك واقعـة حسن أفندى شركس الضابط برتبة صاغ قول أغاسى وتفصيلها ان الوكلاء أى النظار بالاستانة عقدوا ليلا مجلسا فى سراية مدحت باشا رئيس مجلس الشورى يومئذ الكائنة فى طوشان طاش وهو محـل بالاسـتانة فذهب حسن أفندى المذكور وكان ياور السلطان عبدالعزيز وقيل ان شقيقته احـدى سيدات السراية ولما وصل وأراد الدخول على الوكلاء منعه الحجاب فقال لهم انى مامور بذلك ومعى تلغراف سرّ مهم يتعلق بالجيش المحارب وضرروى من مقابلة السر عسكر فذهب أحد الحجاب يسـتأذن فسار وراءه حتى دخـلا معا ففى الحـال أخرج مسدسات من جيبه بسرعة عجيبة وضرب حسين باشا عونى السر عسكر مرتين ثم راشد باشا ناظر الخارجية فقتل ثم

جرح بعض الوزراء اما مدحت باشا وباقى الوزراء فقـــد هربوا فى غرفة أخرى وأغلقوا أبوابها فقال لهم والله لاأريد منكم غير مدحت باشا وانى غير مفتر ولا مجنون فقال له بعضهم اعقل يافلان وارجع ولم يفتحوا له الابواب ثم تكاثر عليه الحجاب للقبض عليه فلم يقدروا بل جرحوه جراحات كثيرة حتى ضعفت قواه فقبضوا عليه ثم حكم عليه بالاعدام ونفذ الحكم فهـذه التأثيرات أوجبت حصول خلل فى شعور السلطان مراد فاهتم الاطباء بعلاجه مدّة فلم يثمر فتشاور الوزراء فى ذلك ودعوا مولانا السلطان عبدالحميد أيده الله بنصره فشار عليهم بالصبر والتأنى لعل الله يشفى أخاه ثم لما قطع الاطباء فى مذكرتهم بعدم الشفا طلبوا فتوى من شيخ الاسلام فافتى بانه مخلوع شرعا

وفى يوم الخميس المبارك الحادى عشر شهر شعبان سنة ١٢٩٣ الساعه ٤ والدقيقه ٣٠ جلس للسلطنة الوارث الشرعى شوكتلو مهابتلو ولى النعم السلطان عبد الحميد خان الثانى أطال الله بقاءه وأيد ملكه بنصره العزيز انه على مايشاء قدير وبعباده لطيف خبير

﴿لاحقـــة﴾

واقعة المرحوم السلطان عبـد العزيز رحمـه الله تعالى رحمة واسعة هى كما ذكرنا حسبما اتضح وقتها بنص التواريخ التركية ثم فى سنة ١٨٨١ ميلادية تفضل مولانا السلطان بدقة التحقيق واعطاء الحرية الكاملة للمحققين فظهرت أشياء كانت موجبة لادانة البعض فصار مجازاة جميع من كان له يد فيها بدرجات مختلفة منها نفى مدحت باشا ومحمود باشا نديم الى الطائف فمكثا فيه مدّة طويلة الى ان توفيا أما أولاد المرحوم السلطان عبدالعزيز رحمه الله فهم يوسف عزالدين أفندى ومحمود جلال الدين أفندى ومحمد شوكت أفندى وعبدالحميد أفندى وسيف الدين أفندى

﴿أسماء معاصرى السلطان مراد الخامس وجهاتهم﴾

انجلترا..... الملكة فكتوريا

Digitized by Google

الروسيا ..... اسكندر الثاني ..... امبراطور
ألمانيا ..... غيلوم الاول ..... امبراطور
أوستريا ..... فرنسو جوزيف
فرنسا ..... نابليون الثالث وبعد محاربة ألمانيا وأسره صادت فرنسا جمهورية
ايطاليا ..... امنويل
اليونان ..... أوتون ثم بعد خلعه جوريج الاول
الدانيمارك ... فردريك السابع
البرتغال ..... بترو الخامس
اسبانيا ..... الملكة ايزابله
البلجيك .... لا أوبولد
الفلمنك ..... كيلوم السادس
اسوج ونوروج . شارل الخامس عشر
الصرب ..... ميلان من قبل الدولة العلية ممتازه
افلاق وبغدان . شارل من قبل الدولة العلية ممتازه
الجبل الاسود . . نقولا من قبل الدولة العلية ممتازه
ايران ..... الشاه ناصر الدين
الافغان ..... الامير شير علي خان
بخارى ..... الامير مظفر الدين
الخوقند ..... قولى خان
الخطب ..... الامير حبيب الله خان
كشغر ..... الامير يعقوب خان
فاس ..... منلا عبد الله
الحبش ..... تودور

Digitized by Google

مصر ..... اسماعيل باشا من قبل الدولة العلية ممتازه
تونس ..... محمد صادق باشا من قبل الدولة العلية ممتازه

تنبيه يرى من أسماء الملوك و الامراء المعاصرين للسلاطين المتقدمين اختلاف وتشابه ناشئ من تغير أحوال الممالك و اختلاف الحروف الافرنكية عن العربية فمن يلاحظ من حضرات القراء شيأ من هذا القبيل وصح عنده خلاف ماذكر فليعتمده حيث ان هذه الاسماء منقولة من كتب التواريخ

﴿ واقعـــة تونس ﴾

ولنذكر أحوال تونس و وقائعها الاخيرة اجمالا ليقف القراء على غلطات أمرائها ووزرائها حتى احتلتها الاجانب احتلالا عسكريا باسم الحماية وما كابدته الدولة العلية فى استخلاصها أولا وثانيا من يد الافرنج فنقول

ان أول من تولى فيها بعد الفتح الاسلامى هو عبد الله بن أبى سرح عاملا لسيدنا عثمان بن عفان الخليفة فى سنة ٢٩ هجرية ثم كان خلفاؤه من بعده عمالا تابعين لولاية مصر لغاية سنة ١٥٠ وفى سنة ١٥١ تولى فيها عمر المهلبى وهو أول المهلبيين عاملا من قبل أبى جعفر المنصور ثانى الخلفاء العباسيين لكن لم يكن عاملا بسيطا كأسلافه بل كان مطلق التصرف حتى فى الحرب و السلم شبه امتياز وفى سنة ١٨١ تولى عليها ابراهيم بن الأغلب وصار بنوه يتوارثون الولاية من بعده حتى ان فى سنة ٢٩٧ تولى عليها عبد الله المهدى وكان هو وخلفاؤه مستقلين تقريبا وفى سنة ٣٦٥ تولى عليها المنصور بن يوسف الصنهاجى ثم بنوه من بعده وفى سنة ٦٠٣ جاءت دولة الحفصيين وأولهم الشيخ عبد الواحد وكانوا مستقلين ثم انتقلت فى سنة ٩٨١ الى الدايات والبايات والبشوات من قبل الدولة العلية وفى سنة ١١١٧ انتقلت الى الحسينيين وأولهم حسين باشا التركى لغاية سنة ١١٥٣ ثم تولى ابن أخيه على باشا لغاية سنة ١١٦٩ ثم تولى محمد بن

حسين باشا بن علي باشا لغاية سنة ١١٧٣ ثم تولى أخوه علي باشا لغاية سنة ١١٩٦ ثم تولى ابنـه حموده باشا لغـاية ســـنة ١٢١٩ ثم تولى أخوه عثمان باشا لغاية سنة ١٢٣٠ ثم تولى محمود باشا ابن محمد باشا وفي سنة ١٢٣٩ تولى ابنه حسين باشا وفي سنة ١٢٥١ تولى أخوه مصطفى باشا وفي سنة ١٢٥٢ تولى ابنه أحمد باشا وفي ســنة ١٢٧١ تولى محمد باشا ابن حسين باشا وفي ســنة ١٢٧٦ تولى أخوه محمد باشا الصادق الذي مكن الفرنساويين من الاحتلال في تونس كما سيأتي وكانوا يجتهدون بطرق التذلل للدولة لتوسيـع التصرفات حتى صارت تونس ممتازة

﴿ أسباب استيلاء الدولة العلية على تونس والجزائر ﴾

ان الدولة الحفصية ضعف أمرها الى أن استولى الطليانيون على تونس فاستغاثت الاهالي بالدولة العلية فارسلت اجابة لذلك قوة أخرجت الطليانيين منها واحتلتها محلهم لحد قروان كطلب أهاليها وكانت الجزائر استقلت فلم تتعرض لها الدولة وكانت عاصمتها تلمسان فكثرت فيها الحروب الاهليـة وخشيت الاهالي استيلاء اسبانيا عليها وفعلا استولت عليها فحضر خير الدين باشا الجزائري المشهور المتقدم ذكره في عصر السلطان سليمان الاول وذهب الى الاســتانة وكان هو حاكمها الاكبر وقتئذ وتنازل للسلطان عنها فارسل السلطان مائة سفينة وجيشا فطرد الاسبانيين من الجزائر وعاش هو واليا عليها من قبـل السلطان ثم انقاد للدولة سائر أهاليها وخطب للسلطان سليم الثاني ابن السلطان سليمان الاول في سنة ٩٨١ فما كان من حسن الحفصي آخر أمراء الحفصيين الا انه استعان باسبانيا ووعدها بتمليكها سواحل تونس فاعانته وحاربت حيدر باشا الذي لم يكن عنده غير ألف عسكري فلقلة عسكره وكثرة عسكر عـدوه هرب كما سبق في حينـه ثم أرسلت الدولة سنان باشا فانقذها من الاسبانيين ومن حسن الحفصي وعين لها حيدر باشا المذكور واليا ومعه العساكر الكافية ومن بعده صار لها حاكمان يسميان بالباي والداي فتزاحما وصار لكل واحـد حزب فوقع الاختلاف والحروب الاهليـة

بينهما حتى ملت الاهالى فقتلوا الباى والداى وانتخبوا حسين بن على التركى من الاوجاقيين كما تقدم وذلك فى سنة ١١١٧ واسترحموا من الدولة اعتماده واليا عليهم بدون شريك له فقبلت الدولة وعينته وأنعم عليه برتبة باشا وهو جد العائلة الموجودة هنالك للآن والاوجاقيون هم الضباط الاصاغر كاليوز باشا تقريبا فعلم من ذلك ان أصل جد عائلة باى تونس هو ضابط صغير عثمانى وقد فوضت له الدولة فى الامور عدا المعاهدات مع الاجانب والسياسة وما أشبه ذلك لان الدولة ما كانت تقصد خلاف راحة الاهالى كما قاله المرحوم السيد بيرم الخامس فى كتابه صفوة الاعتبار ثم ظهر الفساد والعصيان باسباب هـذه التفويضات حتى أبطل السلطان محمود رحمه الله تعالى هـذه العادة والسبب الاعظم فى ذلك هو تسبب حسن باشا والى الجزائر فى دخولها تحت الدولة الفرنساوية من سوء تصرفاته وساعد باى تونس وقتئذ على ذلك بمنعه نزول القبودان باشا وعساكره المرسلين من الدولة فى حلق الوادى لعزل الباشا والى الجزائر حتى لاتحتلها الفرنساويون فى حلق الوادى الذى هو مينا بتونس توهما من الباى ان احتـــلال عساكر الدولة بتونس يمس ولايته أو كان ذلك بدسائس فرنساوية ومع ذلك لو كان مكن القبودان باشا من النزول فى حلق الوادى لما ضاعت ولاية الجزائر التى انبنى عليها احتلال فرنسا بتونس بعد خمسين سنه من غلط هذا الباى ثم لعدم وجود أمر بيد القبودان من الدولة على أن ينزل فى حلق الوادى بالقوة عاد للاستانة ليخبر السلطان بذلك وفى أثناء ذلك احتل الفرنساويون الجزائر فلما خاطبه الباب العالى فى ذلك مستفهما عن سبب منعه القبودان باشا من حلق الوادى لم يجد له سبيلا للاجابة خلاف ارتكانه على لزوم كورنتينه ومن أغرب ما يذكر من غلطات حكام المسلمين حصول حرب ما بين والى تونس ووالى الجزائر فى سنة ١٢٣٦ عند اشتعال نار فتنة اليونان بأغراء ومساعدات الدول واشتغال الدولة العلية بها مع حرج موقفها فارسلت رسولا للتداخل فى منع الحرب بينهما وبالفعل أصلح ذات بينهما (فانظر ما حل بالقطرين من المصائب الحالية) فلما

تعين حسين باشا واليا على تونس كطلب الاهالى فرضت عليها الدولة كما فرضت عليها فى عقب انقاذها من يد الطليانيين من اعانة الدولة بالسفن الحربية بلوازمها برا أو بحرا عند الحاجة وهدايا ترسل من الوالى عند ولايته وعند جلوس السلاطين وعند وجود المناسبات وأغلب الهدايا كانت من نتايج البلاد كالخيل الجياد والحيوانات الغريبة والمنسوجات الحريرية والصوفية والاسلحة النفيسة المرصعة بالمرجان واشترطت الدولة أيضا على أن الخطبة باسم السلطان والراية تكون من راية الدولة والنقود باسم السلطان والجبايات تكون على قدر حكومة تونس الداخلية والخربة فقط لان سنان باشا فاتح تونس لما رأى حالتها لم يشترط عليها وقتها خلاف ماذكر وفى سنة ١١٨٤ حصلت نفرة بين فرنسا وعلى باشا باى تونس فجاء أسطول فرنسا الى سواحل تونس ورمى بعض الحصون وبمصادفة وجود مندوب الدولة بتونس لطلب الاعانة الحربية لان الدولة وقتها كانت فى حرب مع دولتى الروسيا وأوسترياتداخل المندوب بين فرنسا وباى تونس وأصلح ذات بينهما فعاد أسطول فرنسا كما جاء وعادت العلاقات الحسنة كما كانت وفى سنة ١٢٥٥ طلب والى تونس أحمد باشا رتبة المشيرية فانعم عليه بها وبنيشان وفى سنة ١٢٥٦ أمرت الدولة والى تونس باعمال التنظيمات الخيرية على مقتضى فرمان (كولخانه) فاجاب الوالى الطلب مبدئيا وطلب المهلة وفى سنة ١٢٥٨ ألحت عليه الدولة بالتنفيذ فارسل اليها رسولا يطلب امهاله أيضا وفى سنة ١٢٦٣ كثرت الدسائس الاجنبية فى تونس فخاف الوالى من الدولة العلية توهما من الوشايات الاجنبية فاستشعرت الدولة بذلك فارسلت اليه رسولا لتأمينه من جميع ماتوهم به وبتأييده فى ولايته لمدة حياته مع اسقاط الاموال المقررة على تونس ففرح الوالى (وهذا أحد احتجاجات فرنسا لدى الدول على استقلال تونس عند ماأرادت احتلالها) ثم اقتفى الوالى من الدولة بجميع الامتيازات منها الولاية لاآله من بعده وفى سنة ١٢٦٥ أرسل له عباس باشا والى مصر مكتوبا ودادية ينصحه فيه بترك الاوهام ويحذره من الدسائس الاجنبية وقال له انه لمذاهب للاستانة نال من السلطان

ومن رجال الدولة من الاكرام وحسن المعاملة ما يدهش الالباب مع أن أفعال جدّه محمد على باشا وعمه ابراهيم باشا ضدّ الدولة معلومة فالاحسن أنك تذهب معى الى الاستانة وترى ماتناله من الحظ الاوفر فاجابه بانه عبدللدولة ولم يختلج بفكره شئ مما يتهم به خلاف تمسكه بالامتيازات السابقة (قاتل الله هذه الامتيازات التى أولها امتياز وآخرها اجهاز) ثم أرسل اليـه عباس باشا رسولا من العلماء ومعه آخر من التجار ليفهماه ان الدولة تقصد من الاصلاحات والتنظيمات خيرا وجمع كلمة المسلمين ولا باس فى ابقاء الامتيازات ومنها عدم وجوب ذهاب الوالى الى الاستانة وفى سنة ١٢٧٠ أرسل أحمد باشا والى تونس المذكور أربعة عشر ألف عسكرى وفرقاطة شراعية وستة سفن اعانة للدولة فى حرب قريم وفى سنة ١٢٨١ أرسلت الدولة حيدر أفندى رسولا للنظر فى الثورة العامة التى حصلت فى تونس وأرسلت أيضا مليونا ونصفا من الفرنكات اعانة لتونس من الضيق المالى فسكنت الثورة ثم حصلت من الاهالى ثورة عامة وشكوا للدولة من الظلم فذهب حيـدر أفنـدى بالاسطول العثمانى وأرسلت الدول أساطيلهم فطلب الاهالى تداخـل الدولة العلية بواسطة مندوبها لاصلاح داخلية البلاد وطلبوا انضمامهم فعلا للدولة ورفعوا عـلم الدولة فى أماكنهم فحينئذ تداخلت الدول كل على حسب غرضه فاثرت الحالة على الوالى ووزيره واستقر الرأى على ارسال تشكر للدولة على مافعلته والرجاء منها بارسال فرمان بروابط الامتيازات بما لم يبق معـه مقال يقال وكان هـذا الرأى مملوءا بالدسائس الاجنبية ظاهره كما يرى وباطنه كان أساسا لدخول القطر تحت نفوذ الدول الاجنبية فارسل الوالى خـير الدين باشا الشهير للاستانة بطلب ترك المـال وزيادة الامتيازات فذهب وعرض ذلك على الصـدر الاعظم فؤاد باشا الشهير وبعد اجتماعات كثيرة بين الوزراء بالاستانة تقرر ما مضمونه ان الصدر الاعظم سيرسل قريبا للوالى فرمانا كما يطلب ثم ان السلطان عبـد العزيز رحمـه الله تعالى قال لخير الدين باشا انى أحترم والى تونس ولكنى متأسف جدّا من تصرفاته السيئة التى أهوت بالقطر الى الخراب والتفليس على غير عذر فعاد

Digitized by Google

خير الدين باشا وفى سنة ١٢٨٨ ظنت ايطاليا ان الفرصة مناسبة لتداخلها فى أمر تونس حيث ان فرانسا والمانيا فى حربهما وان الدولة العلية بعيدة عن تونس ولوجود لجنة ايطالية بها وأخفى الباى أغلب الامور المهمة على الدولة العلية وكان مصطفى باشا الخزندار وزير تونس أجر أرضا واسعة الى لجنة ايطالية فأوسعت اللجنة الامتيازات والحدود فارسل الوزير المذكور أحد أعوانه دائما للتسبب فى فسخ الايجار فادعت اللجنة حصول خسائر لها من تعدى تابع الوزير الذى امتنع من تحمل شئ من ذلك ففرحت ايطاليا بهذا المشكل وأمرت قنصلها بقطع العلائق وتهديد الوالى ثم جهزت أسطولها للاستيلاء على تونس فاستشعرت الدولة العلية بذلك وتداخلت ومنعتها وانتهى الامر بدفع تعويض الخسائر بعد ثبوتها وذلك بناء على أمر الدولة العلية ثم ان الدولة أخرت ارسال الفرمان للباى لهذا السبب فكتب الباى الى الاستانة باستعجاله وكتب خير الدين باشا أيضا للباب العالى ما مضمونه ان القطر التونسى فى خطر وان لم تتداركه الدولة تسوء العاقبة فورد جواب من على باشا الصدر الاعظم بان نازلة الفرمان تقضى بارسال معتمد من قبل والى تونس للتفاهم فى النازلة مع تلميح باستقباح سير الوالى ففهم ان الدولة غير راضية بان يبقى الفرمان على مكتوب الصدر السابق فوجه خير الدين باشا ثانيا بالتفويض وكان الصـــدر الاعظم يومئذ هو محمود نديم باشا فاحضر الفرمان والنيشان المجيدى المرصع فلما عاد الى تونس أرسل الوالى لاستقباله مصطفى بن اسماعيل أمير أمراء المقربين اليه وعقد موكبا الى خير الدين باشا أما مضمون الفرمان بالاختصار فهو المشير المفخم الحائز للنيشان المجيدى الشريف مع النيشان الهمايونى المرصع وزيرى محمد صادق باشا أدام الله اجلاله آمين ليكن معلوما ان الايالة التونسية التى هى من ممالك دولتنا العلية المتوارثة التى عهدتك كما وجهت سابقا الى عهدة أسلافك لم تزل تظهر حسن السيرة وتنهى الى طرفنا خلوص النيـة فأمولنا السلطانى هو على مقتضى الشيم المرضية التى جبلت عليها هو الدوام فى ذلك المسلك المرضى ولما كان المقصود الأصلى والمراد

Digitized by Google

القطعي لسلطنتنا السنية هو ارتقاء طمأنينة الايالة الراجع لدولتنا عمرانها والراحة لسكانها ولتمام الاستحصال على هذه المطالب وما ورد بها أخيرا بكتابك الملتمسين به من جانب الخلافة العلية قررت وأبقيت أيالة تونس المحدودة بحدودها القديمة المعلومة بضم امتياز الوراثة وبالشروط الآتية وحيث ان مرغوبنا السلطاني على ماتقدم بيانه هو تزايد عمران تلك الحكومة وراحة الاهالي قد سمحت السلطنة السنية بعدم ارسال ما كان يرسل باسم معلوم من الايالة لطرف دولتنا العلية بموجب التبعية المقررة لمملكتنا الملوكية وصدرت ارادتنا السنية بان يكون والي تونس مرخصا له في تولية المناصب الشرعية والعسكرية والملكية والمالية لمن يكون متأهلا لها وفي العزل عنها بمقتضى قوانين العدل وفي اجراء المعاملات المعلومة مع الدول الاجنبية كما كان سابقا فيما عدا المواد البوليتيكية العائدة الى حقوقنا المقدسة الملوكية ونعني بها ما كان كعقد الشروط المتعلقة باصول السياسة والحرب وتغيير الحدود ونحوها مما يكون اجراؤه من حقوق سلطنتنا السنية وعند حلول القدر المحتوم في الولاية وتقديم المفروض لطلب الفرمان الشريف من الوارث الاكبر من عائلتك لطرف سلطنتنا السنية يرسل الفرمان مع منشور الوزراء والمشيرية الهمايوني كما الجاري للآن بشرط ان تستمر الخطبة باسمنا السلطاني وتزين السكة التي تضرب علامة علنية للارتباط القديم الشرعي لايالة تونس لمقام الخلافة وان يبقى السنجق على لونه وشكله ومهما وقع الحرب لدولتنا مع أجنبي يرسل عسكر عن تلك الايالة الشهانية بقدر الاستطاعة طبق ما جرت به العادة القديمة في الجميع ومع تلك المواد يكون أمر الولاية بطريق الوراثة لعائلتك على ان تبقى سائر المعاملات الارتباطية مع دولتنا العلية جارية مرعية كما كانت سابقا وان تجرى الادارة الداخلية لتلك الايالة مطابقة للشرع الشريف وقوانين العدل التي يقتضيها الوقت والحال الكافلة بتأمين السكان في النفس والمال والعرض فاعلانا بما ذكر صدر هذا الفرمان الجليل من ديواننا الهمايوني وأرسل موشحا أعلاه بخطنا السلطاني فخلاصة نياتنا السلطانية انما هي اصلاح حال تلك

Digitized by Google

الايالة المهمة المودعـة بعهدة صداقتكم وبآل بيتكم لسعادة ورفاهيـة تبعيتنا المستظلين بظل عـدلنا السلطانى مع تمام المحافظة على حقوق سلطتنا المحققة بتونس من قديم الزمان فيلزم الاهتمام باجراء هـذه الشروط المؤسسة انتهى فى ٩ شعبان سنة ١٢٨٨

ولما قرأ هذا الفرمان حصل لعموم الاهالى افراح خارقة للعادة فى الحاضرة وفى سائر البلاد وقبائل العربان ودامت الزينات مدّة ثلاثة شهور متوالية والسبب فى ذلك مايتعلق بالوالى من استقرار أمره على أساس متين له ولعائلته طالما سعى من كان قبله ولم يتحصل عليه وأما فرح الاهالى فلحصول مرغوبهم من تمام الاتصال بالدولة العلية الاسلامية مع شروط الامن وحسن الادارة فيها ولم ينكر أحد من القناصل هذا الفرمان ولم يعارض أحد من الدول لان الدولة لم تقصد من هذا الفرمان الا خير الوالى تونس وللامة التونسية ولكن جاء الامر بالعكس من جهل وعـدم اخلاص الوالى ووزرائه حيث انهـم استنادا على هـذا الفرمان اتسعوا فى أمور الامتيازات مع جهلهم بامور السياسة خصوصا مع فرنسا وايطاليا وكانوا يخفون أغلب الامور المضرة بهـم على الدولة العليـة حتى نتج من ذلك احتلال فرنسا فيها ومن ضمن أسـبابه غفلة الوالى وسماعه الدسائس الاجنبية فى ازعاج نفس خير الدين باشا الوزير الشهير الذى صارت تونس بسياسـته فى مدّة وجيزة بحالتـه من الاصلاح يحسدها العـدو عليها حتى استعفى وتعين بدله مصطفى بن اسماعيل الذى نشأ فى معية الوالى ومن اتباعه وكان مغرما بالتجمل بالملابس الفاخرة حتى كان فى أصابعه جملة خواتم وعلى صدره مجوهرات كثيرة وسلسلة ساعته كانت مجوهرة ومن أسباب الاحتلال أيضا مادة المسيو ريسانسى الفرنساوى الذى أخذ من حكومة تونس أربعمائة ماشيه (١) أرض قابلة للزراعة والسقى لتربية المواشى فيها من خيل وبقر وغنم وليس للحكومة شئ فى ذلك فحصل خلاف بينه وبين الحكومة فتداخل قنصل فرنسا فى الامر وبواسطته منع المذكور

(١) الماشيه الواحده تسعة آلاف وستمائة ذراع تقريبا

Digitized by Google

دخول أحد من رجال الحكومة فى الارض المذكورة فارسل الوزير المذكور رجالا فمنعهم القنصل ثم طلب من الحكومه أربعة مواد الترضية والقا المسؤلية على من تسبب فى النازلة وعقد مجلس مختلط للنظر فى طلب المسيو ديسانسى والرابع الجواب عن ذلك فى ظرف يومين وقد شاع بايعاز منـه على أن الغرض من القاء المسؤلية على المتسبب هو عزل الوزير فاضطربت أحوال الوالى والوزير واشتد خوفهما ولم يعلما الدولة العلية بالمسئلة ثم ترجى القنصل بصرف النظر عن الوزير واجابة باقى الطلبات ويضاف الى ذلك عزل الكاتب الذى ذهب للارض فكتب الوالى تلغرافا لناظر خارجية فرنسا بارسال رسول اليه ليتكلم معه فى المسئلة فاجيب بواسطة القنصل بانه لافائدة فى ذلك وان القنصل معتمد لدى فرنسا فاجاب الوالى بالقبول ونزل الوزير ابن اسماعيل فزار القنصل وهو بملابسه الرسميـة واعطاه الترضية ثم عقـد مجلس برئاسة واحـد فرنساوى وكانت النتيجة ظهور الحق بيد المسيو ديسانسى ضد الحكومة ثم طلب أحـد الفرنساويين مد سلك كهربائى فاجيب وكذلك سمح الباى لفرنسا باتصال السكة الحـديدية الجزائرية بتونس ومن المتممات لاسـباب احتـلال فرنسا ان الوزير ابن اسماعيل سعى فى ابدال القنصل ثم غير مشربه حتى طمع فى ولاية العهد بان يتولى بعد سيده الوالى الحالى محمد صادق باشا اذا أتم ادخال تونس طوعا تحت فرنسا فاحكم مع القنصل المودة حتى قيـل ان بطانة الوزير تأتى اليـه معلمة له بجميـع أسرار الحكومة وسائر تصرفاتها حتى اتفق الوزير مع القنصل على شروط ادخال تونس تحت فرنسا غير ان الوالى لم يسعف بالاجابة على تلك الشروط التى قدمها الوزير له سرا خوفا من الدول ومن الاهالى لئلا يخبر أحدهم الدولة العلية فجعل الوالى يسوف العقد من وقت الى آخر وجعل الوزير يسعى فى احداث وجه لتداخل فرنسا فارسل سرا الرسل للاستانة يلتمسون ان تطلب الدولة رسميا أو ترسل الاسطول العثمانى الى ميناء تونس فلم يسعف السلطان الى طلبه الاعوج وقيل انه أساء معاملة ايطاليا لاجبارها على اعلان الحرب على تونس ليطلب من فرنسا الحماية ولم ينجح فيه ثم أظهر

الاستخفاف بقنصل فرنسا ظاهرا ومال عنه كل الميل فكتبت رعايا فرنسا لدولتهم بان حقوقهـم فى تونس ضائعـة وطلبوا الانتصاف و اذا بفرنسا قد أتت بخيلها ورجلها الى حدود تونس معلنة بان قصدها حفظ حقوقها فى جهة الحدود وغيرها (وهذه الاقوال هى العادية من الدول التى تريد أخذ بلاد الغير أو الاحتلال فيها) و استفتت فرنسا على هذا العمل بما حرره ناظر خارجيتها الى سفرائها لدى الدول فى ٩ مارس سنة ١٨٨١ ماملخصه أيها السيد أتشرف بان أرسل لكم جملة رسائل فى شأن تونس وأريد أن أحقق لكم المقصد اجمالا و نخبركم عن سبب ارسال العساكر الآن وعن النتيجة التى نرجوها فكم من مرة عرفت الدولة الجمهورية مقاصدها وأنتم تذكرون ذلك خصوصا ماصرح به السيد رئيس الوزارة فى المجلس العام وهو لايمكن أن يكون فيه أدنى شك من صدقه ومع هذا فانى أريد زيادة الايضاح لينفعكم لدى الدولة التى أنتم عندها فتقول أن سياسة فرنسا فى تونس ليس لها الا مقصد واحد وهو الذى يوضح سيرتنا من منذ خمسين سنة الواجب علينا لحفظ وراحة مستعمراتنا العظمى الجزائرية (يفهم من هذا أن مقصد فرنسا موجه نحو الاستيلاء على تونس من قبل هذا بخمسين سنة أى من يوم احتلالها الجزائر) فمن سنة ١٨٣٠ لم تات دولة من الدول المتتابعة على انكار مستعمراتنا الافريقية و اننا لنعمل الواجب علينا لحفظها من جار عدو أو كثير الاراجيف وقد كانت القبائل التونسية مخوفين ومحاربين حتى فيما بينهم وقد فاق على الجميع قبائل وسنانة والفراشيش وخمير ولاتعرف كمية المحاربين ولا كمية قوتهم فلذلك التزمنا الآن أن نرسل من العساكر عشرين ألفا و كان الداعى الاول لارسال العساكر قهر قبائل حدودنا الشرقية ولكن لافائدة فى تقرير الامن والراحة وأعداؤنا لايزالون يهددوننا ونحن لانخاف من الهجوم المنسوب لباى تونس اذا كان منه وحده لكن نظر القليل فى العواقب ألزمنا التحرى من اتحاده مع غيره وهذه تشويشات يمكن أن ياتى لها وقت وتقلقنا كثيرا فى الجزائر و تصل حتى الى فرنسا فيلزمنا بناء على ما ذكر أن يكون لنا عند الباى محبة كبيرة و اتفاق قلبى و يلزمنا جار يعوضنا المحبة التى لنا عليه ولا

Digitized by Google

يسمع التشويشات الخارجيـــة لضررنا واستحقار قوتنا الراسخة ونحن نحترم بالتدقيق منافع الاجانب وهم يقدرون أن يتوسعوا بثبات مع فوائدنا والدول يتحققون من أن مقاصدنا من جهتهم لا تتغير والى هاته المدة الاخيرة اتحادنا مع دولة الباى المفخم مستمر الا ما يحدث أحيانا من الاختـلاف فى دفع تعويضات لقبائلنا المضرورين ثم فى الحين يرجع الاتحاد ويزداد ثبوتا الا هاته المدة الاخيرة فانه باسباب يصعب الاطلاع عليها قد تغير ميل الدولة التونسية الينا دفعة واحدة وهذا الحال هو السبب الثانى لارسال العساكر التى كنا نود التجنب منه ولكن بسبب السيرة الرديئة التى طالما صبرنا عليها ألزمتنا بما هو واقـع لاننا نعترف أن تونس كمملكة مستقلة وأما الحالة فى المخالطة الآن مع الباب العالى فهى مخالطة محبة وميل طبيعى وبودنا لو كنا رأينا نازلة تونس فى منظر آخر غير الذى هى عليه الآن ولكن قد بان ما يجب علينا مما ذكرناه سابقا وأننا نقدر أن نستفهم من الباب العالى اذا كان باى تونس هو والى من قبلهم فلماذا لم يمنعوا سيرته التى فعلها نحو فرنسا منذ عامين (ومن العجيب أن فرنسا لا تريد فى نفس الامر أن يطلع الباب العالى على أمور تونس وكثيرا ماكانت تظهر للباى عدم ارتباطه بالباب العالى والاغرب ان فرنسا لم تشتك من باى تونس للباب العالى ولا بخبر بسيط فبذا افتراء فرنسا ظاهر قاتل الله الاغراض السيئة) ولماذا لم يفتشوا ليمنع التحيز الموجود الآن الذى نحن مجتهدون أن ينتهى بشروط تؤمن حدودنا من الهرج المستمر والتشويش المغرى البارد ولا نخاف عند ما نقول ان لنا فى أوربا الرضا العام فى جميع الجهات عدا الجهات التى بها النظر الفارغ المطمس للعقول وهذه هى أيها السيد التى خيمت حول الباب وحول تونس وفى كلا الطرفين فنحن مشمولون بالمحبـة وجميع ما نرجو من الباى هو أن لا يكون عـدوا لنا ولو أن المملكة تنظر لفوائدها فتقدر أن تتحصل من اتحادها معنا على فوائد لاتحصى أكثر مما نحصله نحن منها (فتأملوا) من هذا ونقدر أن ناتى لها بكل خير من العمران الحاصل عندنا ففى سنة ١٨٤٧ فعلنا فيها البريد وفى سنة ١٨٥٩

Digitized by Google

وسنة ١٨٦١ فعلنا التلغراف وفى سنة ١٨٧٧ وسنة ١٨٧٨ فعلنا السكة الحديدية بطول خمسين فرسخا من حدود الجزائر وفى هذا الزمان تفعل بها سكتين حديديتين احداهما لتربط تونس باين زرت (١) من جهة الشمال وطولها عشرون فرسخا والاخرى تربط تونس بالسوسة من جهة الجنوب (ياليتها لم تفعل شيأ من ذلك حيث انها سموم قاتلة) وسنبتدى عن قريب فى ابتداء عمل مرسى فى نفس تونس لتدخل المراكب (الفرنساوية طبعا) من الشط ومن حلق الوادى الى ذات القاعدة وان الحنايه الجميلة التى تأتى بالمياه العذبة الى تونس قد أصلحها أحد المهندسين الفرنساويين ولما ترجع الخلطة الطيبة فانا لانزال نفعل أشياء حسنة ومنارات على الشطوط وطرقا داخلية توصل بين البلدان ونسقى الارض بالترع الكبيرة فى البلاد التى بها أنهر كثيرة ولكن هاته البلاد أهلها ليسوا معتنين بتلك الانهر وكذلك الغابات وكذلك نعمل استخراج المقاطع الموجود بها كل نوع من المعادن وكذلك ترتيب الفلاحة فى الاراضى الحسنة وبالجملة ان مملكة تونس خصبة وغنا قرطاجنة القديمة يدل على ذلك وتحت الحماية الفرنساوية يمكن ان تزال جميع الحجب عن المنافع الطبيعية فى هاته البلاد ونقدر ان نزيد أشياء أخرى وهى انه اذا كان الباى يعتمد علينا فى الترتيب الداخلى فى المملكة فانا نفعل الخير الذى يسهل علينا عمله منه ترتيب كيفية قبض الايرادات والمصروفات ودفاتر الحسابات على مقتضى مانستعمله نحن فى ماليتنا ومنه أيضا خير عظيم وهو ترتيب العدلية على الاصول التى فعلتها الدول فى ترتيب العدلية فى مصر وفائدة هاته التراتيب لاترجع الى فرنسا وحدها بل للمملكة ولجميع الدول المتمدنة التى نحن منها (وأين التمدن مع هذا النهب) فلا يمنعنا شئ من عملنا فى تونس مثل الذى فعلناه فى جزائرنا والذى فعلته انجلترا فى الهند اذا نحن جعلنا باى تونس متكفلا بمطالبنا الحقانية فهو الدليل على مانحسبه دائما من ان تونس مملكة مستقلة من غير ان نراعى بعض آثار للتبعية بالاسم فقط لبعض أسياد قد تركوها مدة قرون

(١) مينا بتونس

Digitized by Google

(فانظروا أيها الامراء العرب ومن على شاكلتهم كيف تفسر الدول الطامعة فى بلادكم تفويضات الدولة العلية وتوسيع امتيازات بعض الممالك الاسلامية بقصد زيادة العمران وراحة الاهالى فكلما اشتد الارتباط بين الممالك الاسلامية وبين الدولة العلية قوى الحفظ من الاغتيال والعكس بالعكس) وقد تظهر تلك التبعية نادرا ولو تحسب المدّة التى هى فيها مستقلة لكانت أكثر من مدّة التبعية ففى سنة ١٥٣٤ أخذها المشهور بباربوروس خير الدين أربع أو خمس مرات بانتصاره على اسبانيول وفى العام الذى بعده أخذها شارلكين وكذلك فى سنة ١٥٥٣ ثم أخذها داى الجزائر فى سنة ١٥٧٠ ثم أخذها الدونجوان النمساوى فى سنة ١٥٧٣ ثم فى طول القرن السابع عشر كانت تحت ظل الانكشارية من غير حكم (فانظروا المغالطة بجعل الدولة العلية وحكمها فيها ينسب للأنكشارية) ورؤساهم الموسومون بالدايات كانوا اذ ذاك أربعين فقسموها تقريبا كالمماليك الذين قسموا مصر ثم فى سنة ١٧٠٥ كان أحدهم المسمى بحسين بن على الذى أصله كريكى أو كرسكى صار مسلما وكان هو أحذقهم فعرف كيف يستميلهم وقتل جميعهم واشتهر بالباى وبعصيان العساكر أقام العائلة الحسينية ومن ذلك الوقت لم تزل الامارة فيهم على هيئة السيادة الاسلامية ولهم الآن مائتا سنة تقريبا وهم مستقلون والرابطة الحقيقية بينهم وبين الباب العالى هى رابطة دينية وهم يعترفون بالخليفة الا انهم ليسوا تحت السلطان ومما يوضح هذا انهم لا يدفعون له أداء الاعند ولاية كل باى يرسل هدية تعظيما لرئيس الديانة القاطن بالقسطنطينية (ما أعجب هذه التفسيرات الخداعية) وفى باقى مدّة الولاية فلا مسئلة سياسية يمكن ان تذكر غير هاته التحية الوداية فليس لأمير المؤمنين حق آخر على باى تونس والمملكة تعقد شروطا كدولة مستقلة مع دول الاجانب وتعقد معهم اتفاقات برضاء الباى فقط وعلى هذا النمط وقعت معاهدة مع فرنسا فى سنة ١٧٤٢ وكذلك فى العام الثالث والعام العاشر وفى سنة ١٨٢٤ وهكذا صارت

Digitized by Google

المعاهـدة (١) المهمة فى ٨ أغسطس سـنة ١٨٣٠ التى تمنع ملك العبيـد والتلصص فى البحر ولا يلزم التـكلم على المعاهدات الباقية كالتى فى شأن صيد المرجان وان الباب العالى لايحكم على الولاية الا حكما وقتيا وهو راض باستقلالها ومما يؤيد هذا انه في القرن الثامن عشر لم يقبل تشكى دول أوربا من التلصص البحرى والسعى البربرى وليس له حكم عليهم وهو ليس مولاهم وهو لم يضمن السرقات التى فعـلوها مخلة بتجارة البحر المتوسط وان دول أوربا عملوا الحرب عشرين مرة مع المملـكة من غـير عقد الحـرب مع تركيا وفى سـنة ١٨١٩ كانت معاهدة اكس لا شبيل حكمت على تونس بمنع التلصص البحرى من غير ان يطلب من الباب العالى التداخل على انه متسيد على تونس وفى سنه ١٨٣٣ حاربت مملـكتا سار دنيا ونابلى تونس من غـير أن تحاربا الباب العالى لانهـما يريان مثل ما ترى ان تونس مستقلة ثم ان علاقة تونس مع فرنسا وقت أخذ الجزائر على النحو السابق مع واسـطة تركيا ولما قـدم الينا أحمـد باى فى سـنة ١٨٤٣ قوبل بكل مايلزم من التعظيم للملوك والباب العالى لم يتوجع اذ ذاك من عملنا التعظيم الملوكى وكذلك جميـع أوربا لم تلم على ذلك لان رأيها موافق لرأى اللورد أبردين الذى يقول فى تسجيله ضد أخـذنا الجزائر المكتتب بتاريخ ٢٣ مارس سنة ١٨٣١ ان الدول الاوروباوية يفعلون من مدة طويلة المعاهدات مع الدول البربرية مثل الدول المستقلين وخصوصا تونس فانها لاتحسب نفسها الا حرة والدليل الواضح الحق الذى لاينكره أحد هو عمل القوانين فى تونس المسماة بويورلدى وحلف عليها الباى الموجود بتونس محمـد الصادق لما جلس على الكرسى فى ٢٣ ايلول سنة ١٨٥٩ مثل ماحلف أسلافه فان قانونا واحدا منها وهو المسمى بالقانون النظامى لمملـكة تونس قد احتوى على مائة وأربع عشرة

(١) لم تكن الولاية التونسية ماذونة من الباب العالى باجراء المعاهدات مع الدول ولا التداخل فى السياسة فاذا كانت هذه المعاهدات حقيقية تكون من باب الخيانة وهكذا الامراء يغلطون

Digitized by Google

مادة وانتشر بالعربى والفرنساوى فى تونس ولم يصرح فيه ولا بكلمة واحدة تقول السلطان ومما لايقدر انيشك أحد معه فى استقلال الباى مانشر فى الصحيفة الرابعة من المقدمة فى ذلك القانون ونصه ان الموظفين الكبار التونسيين اختاروه بكلمة واحدة ليكون رئيس الدولة على مقتضى قانون الوراثة المعروف فى المملكة وفى ذلك القانون فصول تامة شرحت الحقوق والواجبات للملك وحالة الامراء من العائلة الحسينية وحقوق واجبات الرعايا وكيفية خدمة الوزراء وترتيب خدمتهم والمجلس الكبير بالمملكة والمداخيل والحساب ولا شك ان من يطلع عليها يجد ذلك البيان ومع هذا فهو دليل واضح على استقلال مملكة تونس وجميع المعاهدات التى بين الدول وبين تونس منذ الثلاثة قرون الاخيرة لم تقل الا مملكة تونس وملك تونس ومنها خمسة عشر أو عشرون معاهدة أمضيت من فرانسا فيها ذلك القول (وليس هذا بعجيب لان فرانسا من منذ خمسين سنة تعمل الامور المسهلة لاستيلائها على تونس فكل هذه المعانى والالفاظ فى المعاهدات هى وضع يدها لتتخذها حجة لها عند الفرصة كما هو الحاصل وانما عدم ادراك البلى ووزراؤه معنى هذه الدقائق وفرح الوالى باسم الملك الفارغ مما يعار عليهم وعلى أمثالهم) وأيضا المعاهدة التى وقعت مع ايطاليا فى سنة ١٨٦٨ مذكور فيها مملكة تونس فبناء على ماتبين من الادلة القطعية المتعددة فالباب العالى لا يقدر ان يتعجب من انكار فرنسا لسيادته على تونس وفى سنة ١٨٣٥ أدخل تحت سيادته طرابلس وأراد انيعم سيادته على تونس فرأى قوة فرنسا المضادة له منعته من مقصده وفى سنة ١٨٤٥ أتى ماينجى السلطان الى تونس ومعه فرمان ليقلد الباى منصب الولاية الا انه لم يقبل منه ثم مضت عشرون سنة من غير تجربة جديدة لكن فى أواخر سنة ١٨٦٤ رجعت التقيمات القديمة وانما هاته المرة كانت المملكة بنفسها هى التى طلبت التقليد ولكن هذا كان من الغريب اذ وقع من الامير الذى هو حينئذ لذلك الوقت بعينه وهو يظهر المدافعة عن استقلاله وهذا انما كان من الاشارات القوية التى خوفت الباى من حالته امام الباب العالى

فارسل لذلك أمير الامراء خيرالدين الى القسطنطينية ليعرض و يأتى بالفرمان وهاته المرة أيضا عارضت فرنسا فى ذلك وعوضا عن الفرمان السلطانى فالباى ومستشاروه التزموا بالرضاء بمكتوب وزيرى متضمن مافى الفرمان ثم اغتنم الفرصة وقت مصيبتنا فى سنة ١٨٧١ وتموا ماكانوا ممنوعين منه سواء كان فى مدة لوى فيلب الذى كان فى الغالب اسطوله يمنع الاسطول التركى من القدوم الى تونس فى مدة الامبراطور الذى لم يقلل من العزم المشار اليه وفرمان ١٥ تشرين أول سنة ١٨٧١ الذى اتخذوه تحت ظل مصيبتنا انتشر فى ١٧ تشرين الثانى فى باريط على يد خير الدين باشا باسم السلطان وقبله الباى الذى كان طلبوه له مع عدم الارتياح وفرنسا على كل حال سجلت بقوة وحسبت الفرمان باطلا و كأنه لم يقع ومن مدة عشر سنين لم تبطل شيأ من عملها عند مايقتضى الحال ومع نجاح الباب العالى هو بنفسه له شك فى اجراء حق فرمان بتاريخ سنة ١٨٧١ الذى ضرب استقلال مملكة تونس المتقادم وهذا الفرمان انتشر قليلا على انه عند الغالب لايعرف ماعدا بعض الدول التى لها فوائد فانهم تأولوا فى ترتيب الفرمان المذكور بأن تونس تكون جزء تحت يد الباب العالى مع ان حكم باى تونس باق كما كان يعرف من منذ مئتى سنة غير أن الباى صار واليا أى واليا عاما على ايالة تونس وعلى موجب ذلك فالوراثة فى الحقيقة لم تكن مستمرة فى العائلة الحسينية خلافا لما ذكره الفرمان بل الوالى يعزل بأرادة السلطان ومن الممكن ان يعرف الباى ضرره وضرر مملكه وحريته وحياته التى هى غلطة كبيرة حسبما أشاروا عليه بها ومحمد الصادق ليس له خوف من جهة فرنسا ولومع ماعمل من الشر معها ومع هذا فهى ليست ضده لا لذريته ولا لذاته ولا لدولته ومن جهة الباب العالى فهو بالعكس وله الخوف الكبير منه لانه يمكن أن يبدله بحسب الحال انتهت

واذا تأملها المتبصر وتدبر معانيها يجدها مخالفة للواقع سيما فى بعض الاحوال التاريخية كما يتبين من مقابلة ماذكر فى تاريخ تونس وسياستها وصلتها مع الدولة العلية من المكاتبات الرسمية التى تكررت حتى من موظفى فرنسا ويؤكد ذلك

أيضا فى لوائح الباب العالى ولائحته الاخيرة فان الحالة لما بلغت الدرجة الاخيرة تظاهر والى تونس بان أرسل للباب العالى مكاتبات بالتشكى من فرنسا وأرسل الى نواب الدول تسجيلا على ذلك أيضا ولما تحقق الباب العالى الاحوال رسميا أرسل عدة لوايح الى سفرائه محتجا لدى الدول بالمحافظة على المعاهدات وبالاخص معاهدتى باريس و برلين الواردفيهما املاك الباب العالى وعدم جواز مسها وأخيرا أرسل وزير خارجية العثمانية الى سفراء الدولة مما يوضح فيها مقاصد الدولة وملخصها كما يأتى

فى عشرة مارس سنة ١٨٨١ بالقستنطنية ان اعلاماتى المختلفة عرفت فطا تتكم الوقائع التى صارت فى المسئلة التونسية وقد نسبت لبعض القبائل البدويين بجهة الجزائر بالهجوم فالحكام التونسيون اعلنوا بانهم حاضرون ليضبطوا من غير تراخ فالدولة الفرنساوية حكمت بان يلزمها ارسال عدد وافر من العساكر الذين قد استولوا على جزء عظيم من الولاية ولم يبعدوا عن المركز الا ببعض فراسخ فمن غير التفات الى ماكنا أكدنا به على حضرة الباشا (١) ليأخذ التدابير اللازمة لتمهيد الراحة فى المواضع الثائرة فدولة الجمهورية لاتريد أن تنظر المخالطة الاقترانية بتونس مع السلطنة العثمانية التى هى محسوبة جزءا مهما للسلطنة المذكورة على أن سيادة السلطان التى ليس فيها خلاف على هذه الولاية وهى سيادة لاتنكرها أى دولة من الدول عموما وهذا الحق بقى للآن صحيحا ولم ينقطع من زمن فتحها فى سنة ١٥٣٤ ميلادية بخير الدين باشا وفى سنة ١٥٧٤ بقليج على باشا وسنان باشا وكانت الدولة العلية أرسلت الى تلك المواضع قوة عظيمة برا و بحرا ومن زمن ذلك الفتح فالتأسيسات التى فعلها الباب العالى هى ان جميع ولاة تونس يتوارثون الولاية من ذرية الوالى الاول المسمى من السلطان و يتقلدون الى الآن المنصب منه وفرمانات الولاية تبقى فى خزنة الديوان وكذلك جميع المكاتبات التى تأتى منهم للباب العالى فانها تارة تكون فى شأن مخالطتهم مع الدول الاورباوية وتارة تكون فى شأن أحوالهم الداخلية

(١) يقصد به باى تونس

Digitized by Google

والتي لهاته المدة الاخيرة فان الباب العالى من استحفاظه على حقوقه زيادة على كونه يسمى الوالى العام فانه يرسل من القسطنطينية الى تونس قاضيا و باشكاتب الولاية ولم يكن الا من ترخم الدولة العلية ان منحت الوالى أن يسمى هو بنفسه هذين الموظفين وأيضا فاتباعا لمذهب وخصوصية سيادة السلطان فان الخطب يذكر فيها اسم جلالته ويضرب على السكة أيضا وفى وقت الحرب ترسل تونس الاعانة الى التخت وعلى حسب العادة القديمة يأتى للقسطنطينية دائما اناس رهينون ليقدمون تعظيمات الوالى وخضوعه لاعتاب السلطنة وليقبلوا أيضا الاذن اللازم من الباب العالى لامور عظيمة فى الولاية ثم أن الباشا الموجود الآن والتونسيون طلبوا زيادة فى التفضل وأعطى ذلك لحضرته السنية بالفرمان المؤرخ فى سنة ١٨٧١ وتعرف به بجميع الدول والآن قد استغاث الوالى بسيده الحق ليعينه على الحالة الرديئة التى وقعت فيها تونس الآن وهاته الاشياء التحقيقية لا ينكرها أحد فهل تريدون أن تعرفوا الآن تقريرها بالتاريخ وبالمكاتبات الرسمية هو سهل لكن نقتصر على انهم منها لئلا يطول الكلام فى هذا التلغراف ففى المعاهدات القديمة التى بين تركيا وفرنسا تعدد القاب الحضرة السلطانية ويكون منها لقب سلطان تونس فانظر مثلا معاهدة ١٠ صفر سنة ١٠٨٤ هجرية وسنة ١٦٦٨ ميلادية وفى هاته المعاهدات أيضا يوجد بان كل المعاهدات التى بين الدولتين تجرى أيضا لفظ تونس وفى نصف القرن السابع عشر أى فى ١٥ صفر سنة ١١٦٦ أرسل السلطان فرمانا للباى والحاكم الكبير بالولاية فى رضا الباب العالى بان قنصل فرنسا يجمع مخدمات قناصل الدول الذين لم يكن لهم اذ ذاك نواب بالقسطنطينية كالبرتغال واسبانيا وغيرهما والقنصل وكالته هى حماية السفن تحت الراية الفرنساوية فى المراسى مشهورة بالولاية والفرمان يمنع تداخل قناصل الانجليز والهولانديين من التداخل فى خدمة نائب فرنسا وذلك سند مؤرخ ٩ رمضان سنة ١١٩٧ هجرية المتقرر بمعاهدة ١٣ ربيع آخر سنة ١٢٠٥ فانه يأذن حكام الجزائر وتونس وطرابلس الغرب

بان يجمعوا على اسم السلطان السفن التجارية لسلطنة الرومان وأيضا فان الاتفاق الذى تقدم هذا السند وتم ١٥ شوال سنة ١١٦١ هجرية بالاذن من السلطان وكان هذا الاتفاق وقع بين الحكام المذكورين والسلطنة المذكورة فان الوالى العام بتونس وهو اذ ذاك فى رتبة بكلربكى ونال اسم على باشا ويذكر فى مقدمة كل مكتوب ممضى عليه منه هاته الكلمات بعينها وهى مولانا السلطان الغازى محمود

وعلى ذكر وقائع ذاك الزمان أستطرد لكم الاذن الصادر من الباب العالى فى ١٥ ربيع الاول سنة ١٢٤٥ هجرية وسنة ١٨٢٧ ميلادية لحكام الجزائر وتونس وطرابلس الغرب فانه يامرهم أن لايتداخلوا فى الخلاف الواقع بين النمسا ومملكة المغرب وكذلك الاذن الصادر لوالى تونس فى ١٤ صفر سنة ١٢٤٧ هجرية وسنة ١٨٣٠ ميلادية فانه يأمر بترتيب العسكر النظامى بالولاية على نمط الترتيب العسكرى النظامى العثمانى وأيضا قد أتى مكتوب معين للطاعة من الباشا التونسى لجلالة السلطان فى سنة ١٨٦٠ وذلك الباشا هو الذى سماه السلطان واليا عاما وقد انشر هذا المكتوب فى جميع صحن أوربا من غير أن يعارض ولا من جهة واحدة ونزيدكم شيئا آخر وهو أنه فى سنة ١٨٦٣ فى واقعة القرض التونسى الذى وقع فى باريس من غير رضاء الباب العالى كان رسيود وأروان وولويس وزير خارجيـــة الامبراطور نابليون الثالث قد أعلن رأيه بناء على شكايات الدولة العثمانية وقال أنه يلزم اما الباشا بتونس أو الصراف الذى يريد عقـد القرض معه أن يطلب رضاء الباب العالى ليصح هـذا القرض وللمدافعة على حقوق الباب العالى فان الوزير الفرنساوى أرسل يقول هذا الكلام للصراف المشار اليه وها نحن نضع بثبات الكلام السابق لدى ميزان العدل والحق الذى للدول الممضين على معاهدة بارلين وإنا لمتحققون بان فكر الدول محيط بدلائل كثيرة فى الواجبات العمومية التى يقتضيها المؤتمر المحترم وأنهم يريدون أن يفعلوا بالعدل قولنا الذى قدمناه وانهم يتحفظون على حقوق الباب العالى المحفوظة بالمعاهدة المذكورة ويصلحوا الحال بين الدولتين فرنساوتركيا فى علائقهما

التى لهما فى هذه الولاية المرؤف بها التونسية المتممة للسلطنة العثمانية والمرغوب من جنابكم أن تتكلم مع وزير الخارجية فى مضمون هذا التلغراف وتشرح له ما تراه نافعا ولكم الاذن بان تعطوا نسخة من هـذا لجناب الوزير اذا طلب انتهى الامضاء مصطفى عاصم

ومما لاشك فيه أن فرنسا لم تنازع قط فى أن تونس من ممالك الدولة العثمانية فى وقت من الاوقات حيث أن وزير الروسيا سأل وزير فرنسا فى مجمع فيانه عقب حرب قريم عن تعيين الممالك العثمانية للجهل ببعضها ومنها تونس فاجابه الوزير الفرنساوى بان لاشك ولا نزاع فى كون تونس من الممالك العثمانية وان كانت لها امتيازات وكذلك فى سائر المعاهدات من قبل احتلال فرنسا على الجزائر بمدد طويلة مرعية الاجراء فى تونس كما بالممالك العثمانية ولكن عند الفرص الدول عندها المعاهدات كلا شئ وعند الاغراض وتيقن احداهن بقوة نفسها ويعلم ذلك من محاورة سفير انجليزى فى الاستانة اذ ذاك مع جلالة السلطان ويتبين منها عـدم وفاء الدول بالمعاهدات وحاصل المحاورة المذكورة هى ماعلم من تلغراف المسيو غوشن سفير انجليزى فى الاستانة الى وزير خارجيتها بتاريخ ١٩ نيسان سنة ١٨٨١ وملخصه يقول السفير انى وجدت جلالة السلطان مشغول الفكر بهذه الافعال وبناء على ما عنـدى منها لاذن أعلنت له بان الدولة الانجليزية تريد بقاء الحالة الموجودة فى تونس والنائب الانجليزى بتونس له الاذن ليرشد الباى اذا استشاره بان يعين فرنسا فى تقرير راحة الحدود وانى أرجو ان جلالتـه يشير على الباى أيضا فالسلطان سكت بعض دقائق ثم ظهر على وجهه الغضب وقال انه فهم من كلامى ان الدولة البريطانية ولم يقل العظمى تريد بقاء الحالة على ماهى عليه فى تونس ولها نفع ذلك وفهم أيضا انا أشرنا على محمد الصادق بان يعين العساكر الفرنساوية فنبهته عظمته بانى ما قلته ان الدولة الانجليزية تنتفع بابقاء الحـالة الموجودة ولكنها تظهر تمنى ذلك فقط على هذه الكيفية وتتأسف كثيرا من فتح مسئلة جديدة فى الشرق وانا لانفتكر ان توجد فوائد خصوصية لانجلترا مربوطة باى كيفية كانت

Digitized by Google

فى أحـوال تونس فعند هـذا أجاب السلطان بانه لم ير كيف يجمع بين رجائنا فى ابقاء حالة تونس على ماهى عليه ومع ذلك نشير على الباى بان يعين العساكر الفرنساوية فهذان الشيآن لايتوافقان لانه على رأيه يكون دخول العساكر الفرنساوية الى تونس ناقضا للحالة الموجودة الآن فسكت السفير (طبعا)

وفى تلغراف آخر منه يقول أيضا ان الجلسة التى وقعت بينى وبين الباش وكيل كان يطلب فيها صحبة انجلترا وقال ان الدولة الانجليزية تقدر ان تعمل مع الدولة العثمانية المساعدة وان الباب العثمانى يكون ممنونا اذا كانت انجلترا تريد ان تفعل معه ذلك فقلت له ان ما كنت قلته لكم قد وقع والذى كنت أقوله دائما هو انه ياتى زمن تكون فيه تركيا متذكرة بان صحبة انجلترا لها لازمة وقد تكلم على الحاجة الاكيدة الآن وتكلم أيضا على رد مودة انكلترا فتبعته وقلت ماهو دليل المودّة الذى أظهرته تركيا لانجلترا منـذ بعض سـنين وفى أى وقت اتبعتم اشاراتنا النافعـة للسلطنة التركية نعم ان الترك قد عملوا غاية جهـدهم ليتركوا المودة التى فى رأى العموم فى انجلترا ورجوعها الآن ليس بسهل فحضرته العلية أجاب بان جميـع الاشياء الآن تتغير من غير أن يظهر على وجهه الغضب من الكلام الذى قلته له قصدا واستمر فى طلبه الاعانة وأنا شرحت له أن مسئلة تونس ونازلتها مثل النوازل الاخرى الشرقية ولا تقدر انجلترا على اتمامها وحدها ومع هذا فليس لنا فائدة خصوصية وسياستنا متمسكة بالموافقة الاوروباوية ولا دولة تريد قيام عسر جديد قبل ان تتم الاعسارات القديمة وكل دولة تكون حازمة اذا كانت تفتش كل واسطة بحصر النازلة التونسية فى حدود ضيقة أقل مايمكن لئلا تقوم نازلة تدخل فيها الدول بأراء مختلفة فجنابه العالى يقدر يفهم من جملة كلامى بان ليس لى اذن لتقرير الرجا بان تكون الدول العظام الاوروباوية يظهرون أنفسهم مختلفين على نازلة مختلطة بين الباب العالى وتونس والطلب الخصوصى من انجلترا ليس بالموافق لحالة الباب العالى منذ بعض سنين مع الدول المشار اليها انتهى

من يتأمل لهذه الاقوال يعلم له ماهى أحوال وأعمـال أوربا ضد الدولة

Digitized by Google

ولما احتج بعض الجرائد والوزراء على الوزارات الانجليزية حين ذلك فى مسئلة تونس لم ينفع بشئ حيث الوزراء اذ ذاك كانوا أحرارا ورئيسهم غلادستون المشهور بكراهته للاسلام والسلطان بل قالوا ان الباب الذى فتح لفرنسا فى تونس هو من أعمال سلسبورى لما كان فى مؤتمر برلين حيث قال لوزير فرنسا فى مؤتمر برلين عند مشاحنته معه فى مسئلة قبرص ان انجلترا لاتعارض فرنسا اذا أرادت الاستيلاء على تونس على شرط ان ترضى فرنسا بذلك الدولة العثمانية صاحبة الملك لا اغتيالا ثم انه لما أعلن وزير فرنسا الاول برضا انجلترا على ذلك فى مجلس النواب فاعلن وزير خارجيتها حين ذاك بالتكذيب وما ذلك الا تحفظا على مايريد لدولته حتى اذا حصل مشاحنة بين الدولتين كان لانجلترا وجه فى نقض ما حل بتونس وأما دولة الروسيا فلا شك انها يسرها كل ما يضعف الدولة العثمانية فلذا كانت ممنونة من واقعة تونس وكانت مساعدة لفرنسا وأما ألمانيا فاجابت السفير العثمانى بان الاولى للدولة العثمانية الاضراب عن مسئلة تونس ولا يخفى ان ذلك كان فى مدة بسمرك وله فى ذلك فوائد وملحوظات كثيرة وكل لبيب يفهم الاوجه التى كان يقصدها وكان أول من بادر بامر نائبة فى تونس باتباع سياسة فرنسا فيها وتبعتها على ذلك النمسا وأما ايطاليا فانها تجرّعت من ذلك الغصص ولكنها لما كانت غير كفؤ لم يسعها غير السكوت ولما عبرت عساكر فرنسا حدود تونس معلنة بانها تريد تاديب قبيلة خمير من أعراب الجبال الشمالية عند حدود الجزائر لم يتعرض لها أحد بالمصادفة لان حكومة تونس كانت موافقة فى باطن الامر مع فرنسا ومع ذلك فما كان عندها تحت السلاح ألفا عسكرى فليتأمل من أعمال هذا الباى الوالى الممتاز على أمة عددها نحو مليون ونصف ولم يكن عنده ألفا عسكرى مع وجود الاوامر السلطانية مشددة بتنظيم جيشه على النظام العثمانى وقيل ان على بن الزى تابع الوزير التونسى كان يخبر قنصل فرنسا ونائبها باسرار الحكومة ولما وصلت عساكر فرنسا لبلد يقال لها كاف وبجوارها باجه اشتكت حكومة تونس بالقول انها مستعدة لتربية قبائلها الذين تشتكى منهم فرنسا

وقيل ان هذا وسيلة ظاهرية فقط وقيل ان الباى ندم بعد ذهاب السكرة ومجىء الفكرة ومع ذلك فقد أوعز الوزير بواسطة تابعه المذكور الى نائب فرنسا بان لاواسطة مفيدة فى الدخول تحت فرنسا الا قدوم شرذمة من العساكر الى قصر الوالى والاحاطة به اذ النسوة لما ترى ذلك تصرخ من الخوف فيضطر الوالى الى الامضاء على الشروط ويجد العذر عند الاهالى بذلك ولما بلغت المسئلة لحد هذه النقطة أرسل خبرا بالسلك الكهربائى للباب العالى يقول انه قد علم ان فرنسا تطلب عقد شروط ولا يعلم ماهى فما ذا يعمل فاجابه الباب العالى بانه يحيل كلما يطلب منه على الباب العالى ولا يمضى شيأ وقبل ذلك أشاع أصحاب الاخبار انه فى عزم الدولة العلية ارسال خير الدين باشا الى تونس معتمدا فى حسم النازلة لمعرفته باحوالها وسياسة الاهالى والاجانب ولكى يكون عونا على ابقاء الحالة المعروفة فارسل الوالى تلغرافا للباب العالى يطلب ان يكون المرسل غير المشار اليه فتعجب كل عاقل على المقاصد من ذلك الطلب اذ تلك الحالة لاتدع مجالا للشخصيات سيما وقد سبقت من خير الدين باشا الى الوالى المجاملة وعدم اكتراثه بما فعله معه عند حلوله بالاستانة وترقيه فيها فبذا كل مطلع على الباطن زاده ذلك تيقنا فى التواطئ على تلك الاعمال لان وجود مثل خير الدين باشا فى تونس لايروج عليه مايروج على غيره ومع مجاراة الباب العالى وتقليله لمواقع النزاع قدر الامكان لتأمين الوالى حيث أظهر الميل للدولة فانه أسرع الى امضاء الشروط مع فرنسا والحال ان مداد الباب العالى بنهيه عن امضائه لم يجف هو ولم يخبر الباب العالى بعد ذلك بشئ حتى سأله عما شاع من امضائه فاجابه بانه مكره على ذلك وكلما ورد بعد ذلك من الباب العالى سلمه الى نائب فرنسا مدّعيا ان الشروط قاضية بذلك (فليتأمل) وهذه هى المعاهدة

ان دولة جمهورية فرنسا ودولة باى تونس أرادوا ان يقطعوا بالمرة التحير الذى وقع قريبا فى حدود الدولتين فى شطوط تونس وأرادوا ان يربطوا مخالطتهم القديمة التى هى مخالطة المودّة والجوار الحسن فاعتمدوا على ذلك وعقدوا معاهدة فى نفع

Digitized by Google

الجهتين المهمتين فعلى موجب ذلك رئيس الجمهورية الفرنساوية سمى وكيله موسيو الجنرال تريار الذى يتفق مع حضرة الباى السامية على الشروط الآتية

أولا ـ المعاهدات الصلحية والودادية والتجارية وغيرها الموجودة الآن بين الجمهورية الفرنساوية وحضرة الباى يتحتم تقريرها واستمرارها

ثانيا ـ ليسهل للدولة الجمهورية اتمام الطرق للتوصل للمقصود الذى يعنيه الجهتان العظيمتان فحضرة الباى ترضى بان الحكم العسكرى الفرنساوى يضع العساكر فى المواضع التى يراها لازمة لتتقرر وترجع الراحة والامان فى الحدود والشطوط وخروج العساكر يكون عند ما يتوافق الحكم العسكرى الفرنساوى والتونسى على ان الدولة التونسية تقدر على تقرر الراحة

ثالثا ـ دولة الجمهورية تتعهد لحضرة الباى بانه يستند عليها دائما وهى تدافع عن جميع مايتخوف منه لضرر ما اما فى نفسه أو عائلته أو فيما يحير دولته

رابعا ـ دولة الجمهورية تضمن فى اجراء المعاهدات الموجودة الآن بين دولة تونس والدول المختلفة الاوروباوية

خامسا ـ دولة الجمهورية تحضر نحو حضرة الباى وزيرا مقيما لينظر فى اجراء هاته المعاهدة وهو يكون واسطة فيما يتعلق بالدولة الفرنساوية وذوى الامر والنهى التونسيين وفى كل الامور المشتركة بين المملكتين

سادسا ـ ان النواب السياسيين والقناصل الفرنساوية فى الممالك الخارجية يتوكلون ليحموا أشغال تونس وأشغال رعيتها وفى مقابلة هذا فحضرة الباى يتعهد بان لايعقد معاهدة عمومية من غير أن تعلم بها دولة الجمهورية ومن غير أن يتحصل على موافقتها من قبل

سابعا ـ دولة الجمهورية ودولة حضرة الباى أبقوا لانفسهم الحق فى ان يؤسسوا ترتيبا فى المالية التونسية ليمكن لهما دفع مايلزم من الدين التونسى العام وهذا الترتيب يضمن حقوق أصحاب الدين

ثامنا ـ ان غرامة الحرب يغصب عليها القبائل العصاة بالحدود والشطوط

Digitized by Google

وتفعل دولة الجمهورية معحضرة الباى فيما بعد شروطا على كميتها وكيفية دفعها ودولة حضرة الباى تضمن فى ذلك

تاسعا ـ للمدافعة على منع ادخال السلاح والآلات الحربية للمملكة الجزائرية الفرنساوية فدولة باى تونس تتعهد بان تمنع الاشياء المشار اليها من جزيرة جربا ومرسى قابس وسائر المراسى الجنوبية فى المملكة

عاشرا ـ انهاته المعاهدة توضع لدى رضا دولة الجمهورية وترجع فى أقرب مدة ممكنة لحضرة الباى السامية حرر فى ١٢ مارس سنة ١٨٨١ بالقصر السعيد

الامضاء محمد الصادق باى والجنرال باريار

ومما يتهم به الوالى طلبه ظاهرا من قنصل فرنسا وقايد العساكر ان يمهلاه مدة للتأمل من حالة الشروط فاجابه القنصل بانه لاداعى الى ذلك حيث ان الشروط بقيت عند وزيرك مدة وتأملتها انت أيضا ولم يبق الا الامضاء وكذلك قيل ان السيد محمد العربى زورق ورئيس المجلس البلدى وأحد أعضاء مجلس الشورى أصر على عدم موافقة الامضاء على الشروط وانه لح على الوالى بذلك بالمجلس ونصحه بان مايخشى منه بعدم الامضاء سيقع لامحالة بعد الامضاء فالتمسك بالبراءة الاصلية أسلم وأشرف وقال بان جميع الاهالى لاتطيع الوجهة المذكورة وعلى فرض قهرهم فيكون الوالى على شرفه وربما اضطرت الدول والدولة العلية الى التداخل بوجه يحسن الحال فلم يلتفت لكلامه بل عزل من جميع وظائفه وجعلت عليه مراقبة فى داره وحجر عليه من مخالطة الناس وتحقق مزيد الاضرار به الى ان احتمى بقنصلاتو انكلترا وسافر عن وطنه وأقام بالاستانة ويشهد صراحة للتواطئ ماصرح به البارون بى لنك الفرنساوى فى تشرين سنة ١٨٨١ بما وقع فى هاته المسئلة عند ارساله لاستقراء أمر تونس فى كانون الثانى سنة ١٨٨١ من اجابته الوالى اذ ذاك بانه يقبل الشروط اذا كان الواسطة فيها فرديناندلسبس

ومع ذلك كله لم تعلم الدولة العلية بشئ من أعمال الوزير التونسى ثم ان فاتحة أعمال نائب فرنسا بعدامضاء المعاهدة طلبه من الوالى نبى على بن الزى

حالا لكلى لا يبيع بالاسرار التى اطلع عليها فنفى الى حصن قابس ثم ذهب الوزير بن اسماعيل الى باريس فى سفينة فرنساوية حربية شاكرا لانعام فرنسا بتلك المعاهدة ومعلنا لها بانه يصدق فى خدمتها أزيد مما كان ببذله سابقا فقلدته فرنسا باكبر نيشان لها مع الشريط الكبير ورجع الى تونس ولم يلبث بضعة أشهر حتى ورد الامر على الوالى من وزير فرنسا بعزله لان نائب فرنسا بتونس ذهب الى باريس وتفاوض مع دولته فيما يسلكونه فى تونس حيث ان الاعراب والجهات الجنوبية اعلنوا بانهم لايطيعون الوالى حيث انه بغى على الدولة العثمانية قديما وحديثا فلايحل لهم الخروج عليه ثم هرب عن الوالى جميع عساكره فاضطرت فرنسا لتعبئة الجيوش لأطاعة الاعراب وكان من جملة التدابير عزل ذلك الوزير الذى يتوقع منه أن يفعل معهم مثل ما فعل مع البلد وكان مثله كمثل الوزير العلقمى الذى أدخل التتر فى بغداد وتسبب فى انقراض الخلفاء العباسيين ثم سكن رئيس العساكر الفرنساويه بدار المملكة فى بطحاء القصبة وصارت الحكومة لاتتصرف فى شئ الا بامر الوزير الفرنساوى سواء كان فى الداخلية أوفى الخارجيه حتى تفاقم الضرر وعظم الكرب على القبائل والبلدان بماحصل فيهم من العساكر الذين أقاموا بقروان وسوسا وهدموا سفاقس وخرجوا من قابس بعد دخولها ثم عادوا اليها ومن ضمن خطايا الوالى والوزير أوشدّة جبنهما ما يعلم من هذه الحركه وهى ان قائد عساكر فرنسا أحضر شرذمة من عساكر فرنسا أمام قصر الوالى سواء كان بايعاز من الوزير التونسى كما قيل أوغير ذلك وبيده نسخة المعاهدة بالحماية فلما رأى محمد باشا الصادق الباى العساكر الفرنساوية أمام قصره وكان القائد أرسل له فى داخل القصر نسخة المعاهدة للتوقيع عليها فقبل ان يسأل عن أسباب حضور العساكر طلب المهلة أربع ساعات وقيل انه حرر تلغرافا للباب العالى يصف له الهيئة وقيل بل بلغ الباب العالى من سفيره بباريس فما كان من الباب العالى الا انه حرر فى الحال تلغرافا شديد اللهجة لسفيره فى باريس وباقى سفرائه فى عواصم أوربا بالاحتجاج وطلب سحب العساكر

من أمام قصر الوالى ونهو المسئلة بالمخابرات السياسية فحرر ناظر خارجية فرنسا وقيل الحربيـــة للقائد بسحب العساكر من أمام القصر وان المخابرة جارية مع الباب العالى فى هـذا الشأن ولما ورد التلغـراف للقائد ردّه بنهو المسألة وسحب العساكر بمعنى ان الباى رغب حماية فرنسا دون العثمانية فالعجب كيف يطلب الوالى مهلة أربع ساعات التى لا تكفى لوصول التلغـراف للباب العالى لأن تبادل التلغراف بين الباب العالى وفرنسا وتونس يستغرق مدّه أطول من ذلك وكانت النتيجة ان أمضى الوالى الشروط فى الحال أما ناظر خارجية فرنسا فانه أسرع بمخابرة سفراء دولته فى عواصم أوربا بكل سرور عن مضمون تلغراف القائد على أن الباى اختار حماية فرنسا عن سيادة الباب العالى على تونس وأمرهم بتقديم المذكرات للدول بذلك ليجيبوا الباب العالى على احتجاجه وقد كان ثم جدّد الباب العالى الاحتجاج على أن تونس ليست للباى أى واليها وانه لا يتنازل عن حقوقه حين سنوح الفرصة وحفظ الحق لنفسه على ذلك وأرسل لسـفرائه فى العواصم الاوربا وية بما فيها فرنسا للتسجيل والثبوت وفى الواقع فان الذى كان يمكن اجراؤه هو ماذكر حيث اذ ذاك كانت الدولة العلية خرجت من حرب الروسيا حديثا وما كان من الصواب ان تحارب فرنسا وقتها خصوصا سـياسة الدول ضد الدولة كانت مجتمعة وكانت فرنسا تعلم ذلك وهكذا الدول الزاعمة بالتمدن تتخذ الفرص على طرائق غير شريفة للاغتصاب ومجردة من الشهامة والمروءة والآداب مثل ما كان يفعل ملوك الشرق

﴿ ترجمة وصية بطرس الكبير ﴾

من بطرس الاول الخ الى كل من يخلفنى على تخت الروسية التحية فان الله سبحانه وتعالى لم يزل منذ بداية الابد فى اعانتنا وأسدل فضله علينا بما حملنى على الاعتقاد بان الامة المسكوبية تتسلط (لا قدر الله) اذا شاء الله على الممالك الاوربا وية والدليـل على ذلك أن الامم الاوربا وية قد هرم أكثرهم وأخذ البعض منهـم

Digitized by Google

فى التلاشى فان أدركت الروسيا تمام قوتها لا شك أنها تتغلب على سائر الممالك لمالها من شوكة الشعوبية وعندى أن هجوم الامم الشمالية على أوربا من أحكام القدرة الالهية التى لابد من نفوذها كما وقع سابقا عند هجوم الامم المذكورة على مملكة الرومانيين فاحيتها بعد اضمحلالها وأنا وجدت روسيا جدولا صغيرا فتركتها نهرا كبيرا وأرجو أنه باعتناء من يخلفنى تصير بحرا عظيما يغطى بمياهه أوربا باسرها ولايتعرض لسيلانه عرمرم فحملنى هذا الاعتقاد على ان أقرر هنا الاصول التى لا بد من اتباعها نظرا الى ادراك هذا المقصد المعتبر وهى

﴿ أولا ﴾

على ملوك الروسيا ملازمة الحرب لتكون جيوشهم دائما على حال الرياضة والاستعداد فلايكفوا عن الحرب الا لاصلاح شأن المالية وجبر مانقص من العساكر وتربص فرصة الهجوم على الاعداء فالحرب والصلح يتناوبان حسبما تقتضيه الحاجة نظرا الى توسيع دائرة شوكتنا وفلاح البلاد

﴿ ثانيا ﴾

عليهم أن يجلبوا من سائر الاقطار الاوربا وية العارفين بالفنون الحربية مدة الحرب أما مدة الصلح فعليهم جلب من اشتهر من العلماء لتنتفع الروسيا بما يلائم الاحرى من دون خسارة مالها طبيعة

﴿ ثالثا ﴾

عليهم التداخل فى سائر أحوال الممالك الاوربا وية خصوصا المانيا لقربها الينا

﴿ رابعا ﴾

التداخل فى أحوال بلونيا وفى انتخاب ملوكها حتى لا تنتخب الا المحب للروسيا وادخال جيوشنا بها لحماية هؤلاء الملوك الى أن يتيسر التسلط على البلاد رأسا فان تعرضت الدول الاخرى تجب الاجابة الى مطالبهم الى أن نقدر على استرجاع ماسلمناه

Digitized by Google

﴿ خامسا ﴾

ناخذ من مملكة السويد مايمكن أخذه ونجعل بينهم وبين الدانيمرك عدوانا دائما

﴿ سادسا ﴾

لايتزوج أهل بيتنا الا بنات ملوك ألمانيا لتأكيد المحبة بين روسيا والمانيا وتكثير وسائل المواصلة بينهما

﴿ سابعا ﴾

يجب الاعتناء بمحالفة انكلترا لما لها من الحاجة الى أشجارنا لسفنها ولما نستفيده منها نظرا الى اصلاح شأن أسطولنا فضلا عن فائدة تبديل مالنا من الخشب وغيره من النتايج بذهب انكلترا أو ما ينشأ منه من كثرة المواصلة بين تجارنا وتجارها

﴿ ثامنا ﴾

نمتد بقدر الامكان من جهة الشمال وعلى شواطئ البالتيك كما يجب السعي بالامتداد من جهة المغرب وعلى شواطئ البحر الاسود

﴿ تاسعا ﴾

نقرب الى القسطنطينية والهنود بقدر الامكان فمن ملك القسطنطينية فقد ملك الدنيا فبناء على ذلك ينبغي ملازمة الحرب مع الترك ومملكة الفرس وجعل ترسخانه بشواطئ البالتيك والبحر الاسود وهذا من اللازم لنجاح ماقصدناه وينبغي أيضا تعجيل مملكة الفرس بالاضمحلال وتنشيط التجارة التي كانت بين الشام وجبل قاف فنتقدم الى الهند التي هي مخازن الدنيا وان تحصلنا على ذلك فلا حاجة لنا بذهب انكلترا

Digitized by Google

﴿عاشـــرا﴾

يجب السعي فى تاكيد المحبـة مع دولة النمسا باسعافها ظاهرا على ماقصـدته من التسلط على ألمانيا مع اننا نحرّض عليها ملوك ألمانيا سرا

﴿حادى عشر﴾

نشارك النمسا فيما قصدناه من اخراج الترك من أوربا فان ظفرنا بالاستيلاء على القسطنطينية وأظهرت دولة النمسا شيأ من الغيرة لاجل ذلك فاننا نحث دولة من دول أوربا على محاربتها أو نسلم لها جانبا مما تحصلنا عليـه ونسترجعـه فى أول فرصة

﴿ثانى عشر﴾

نجمع سائر الاغريق ببولونيا وبممالك النمسا ونسعفهـم بقـدر الامكان بالحماية والدفاع عنهم حتى يكونوا لنا أحباء مابين الاعداء

﴿ثالث عشر﴾

بعـد الاستيلاء على مملكة السويد وغلبة الفرس وبولونيا والتسلط على الممالك العثمانية وجمع جيوشنا ودخول أساطيلنا بالبالتيـك والبحر الاسود نشرع فى المفاوضة السرية مع فرنسا ودولة النمسا فى قسمة الدنيا بيننا فان ارتضت احدى الدولتين ما نعرضه عليها نستعين بها على قهر الاخرى ثم نهجم عليها ونغلبها ولا يصعب علينا ذلك حينئذ حيث يكون بيدنا ملك المشرق ومعظم أوربا

﴿رابع عشر﴾

اذا امتنع كلتا الدولتين المذكورتين مما نعرضه عليهما وهذا مما يبعـد وقوعه يجب السعي بتحريض احداهما على الاخرى فتترقب الفرصة ونهجم على المانيا بجيش عظيم ونوجـه اسطولين الى البحر المحيط والبحر الاوسط للاستيلاء على

Digitized by Google

فرنسا وبعد قهر فرنسا والمانيا لايصعب الاستيلاء على باقى أوربا اه
هذه هى تصورات هذا الامبراطور المشهور فى عصره انه من أهم الرجال من منذ مائتى سنة تقريبا ولقد اهتم خلفاؤه اهتماما زائد حتى تحصلوا على بعض مما كان يتمناه بتزيق مملكة بلونيا والاتفاق المستمر مع دولة النمسا والاستيلاء على بعض من ممالك ايران ومن ممالك كانت تحت سيادة الدولة العلية كالقريم والداغستان ولكن كل هذه الامور كلا شئ بالنسبة لهذة الوصية والحمد لله فالدولة العلية التى كان ينظرها بالتأخر الزائد وقرب الاضمحلال موجودة وهى أقوى بضعفين عما كانت عليه اذ ذاك ونسأل الله تعالى أن يمن علينا بتأييدها واستمرار تزايد قوتها انه على كل شئ قدير آمين

وحيث قد أتت الاحوال والظروف بما لم يكن فى الحسبان حتى وجدت دولة ضخمة من أمم ضعفاء فى نظر بطرس الاكبر وهى دولة المانيا فضلا عن نمو دولة انجلترا التى ماكان يحسب بطرس الكبير لها حسابا غير أخذ ذهبها فلذا خلفاء بطرس الكبير قطعوا آمالهم بتنفيذ هذه الوصية ويئسوا منها بالمرة

﴿حوادث مبادى الحرب الروسية العثمانية الاخيرة﴾

قد ثار ممالك البوسنا وهرسك والصرب والبغدان والافلاق والجبل الاسود والبلغار فى سنة ١٢٩٣ كما تقدم بالتحريضات الاجنبية وأعقب ذلك واقعة المرحوم السلطان عبد العزيز وما أعقبها من المسائل حتى كانت الدولة فى أحرج الحالات وكان حزب يرغب تشكيل مجلس نواب كبرلمانات أوربا ولما جلس مولانا السلطان حفظه الله وأيده بنصره أمر بذلك وأصدر الادارة السلطانية المشهورة بخط يده للصدر الاعظم محمد رشدى باشا ثم اهتم حتى قهر كافة الامم العاصية المذكورة رغما عن مساعدة الروسيا لهم سدى هذا من أمر الداخلية وأما من أمر الخارجية فان أحوال الدول واختلاف أغراضهم ومشاربهم المعلومة تحركت وفى مقدمتهن الروسيا التى استعدت للحرب فى ظرف نحو ربع قرن

Digitized by Google

اعنى من حرب قريم فى سنة ١٢٧١ لغاية سنة ١٢٩٤ تؤخذ الثار من الدولة العلية ولاغراض أخرى فحركت هذه الثورات البلقانية وحرضت الدول على ان يبطشوا بالدولة العلية فاظهروا الشدة على الدولة عدا الامة المجرية التى هى حكومة ممتازة تحت دولة النمسا فانها أظهرت للدولة المحبة الحقيقية رغما عن اجتهاد واهتمام النمسا بعرقلة ذلك وأخيرا عقدت الدول مؤتمرا بالاستانة من سفراءهم وهم ستة وقرروا ماياتى

﴿أولا﴾

تغير حدود الجبل الاسود الممتازة حكومته باعطائه بعض أراض من ممالك الدولة

﴿ثانيـــا﴾

تشكل لجنة من مندوبى الدول الاورباوية لتعيين تلك الحدود

﴿ثالثـــا﴾

ابقاء حكومة الصرب على حالتها السالفة بان تكون لالها ولاعليها وتقرر حدودها

﴿رابعـــا﴾

الولاة الذين يتعينون فى بوسنا وهرسك والبلغار ينتخبون من جانب الباب العالى مع موافقة دول أوربا على ذلك وابقائهم فى مأموريتهم مدة خمس سنين

﴿خامســـا﴾

نظرا الى الموقع الجغرافى تقسم تلك الولايات الى الوية ويتعين لها متصرفون من جانب الباب العالى بعد انتخاب أولئك الولاة لهم

﴿سادســـا﴾

انشاء مجلس مركب من ثلاثة أعضاء لكل من الولايات ينتخبون من مجالس الولايات

Digitized by Google

لتحرير دخل الولاية وخرجها وانتخاب أعضاء مجالس الادارة وتوزيع الضريبة السلطانية على الاهالى ما عدا رسوم الجمارك والدخان الراجعة للدولة العلية

﴿ سابعـــا ﴾

ابطال طريقـة التزام مداخل الدولة واسقاط البقايا السابقة لكل من الولايات الثلاث

﴿ ثامنـــا ﴾

دخل الولايات المذكورة عدا ماهو راجع للدولة كالدخان والجمارك يعطى منه قسط لخزينة الدولة العلية والقسط الثانى يصرف فى مصالح الولايات المذكورة وينظم لكل منهما دستورا للعمل بذلك

﴿تاســعا﴾

ترتيب المحاكم النظامية

﴿ عاشـــرا ﴾

اعطاء حرية الاديان (وهذا موجود من أول وجود الدولة العلية بل والمسلمين)

﴿ حادى عشر ﴾

تنظيم الحرس الاهلى

﴿ ثانى عشر ﴾

العفو العمومى عما سبق من الجنايات السياسية (فليتأمل)

﴿ ثالث عشر ﴾

اعطاء رخص للاهالى فى شراء الاراضى السلطانية

Digitized by Google

﴿ رابع عشر ﴾

الشروع فى تنفيذ تلك الشروط قبل مضى ثلاثة أشهر

﴿ خامس عشر ﴾

يعين لجنات من طرف دول أوربا للملاحظة على اجراء تلك الشروط اه
فلم تقبل الدولة هذا القرار بل احتجت بانها دولة قانونية حرة فجميع اصناف رعاياها على السواء خصوصا بالقانون الاساسى الذى أحاط به المملكة السلطان الغازى عبدالحميد حفظه الله وقدمت مع الاحتجاج صورة الخط الشريف الآتى (وزيرى سمير المعالى مدحت باشا)

ان سطوة سلطنتنا كانت فى حالة القهقرى فى الايام السالفة وأسباب ذلك التقهقر لم تكن ناشئة عن المشاق الخارجية فقط بل وقعت من أجل الانحراف عن الطريق المستقيم فى الادارة الداخلية أيضا حتى ضعفت الامانى وونوق الرعايا بالدولة ولذلك كان المرحوم والدنا الماجد السلطان عبد المجيد منح بعض أصول فى تحسين الادارة معروفة بالتنظيمات الخيرية اشتملت على تامين جميع الرعايا فى أنفسهم ومالهم وعرضهم وشرفهم طبقا لقواعد الشريعة المطهرة والتنظيمات المذكورة هى التى كانت سببا لابقاء السلطنة محافظة على لوازم الامنية الى الآن ومن آثارها المشكورة انها سهلت لنا مساعينا فى تاسيس هذا القانون الجديد الذى اقتضته آراء رجال دولتنا التى تتجت عنهم بحريتهم حيث استندوا الى تلك الامنية وقد تيسر لنا فى هذا اليوم الاعلان به ولما كان هذا اليوم من الايام السعيدة فانه يلزمنى ان نذكر الآن المقدس المرحوم والدنا ونصفه بعنوان محيى الدولة ولنذكر مقاصده الحسنى ولا شك انه كان سعى بنفسه فى ادخال السلطنة فى العهد القانونى الذى سنستظل به الآن ولو توفرت مدة تاسيس التنظيمات الخيرية الاسباب المتوفرة الآن لكان والدنا المرحوم أسس اذ ذاك أحكام هذا القانون الاساسى ولكن العزة الالهية قدرت أن يكون هذا التبديل السعيد

Digitized by Google

الذى هو الكفالة العظمى لخير رعايانا فى مدّة ولايتنا ولله المنة على ذلك ومن المعلوم المقرر ان أصول ادارة الدولة صارت مغايرة للتبديلات المتتابعة التى وقعت شيأ فشيأ فى تصرفاتنا الداخلية وفى زيادة خلطتنا من دول الاجانب وغاية مرغوبنا ازالة جميع الاسباب المانعة للأمة وللبلاد من الانتفاع بالنتائج الطبيعية التى لهم الحق فيها كما يلزم وان نرى جميع رعايانا قد حازوا الحقوق التى من علائق الامم المهذبة بحيث يكونون كلهم متعاضدين بنية سالمة فى التقدّم والالفة والاتحاد فكان من الواجب اتخاذ طريقة نافعة مستقيمة للحصول على المقصد المذكور ووقاية حقوق الدولة ومحو الخطيئات والغلطات الناتجة من الاعمال الغير مباحة الناشئة من وجود التصرف الاستبدادى بيد نفر واحد أو بعض أنفار وان تمنح حقوقا متساوية لجميع الطوائف المركبة منهم الامة وان نجعلهم فى حالة يمكنهم معها الانتفاع بخير الحرية والعدل ولا فرق بينهم فى ذلك وهذا هو الوجه الوحيد الصالح لحماية جميع المصالح وضماناتها وهذه القواعد الكلية أنتجت وجوب عمل آخر مفيد للغاية وهو وجوب تقييد أساس ارادتنا بصورة شورية قانونية ولذلك لما أصدرنا خطنا عند حضورنا على كرسى السلطنة قررنا بلزوم احداث مجلس للامة (برلمنتو) وقد اشتغلت جمعية خاصة مشكلة من رجال دولتنا وأهل العلم والمتوظفين والاعيان فى تأسيس أصول هذا القانون بغاية التدقيق ثم وقع التأمل منها بمجلس وزرائنا والموافقة عليها وهذا القانون اشتمل على اثبات الحقوق الراجعة للذات السلطانية وحرية جميع الرعايا العثمانيين السياسية والعرفية ومساواتهم لدى الاحكام السياسية والعرفية أيضا وبيان مسؤلية الوزراء والموظفين ومتعلقات وظائفهم وحق مجلس الامة فى الاحتساب على أعمالهم واستقلال المجالس الحكمية فى خدمتها والمعادلة بين دخل الدولة وخرجها معادلة حقيقية وقسمت التصرفات الحكمية بالاوطان مع بقاء النظر الاعلى فيها للدولة وجميع هذه الاصول المطابقة لاحكام الشريعة المطهرة ولضروريات الوقت ولمرغوبنا قابلت النية الحسنى التى شأنها تحقيق الخير للجميع حيث ان ذلك

Digitized by Google

غاية المراد وقد جعلت اتكالى على الله وعلى امداد رسوله فى ذلك وأنطت لعهدتهم هذا القانون بعد ان وقعت عليه بامضائى السلطانى و يقع العمل به حالا بحول الله تعالى فى جميع جهات السلطنـة فالآن صدرت ارادتنا بانكم تعلنون بهـذا القانون وتجرون العمل بمقتضاه من هـذا اليوم كما يجب عليكم أيضا اتخاذ جميع الوسائل اللازمة المتأكدة للاشتغال فى تهيئة التراتيب التى تضمن ذكرها القانون المذكور والله تعالى المسؤل ان يقرن بالنجاح سعى كل من اشتغل فيما يؤول الى نجاة السلطنة والامة كتب فى ٧ ذى الحجة الحرام سنة ١٢٩٣ اهـ

مع أن أعضاء المؤتمر لم يلتفتوا لهـذا الامر بل سافروا جميعا من الاستانة دفعة واحدة مظهرين العـداوة والتهديد للدولة العلية وكان هـذا الرفض عن رأى الامة لانها عقـدت مجلسا من وجوه أجناس رعايا الدولة حتى حضره المعـروف بالدراية الفريق رستم باشا وزير حربية ولاية تونس اذ ذاك حيث كان رسولا عن باى تونس فى تهنئة حضرة مولانا السلطان المعظم بالجلوس فاجمع جميع أولئك الاعيان على اختلاف دياناتهم على رفض تلك المطالب وقالت النصارى واليهود نؤثر اراقة آخر نقطة من دمائنا وصرف آخر درهم من مالنا على حفظ شرف مملكتنا من الاهانة بالتجزئة وكان ذلك نفاقا من أغلبهم عـدا الاسرائيليين ومسيحى الارانطة وبعضا من الاروام والاخير ان لم يرغبا ذلك حسدا للحكومات المطلوب استقلالها وامتيازها

فلما رفضت الدولة ذلك الاقتراح هاجت الروسيا وماجت وحرضت الدول على الدولة العلية قولا بأنها أهانت جميع دول أوربا ومع ذلك قال اللورد سلسبورى الذى كان من أشد المخاصمين للدولة فى المؤتمر المذكور عنـد ما استقر بمجلس الوزراء فى انجلترا لقد انصف القوم فى رفضهم المطلب (ونحن يصعب علينا معرفة سر المسئلة فى اختلاف قول اللورد) ثم ان الروسيا زادت فى الالحاح على الدول بالبطش بالدولة العليـة فاجتمع سفراء الدول فى انجلترا شبه مؤتمر واستقر أمرهم على ارسال لائحة للدولة العلية وهذا ملخص تعريبها

Digitized by Google

ان الدول التى تعاطت عموما أسباب سلم المشرق واشتركت لهذا المقصود فى مؤتمر الاستانة قد رأت أن الطريقة الوحيدة فى بلوغ المقصد الذى اعتمدت عليه هى المحافظة على التوافق الذى وقع من حسن البخت بينهم ومع ذلك يجددون تقرير أمر يهمهم وهو من مصالح العموم أعنى تحسين حالة أمم النصارى بالممالك العثمانية واجراء الاصلاحات فى بوسنه وهرسك والبلغار حسبما قبله الباب العالى على أن يجريها من تلقاء نفسه وكذلك اعتبر عقد الصلح مع الصرب حجة اماما يتعلق بالجبل الاسود فان الدول تعتبر عقد الصلح معه أمرا مرغوبا فيه ولابد له من توطيد يقع به تعديل الحدود وتعطى حرية الجولان فى نهر البويانة لان الدول تعتبر التأويلات التى تقع أو ستقع بين الباب العالى وهاتين الولايتين كانها تقدمت خطوة الى السكون الذى هو الداعى لرغبتهم العمومية ولهذا يستدعون الباب العالى لتوكيده بترجيع العساكر على قدم السلم ولا يبقى منها هنالك غير عدد العساكر اللازمة لتقرير الراحة ويبادر الى اجراء الاصلاحات اللازمة للراحة وخير الولايات فى أقرب وقت حتى يقع ما اشتغل به المؤتمر وقرروا بمقتضاه ان الباب العالى حاضر الى اجراء القسم المهم من تلك المطالب وقد كان ظهر للدول بالنظر الى استعدادات الباب العالى الحسنة ومصالحه الحقيقية فى اجرائها انها متيقنة بما أملته من ان الباب العالى حيث انتهز هذه الفرصة الحاضرة فانه يقوم بحزمه لاجراء الوسائل المعدّة لتحسين حال النصارى حقيقة وهذا المطلوب من الامور الضرورية لراحة أوربا وحيث سلك هذه الطريقة علم يقينا ان من شرفه ومصلحته ان يجتهد فى ذلك العزم على وجه مستقيم فتطلبت الدول اذ ذاك ان تلاحظ كيفية اجراء الدولة العثمانية مواعيدها بواسطة وكلاءهم فى الاستانة ونوابهم واذا بات مأمولهم عديم النجاح مرة أخرى بان لم يتحسن حال النصارى رعايا حضرة السلطان بكيفية تمنع رجوع التشعبات التى تضطرب لها دائما راحة المشرق فربما يظهر لهم من الواجب ان يقرروا ان مثل هذا الحادث لا يوافق مصالحهم ولا مصالح أوربا وفى هذا الحال تتخذ الدول باعلان مايرونه عموما من

Digitized by Google

الطرق التي ستظهر لهم التزاما لتقرير الخير لأمم النصاري ومصالح السلم العمومي كتب في لوندره في ٣١ مارس سنة ١٨٧٧ اهـ صفوة الاعتبار

فلما أرسلوها للدولة العلية كالبلاغ الاخير رفضتها بناء على طلب مجلس العموم وأن لها الحق في ذلك حيث أن لها حقا في ادارة شؤون بلادها بغير وسائط الدول وعدم تركها مما لكها عرضة للضياع والتجزئة وبان معاهدة باريس بعد حرب قريم القاضية باتحاد الدول يحفظ املاك الدولة العلية ومعنى ذلك أن الدولة العلية من ضمن الدول ذوات النظام والقوانين ويلزم ترك العداوة القديمة بينها وبين أغلب الدول فظنت أن الدول لا تتحد ضدها كما كان يحصل سابقا ومع ذلك فان جلالة السلطان ومدحت باشا رغبا الملاينة مع الدول والدخول في المخابرات السياسية لتعديل هذه المطالب في البلاغ الاخير فلم يقبل المجلس وأصر على الرفض بالمرة فقبل السلطان هذا الرفض لعدم سلب حرية المجلس لكنه كان سببا في وقوع الحرب الاخيرة الهائلة وكانت سجالا بينهما حالة كون الامم البلقانية والجبل الاسود والبوسنه وهرسك والرومانية البالغ قدرهم نحو خمسة عشر مليونا من رعايا الدولة مع الروسيا ضد دولتهم وفضلا عن ذلك فان الدولة العليـة حاربت الامم المذكوره مدة سنين حتى قهرتهم كما أنها لم تكن في استعداد مخصوص لهذا الحرب حيث لم تظهر الروسيا العداوة لها من عهد حرب قريم مكرا مع أنها كانت تستعد لها سرا منذ ربع قرن ثم قامت الحرب على ساق وظهر من صنا ديد العثمانيين ما هو معروف حتى أقر سائر الاجناس لهم بانهم أمة لم تزل حية شديدة سيما ما بدا من عسكر البطل الغازي عثمان باشا المشير فانه قاتل في بلفنا التي صيرها حصنا عظيما في مدة حربه بجيش لا يبلغ الاربعين ألفا جيشا عرمرما من الروس والرومان وغيرهم يتجاوز مائة وعشرين ألفا وقتل منهم ماينوف عن عدد جيشه ولولا سابقة القدر المعلوم بعدم انجاده لما تيسر الروس الغلبة بمجرد حصار جيشه حتى اضطر الى الهجوم لخرق الحصار بمن بقي سليما من جيشه الذي قدره سبع وعشرين ألفا فتراكت عليه مائة ألف أو يزيدون الى أن حرح

وكاد أن يحرق الحصار لولا الجرح فاضطر الى التسليم فاقبل عليه القيصر بنفسه ولما سلم له سيفه قال له ان مثلك أيها البطل يحق له الفخر الدائم ورد اليه سيفه وكفى بها شهادة له وشرفا هكذا ذكره السيد محمد بيرم فى كتابه (صفوة الاعتبار) رحمه الله ومصداق ذلك ما أخبرنى به المرحوم راشد باشا كمال وكان رحمه الله هناك من أول حرب الضرب والعصاة لغاية انتهاء حرب الروسيا بصفته ضابطا بالجيش المصرى فى مسئلة بليفنا بنحو ما ذكره السيد محمد بيرم وزاد بقوله أن الروس هجموا فى أوائل الحصار مرارا عديدة وارتدوا بخسائر فاضحة أى باربعين ألفا على التقريب ثم تيقنوا أنه من المستحيل أخذها هجوما فالتزموا باستدامة الحصار فلوجاء الامداد بالمؤونة والذخيرة لم يمكنه أخذها وربما كانت الحرب سجالا حتى فى السنة التالية وربما ينتهى الامر بغير غرامة حربية ثم أخبر رحمه الله تعالى عن نشاط وشجاعة وصبر عساكر الدولة بما يحير العقول حيث أن فى أغلب الوقائع الحربية كان الروس والاعداء ضعفى العدد والحرب كان سجالا وأحيانا تنتصر عساكر الدولة بما يجبر الروسيين على الانسحاب وقال أيضا أن الروسيا كانت تمتاز بثلاث كثرة العساكر بزيادة عن الضعفين وكثرة فرسانها بما يبلغ خمسة أضعاف على التقريب وطوبجيتها كانت أرقى وأكثر بزيادة عن ضعف ونصف وأما امتياز عساكر الدولة فكانت باربع الشجاعة الفائقة والنشاط والصبر والحماس فى حب لقاء العدو اه و بالاختصار فان الروسيا وجدت من الصعوبة ما يخالف ظنها من قبل الحرب حتى اضطرت بطلب هدنة فبذا قامت عساكر الدولة بما أوجب الله عليهم جازاهم الله خيرا ومع ذلك فان هذا من الواجبات الدينية فقد ورد فى الصحيحين عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تضمن الله لمن خرج فى سبيله لا يخرج الا جهادا فى سبيلى وايمانا بى وتصديقا برسلى فهو على ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه الى مسكنه الذى خرج منه نائلا مانال من أجر أو غنيمة اه والحق يقال انهم ليوث هذا العصر

ومن هذا القبيل ما حكى عن ضابط مصرى انه كان مع ضابط عظيم أجنبى فى

Digitized by Google

مدينة جدّة واذا بعسكرى تركى مار الهوينا مطأطأ الرأس بغير جورب أمام نفسه لا يلتفت يمينا ولا شمالا فقال الضابط الاجنبى للضابط المصرى هل ترى هـذا العسكرى وحالته فقال له نعم فقال انه عنـد الحرب يكون مثل الفرخ الاسود الكبـير يعنى بذلك تشبيهه بالديك الرومى عنـد ما يرى شـيأ أحمر يهيج وينفش ريشه ويحمر وجهـه ويريد بذلك شدة حماسهم وبأسهم وتغيير أحوالهم العادية عنـد الحرب ولله الحمد على شهرة شجاعة وصبر عساكر الدولة قديما وحديثا ونسأل الله تعالى دوام قوتهـم ونشاطهم وحفظهم هم وضـباطهم الكرام تحت ظل مولانا أمـير المؤمنين السلطان عبـد الحميد خان نصـره الله آمـين

وكان الفراغ من ترجمة وتأليف وتبييض هذا الكتاب فى شهر الحجة سـنة ١٣٢٢ الموافق لشهر دسمبر سـنة ١٩٠٤

Digitized by Google

﴿يقول مصححه ابراهيم حسنين المستخدم بديوان عموم الاوقاف﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

يامن قصصت علينا أحسن الاقاويل في محكم التنزيل وجعلت أنباء الاولين تبصرة وذكرى للآخرين صل على سيد العرب والعجم المرسل الى كافة الامم نبي الرحمة وهادى الامة سيدنا محمد وآله وأصحابه الذين اتبعوه وعلى الاعداء نصروه فأيد الله بالحق كلمتهم وأعلى في العالمين دولتهم

وبعد فلما كان علم التاريخ من أهم العلوم العمرانية وكان من ألزمه وقوف كل أمة على تاريخ دولتها وما اعتراها في أدوارها من صحة واعتلال ونقص وكمال ورفعة وهبوط ورجاء وقنوط ومنشأ تلك العلل وأسبابها لينهج الخلق منهج السداد ويسلكوا سبيل الرشاد وينظروا أعمال أسلافهم وما أدت اليه وما يماثلها لديهم مما ينبغي القياس عليه فيتثبتوا ويأخذوا من حذرهم ويتدبروا وينظروا عاقبة أمرهم فما رأوه نافعا فعلوه وما كان مضرا اجتنبوه ليحسنوا حالهم ويبلغوا آمالهم

قام الفاضل الوطني الغيور حضرة ابراهيم بك حليم مفتش أوقاف دمنهور بتأليف هذا الكتاب الجليل مستمدا من التواريخ التركية ووسمه بـ(التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية) أبان فيه أطوار الدولة من عهد نشأتها الى الآن وحوادثها في كل سنة على وجه الاجمال وشخص العلة والداء ووصف العلاج والدواء مستشهدا بالنصوص القرآنية والاحاديث النبوية خدمة للدولة والملة في ظل الحضرة الفخيمة الخديوية وعهد الطلعة الميمونة العباسية من به نالت رعاياه الاماني سمو خديوينا المعظم ﴿عباس حلمي الثاني﴾ أدام الله أيامه ووالى علينا انعامه مهنأ البال بانجاله مؤيدا بوزرائه ورجاله

Digitized by Google

وكان طبعه بمطبعة ديوان عموم الاوقاف المصرية ذات العناية الفائقة
والصناعة المتقنة الرائقة في عهد ناظره عالى الهمم مثال التقى والكرم
من ارتقت في أيامه مصلحة الاوقاف الى ذروة السعادة والانصاف سعادتلو
الهمام الحازم عبد الحليم باشا عاصم بلغه الله من الخير مناه ومن المجد منتهاه
ملحوظا هذا الطبع الجميل بنظر الشاب الفاضل الذكي النشيط
حضرة أحمد أفندي سلامه مامور ادارة المطبعة المذكورة
حفظه الله وتم طبعه في أواسط شهر ربيع الثاني
من سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة وألف
من هجرة من له العزة والشرف
صلى الله عليه وعلى آله وصحبه
كلما ذكره الذاكرون
وغفل عن ذكره
الغافلون
آمين

بيان

الخطأ والصواب

الواقع فى هذا الكتاب

Digitized by Google

بيان الخطأ والصواب الواقع فى هذا الكتاب

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
١٠	١٠	ومتركون لحفظ.....	حتى لحفظ بلادهم
١٨	١٢	تترف	تشرف
١٨	١٥	أى لاتقاطعو	أى لايعطى أحد ظهره لاحد
٢٢	١	ان يقاتل المسلمين	لايقاتل المسلمين مع من غير
٣٤	١٢	أى ابن النهار	أى ولد النهار
٣٥	١٠	يارصار	يار حصار
٤٠	١٦	وبعدان جمعو	وبغدان وجمعو
٤٢	٩	من حدود العرب	من حدود الصرب
٤٥	٤	درقجيه	درنجيه
٥١	١	فريد بك	مزيد بك
٦٠	٢٠	فعبر منه جليل باشا ومعه.	فعبر منه ومعه خليل باشا
٩٦	١١	فى سنة ٩٤٥.....	فى سنة ٩٧٥
٩٦	١٢	فى سنة ٩٧١	فى سنة ٩٧٦
٩٧	١٣	وخمسين	وخمسين ألف
١٠٠	١٦	ومعه بعض عساكر ...	ومعه بعض عساكر مصريه
١٠٠	١٩	أباصوفيه	أياصوفيه
١٠٠	٢٠	وفى سنة ٩٨٣	وفى سنة ٩٨٢
١٠٢	٧	الجهوريات	الجهوريتى
١٠٧	٨	قورقاق	قورقاق
١٠٧	١١	امبراطور ألمانيا وبولونيا	الاول امبراطور المانيا والثانى ملك بولونيا
١٠٨	١٢	مراد باشا المذكور ...	مراد باشا
١٠٩	٣	تراكى	تراكى
١٠٩	٢٤	وكذلك مرزفون	وكذلك ولايات مرزفون
١١٢	٣	شتيا باشا	شمسيا باشا
١١٦	١٣	أولاده	أولاد أحمد

Digitized by Google

بيان الخطأ والصواب الواقع فى هذا الكتاب

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
١١٧	٣	بعسا كر الغير	بعسا كر التتر
١١٨	٤	بودنى	بورنى
١٢١	١٦	أمير	أمير أمراء
١٢٢	٣	وباتخاذ	وباتحاد
١٢٦	٦	فارص	قارص
١٢٨	٦	جبوط	هبوط
١٢٨	١٥	اشتغل برأيه	استقل برأيه
١٢٩	١١	من عسا كر العراق ...	من عسا كر القوزاق
١٢٩	١٨	ابن هيركون	ابن مير كون
١٣٠	١	ارول	اردل
١٣٠	٢١	قرمان ا	قرصان القوزاق
١٣٢	١٩	جاميجه	جامليجه
١٣٨	١٢	أدرنه جامع	أورته جامع
١٣٩	١	تقول ابشير باشا	تغوّل أبشير باشا
١٣٩	١١	وغيروهما مرتين	وغيروهما مرتين فى الاربعة أيام
١٤٠	٩	الدوله أوستريا	الدولة على أوستريا
١٤١	٣	بصاريقامس	بصارى قامش
١٤٣	٦	سواش باشا	سياوش باشا
١٤٣	١٤	واستولت على	واستولت أوستريا على
١٤٣	١٦	سليمان باشا	اسماعيل باشا
١٤٤	١٤	عاد	أعاد
١٥٨	١٩	ايرونيل	أردبيل
١٥٩	٣	سر	سرا
١٥٩	١٠	توبان	توبال
١٦١	١١	ماجزبانه	مارجزبا

Digitized by Google

بيان الخطأ والصواب الواقع فى هذا الكتاب

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
١٦١	١٢	العذر	الغدر
١٦٧	١١	نفاى	نغاى
١٧٣	١٢	من جملة	من جلته
١٧٣	٢٣	مرور	ومرور
١٧٩	٥	احتلال	اختلال
١٨٢	١	وبغدان للروسيا	وبغدان للروسياوطرد سفير فرنسا من الاستانة
١٨٢	١٢	بعد تحويرها رجح	بعد تحويرها بما يمكن وبعضهم قال بالثبات فرجح السلطان القول الاخير
١٨٢	٢٢	بستمايه وأربعون	بستمايه وأربعين
١٩٨	٣	وادنه	وارنا
٢٠٥	٢	عساكر الاكراد	عشائر الاكراد
٢٠٥	٢١	زمله	زحلة
٢٠٨	٢٣	بمغال أوغلو	بجغال أوغلو
٢٠٨	٢٤	ديزواريه	ديزداريه
٢٠٩	٢	واكتسبت	واكتقبت
٢١٨	٥	دايما	رايما
٢٢٠	٢١	رسانسى	ديسانسى
٢٣٢	١٦	منهاالاذن	من الاذن
٢٣٤	١٨	بالمصادفه	بالمصادمه
٢٣٨	٧	العثمانيه قديما	العثمانيه بدخوله تحت حماية فرانسا وانهم بايعوأمير المؤمنين قديماوحديثا
٢٤٣	٢١	سدا	سرا
٢٤٤	١١	تؤخذ الثار	لاخذ الثار
٢٤٧	٣	من دول	مع دول
٢٤٧	١٣	ارادتنا	ادارتنا

8090

Digitized by Google